

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

نظرات واملات من واقع الحياة

تأليف

د. محمد بن عبد الرحمن النجدي

أستاذ مشارك في قسم العقيدة والذاهب المعاصرة
بجامعة الإمام محمد بن سعود

مكتبة الصحابة

الإمامات - الشارقة

ت : ٥١٥٥٧٥ - فاكس : ٢٧٦٥٥٤٤

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

نظرات وتأملات من واقع الحياة

تأليف

د . محمد بن عبد الرحمن الخُميس

أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
جامعة الإمام محمد بن سعود

مكتبة التابعين

القاهرة - عين شمس

ت. ٤٩٣٨١٤٤ - فاكس: ٤٩٣٤٣٣٥

مكتبة الصحابة

الإمارات - الشارقة

ت. ٥١٥٥٧٥ - فاكس: ٣٧٤٥٤٤



جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

مكتبة الصحابة

الإمارات العربية المتحدة - الشارقة
ت: ٥١٥٥٧٥ - فاكس: ٣٧٤٥٤٤ / ٠٦

مكتبة التابعين

القاهرة - ٢٥ ش أحمد عصمت - عين شمس .
ت: ٤٩٣٨١٤٤ - فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥

رفع

عبد الرحمن (النجمي) **المقدمة**
أسكنه الله الفردوس

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣) .

أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد

فهذه بحوث ومقالات كنت قد كتبتها في فترات زمنية متعاقبة في مجلة الدعوة والفرقان ، والأصالة ، والمسلمون وغيرها من المجلات الإسلامية الهادفة ، وموضوعها هو نظرات وتأملات في أحوال مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة . هذا وقد جمعتها في هذا الكتاب بناء على مشورة بعض الفضلاء ، والله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يغفر لمؤلفها ولمن تسبب في نشرها ، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

كتبه

د . محمد بن عبد الرحمن الحميس
أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
جامعة الإمام محمد بن سعود

(٣) الاحزاب : ٧٠ ، ٧١ .

(٢) النساء : ١ .

(١) آل عمران : ١٠٢ .

المحتويات

الفصل الأول

تأملات ونظرات في أحوال مجتمعنا الإسلامي المعاصر .

- المبحث الأول : ظاهرة ترك الصلاة .
المبحث الثاني : مكانة الحج ومنزله .
المبحث الثالث : ظاهرة ترك المبيت بمزدلفة .
المبحث الرابع : ظاهرة التشاؤم والتطير .
المبحث الخامس : ظاهرة انتشار الرقى والتمايم .
المبحث السادس : تعقيب على على العمرى حول الرقى .
المبحث السابع : ظاهرة الخدم .
المبحث الثامن : واجبنا نحو مجتمعنا الإسلامي السعودي .

المبحث الأول
ظاهرة ترك الصلاة

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فإن الكلام حول هذا الموضوع يتناول جوانب ثلاثة:

حكم الصلاة ، وحكم تارك الصلاة ، ومنزلة الصلاة بين العبادات ، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: حكم الصلاة:

لا ريب في أن الصلاة هي أهم العبادات على الإطلاق، وهي من مهمات الإسلام ، وركن من أركان الإسلام، بل هي أعظم هذه الأركان على الإطلاق بعد توحيد الله تعالى ، وإثبات النبوة، أي بعد الشهادتين.

ودل على ركنيتها الكتاب والسنة والإجماع:

أما الكتاب فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ وقال عز وجل: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ ، وقال جل وعلا: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ .

وأما السنة فقد قال رسول الله ﷺ: « بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً» .

والأحاديث في إثبات وجوب الصلاة والأمر بالمحافظة عليها لا تكاد تحصى .

وأما الإجماع فقد أجمع الفقهاء على وجوب الصلاة، وأنها ركن من أركان الإسلام . وهي واجبة على كل مسلم بالغ عاقل، وتسقط عن المرأة حال الحيض

نظرات وتأملات من واقع الحياة

والنفاس ، وقد أوجب الله تعالى على الناس خمس صلوات في اليوم والليلة ، ليس عليهم غيرها إلا أن يطوعوا ، وهي واجبة في أوقاتها المعلومة المخصوصة .

أمر النبي ﷺ بذلك ، وبين هذه الأوقات ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ .

ثانياً: حكم تارك الصلاة :

إن الكلام في شأن تارك الصلاة هو من أهم وأكبر مسائل العلم التي اختلف فيها العلماء من السلف والخلف ، والتفصيل فيها كما يلي :

- أما تارك الصلاة جحوداً وإنكاراً فلا خلاف بين أهل العلم في كفره وردته ، وذلك لإنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة ولجحده كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيما دلا عليه من وجوب الصلاة والأمر بإقامتها .

- وأما تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً ، فهذا هو الذى اختلف العلماء فى شأنه ، فذهب الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق وغيرهما إلى كفره ، وخروجه من الملة ، وإلى أنه يقتل إذا لم يتب ويصل ، ويكون قتله على سبيل الردة عن الإسلام .

وذهب أبو حنيفة ومالك والشافعى إلى عدم كفره ، وإلى أنه فاسق بتركه للصلاة ، لكنه لم يكفر ولم يخرج من الإسلام .

ثم اختلفوا فى شأن قتله ، فقال مالك والشافعى : « يقتل حداً لا ردة » .

وقال أبو حنيفة : « يعزر ولا يقتل » .

وظاهر نصوص الكتاب والسنة يؤيد ما ذهب إليه الإمام أحمد رحمه الله .

فقد قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ .
للت الآية دلالة واضحة على أن تارك الصلاة ليس أخاً لنا في الدين ، وهذه الأخوة تنتفى إلا إذا انتفى الإيمان وخروج المرء من الدين كلية ، وهذه الأخوة فى الدين لا

تنتفى بمجرد الفسق. هذا مع أن الله تعالى لم ينف أخوة الدين عن القاتل رغم فظاعة جرمه ، فقال في شأن القصاص : ﴿ فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾^(١) فلم ينف الإخوة رغم القتل ، وقال تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ إلى أن قال : ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ فأثبت لهم الأخوة رغم الاقتتال .

ومع ذلك نفى سبحانه وتعالى الأخوة عن تارك الصلاة كما في الآية الأولى . ومن السنة الدالة على كفر تارك الصلاة قوله ﷺ : « إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » رواه مسلم وغيره .

وقال ﷺ : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » رواه أحمد وأصحاب السنن .

وهكذا نرى أن النبي ﷺ جعل الصلاة فرقاً بين المؤمنين والكافرين ، والكفر غير الإسلام ، ومن لم يأت بهذا العهد فهو كافر .

والنصوص في الباب كثيرة ، وهكذا فقد جعل الشارع وصف الكفر مرتبطاً بترك الصلاة ، ولم يشترط الإنكار ، وكذلك ربط الأخوة في الدين بإقامة الصلاة . وليس بالإقرار بوجوبها ، وظاهر النصوص الواردة في الباب كلها يدل على كفر تارك الصلاة مطلقاً .

ولهذا يقول شقيق التابعي الجليل : « كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة » .

- وأما الكلام في المسألة الثالثة ، وهي منزلة الصلاة بين العبادات ، فنقول فيها بعد حمد الله ، إن الصلاة هي أهم العبادات على الإطلاق بعد توحيد الله عز وجل ، فالصلاة تجمع كل العبادات في ثناياها ، وهي آخر ما يفقد الناس من دينهم ، وهي

(١) البقرة : ١٧٨ .

نظرات وتأملات من واقع الحياة

عمود الإسلام، فقد قال ﷺ : « رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله » .

وقد قال الله تعالى في حق الصلاة : ﴿ أتبل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾ .

فجعل الله تعالى الصلاة ناهية عن المنكر، وجعلها النبي ﷺ بمشابة العمود للفسطاط ، ومن المعلوم أنه لا بقاء للفسطاط إذا سقط عموده، فكذلك الدين لا بقاء له إذا لم تبق الصلاة ، وهي العبادة التي لا تسقط عن الإنسان لا في حالة الصحة ، ولا في حالة المرض، ولا في حالة الغنى ، ولا في حالة الفقر ، ولا في حالة الإقامة، ولا في حالة السفر، فلا يسقط وجوبها عن الإنسان بحال ، إلا الصغير والمجنون والحائض والنفساء ، فهؤلاء هم الذين لا تجب عليهم الصلاة ، وهي العبادة التي كرر النبي ﷺ الوصية بها في مرض موته، فكان يقول: « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم » .

فمكانة الصلاة ومترزنتها بين العبادات في قمتها وعلى رأسها، وبوجودها وكمالها يكون فلاح العبد ونجاته في الآخرة، وبفقدانها وفسادها يكون هلاكه وفساد جميع أعماله، وبتركها تحبط أعمال الإنسان كلها ، أعاذنا الله وجميع إخواننا المسلمين من حبوط الأعمال .

هذا والله أسأل أن يوفقني وإخواني المسلمين لأداء الصلاة والمحافظة عليها، والحرص عليها وتقبلها منا برحمته إنه سميع قريب .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *



المبحث الثاني

مكانة الحج و منزلته

إن للحج مكانة عظيمة بين العبادات ، فهو ركن من أركان الإسلام الخمسة ، وقد عظم الله تعالى من شأن الحج ، فقال عز وجل : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

وقال النبي ﷺ : « بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً »^(٢).

وقد أجمع أهل العلم على وجوب الحج على المسلم مرة واحدة في العمر وما زاد فهو تطوع ، وقد ورد في فضل الحج أحاديث كثيرة .

وهو من أعظم مواسم الخير وأيامه أيام مباركة ، وفيها خير يوم طلعت الشمس فيه ، وهو يوم عرفة ، وفيها يوم النحر ، الذي هو يوم الحج الأكبر ، وفيها أيام التشريق وهي التي قال الله تعالى فيها : ﴿ واذكروا الله في أيام معدودات ﴾ وقال النبي ﷺ : « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل » .
والحج فيه الكثير من الحكم والعبر ، التي ينبغي الالتفات لها .

- فهو الموسم الذي يجتمع فيه من المسلمين عدد لا يجتمع في غيره إطلاقاً من كل البلدان فيتعارفون فيما بينهم ويستمعون إلى المواعظ ويجتمعون لأداء النسك ، ويباهي الله بهم ملائكته ، ويكونون بجمعهم هذا شوكة في حلق الكارهين للإسلام والمسلمين .

- وهو الموسم الذي يتساوى فيه المسلمون ، الغني والفقير ، الشريف والحقير ، الكبير والصغير ، كلهم بلباس واحد ، لا فرق بينهم ، ولا فضل لبعضهم على بعض ،

(٢) أخرجه البخاري ، وسلم (١ / ٣٤) .

(١) آل عمران : ٩٧ .

نظرات وتأملات من واقع الحياة

لباسهم رداء وازار أبيضان، يبعث منظرهم الموحد البهجة والسرور في نفس كل محب للإسلام والمسلمين .

- وهو الموسم الذي يتجرد فيه المسلم من عرض الدنيا وزينتها، فيتواضع في لباسه وهيبته، ويخضع ويذل لله تعالى، ويظهر الخشوع والانكسار بين يديه عز وجل .

- وهو الموسم الذي تكثر فيه الصدقات ، ويكثر فيه فعل الخيرات ، ويفرح فيه الفقراء والمساكين بما ينالون من الخير، وما يرون من مساواتهم مع إخوانهم المسلمين .

- وهو الموسم الذي يظهر به المسلمون شرائع دينهم، ويتابعون فيه سنة الخليل إبراهيم عليه السلام وسنة محمد ﷺ أيضاً . فيحجون وينسكون كما فعل رسولهم ﷺ القائل خذوا عني مناسككم .

- وهو الموسم الذي يبتلي الله فيه عباده بما يرى منهم فيه الإيمان بالغيب والتسليم لله تعالى بفعل أشياء لا مجال لأعمال العقل فيها ، كتقويل الحجر الأسود ونحوه .

- وهو الموسم الذي يتعب فيه المسلمون في أداء المناسك لكي تختتم لهم أيامه بالمغفرة والرحمة .

- وهو الموسم الذي يفد الناس فيه إلى ربهم عز وجل مهللين ملبين مكبرين ، يرجون رحمته ويخافون عذابه .

- وهو الموسم الذي فيه تجديد الصلة بالله تعالى وتجديد التوبة .

- وهو الموسم الذي جعل الله تعالى فيه منافع للناس، كما قال في كتابه ﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ .

فهو عبادة عظيمة، وشريعة كبيرة، يجب علينا تعظيمها ، والحرص على أدائها، والتأدب بآدابها، وفهم الحكم والمقاصد منها، والحرص على نيل ثواب أدائها، وفضل الإتيان بها .

* * *

المبحث الثالث

ظاهرة ترك المبيت بمزدلفة

- فإن الكلام حول هذا الموضوع ينقسم إلى ثلاثة أقسام:
- الأول: حكم المبيت بمزدلفة ليلة العاشر من ذي الحجة .
- الثاني: حكم العبادة في ليلة مزدلفة .
- الثالث: السنة في الانصراف من مزدلفة .
- فأقول وبالله التوفيق:

الأمر الأول: حكم المبيت بمزدلفة :

هو واجب من واجبات الحج، والتي لا بد للحاج منها، ومن المعلوم أن واجبات الحج إذا ترك الإنسان شيئاً منها، لزمه الذبح، وإهراق الدم، وذلك لجبر ما نقص من حججه، ويطعمه لفقراء مكة .

لكن لا ينبغي للمسلم أن يعتمد ترك الواجبات، فإنه بذلك مخالف لهدى النبي ﷺ، وقد يضيع أجره بذلك .

والنبي ﷺ كما يقول في حجته: « خذوا عني مناسككم » .

وقد ثبت عنه ﷺ أنه أفاض في حجته من عرفات بعد أن غربت الشمس وغاب قرصها، فدفع إلى مزدلفة، فنزل بها وصلى بها المغرب والعشاء جمعاً حينما وصل وبات فيها ليلته، إلى أن أصبح فصلى الصبح، ثم ركب ناقته، حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة، فدعا الله وكبره، وهلله ووحده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً فدفع قبل أن تطلع الشمس . . إلخ ، والحديث قد أخرجه مسلم وغيره فثبت بذلك وجوب المبيت بمزدلفة ليلة العاشر من ذي الحجة .

الأمر الثاني : حكم العبادة في ليلة المزدلفة:

وأعني بذلك حكم إحياء هذه الليلة بالقيام والذكر والدعاء، والفيصل في ذلك سنة النبي ﷺ ، فإنه كما في حديث جابر الطويل الذي رواه مسلم وغيره، وفيه خبر حجة الوداع كاملاً، وقال: « ودفع رسول الله ﷺ وقد شفق للقصواء الزمام - أي ضمه وضيقه- حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله، ويقول بيده اليمنى: أيها الناس السكينة السكينة ، كلما أتى جبلاً من الجبال ، أي تلاً من التلال ، أرخى لها قليلاً حتى تصعد حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئاً ، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعاه وكبره وهله، ووحده فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً، فدفع قبل أن تطلع الشمس.

فالحديث صريح وواضح في أن النبي ﷺ لم يفعل في مزدلفة شيئاً سوى صلاة المغرب والعشاء حين وصوله جمعاً وقصراً، بأذان وإقامتين، ولم يتنفل بشيء بينهما ثم اضطجع إلى الفجر، فدل بوضوح على أن السنة في تلك الليلة لا تتجاوز ما فعله رسول الله ﷺ ، ولعل الحكمة في ذلك - والله أعلم - أن الحاج يكون قد أرهاق في يوم عرفة من الوقوف وكثرة الدعاء والذكر، فيحتاج إلى الراحة تلك الليلة حتى يستطيع أن يقوم بأعمال اليوم التالي - يوم النحر - وهذا بالضبط هو ما فعله نبي الله ﷺ في تلك الليلة .

فتحصل من ذلك أن قضاء تلك الليلة في العبادة مخالفة لسنة النبي ﷺ ، وأن المرء يكفيه صلاة المغرب والعشاء والصبح ، ثم الدعاء بعد الصبح إلى اشتداد الإسفار ، وأما ما بين ذلك فالسنة فيه النوم والراحة ، والله تعالى أعلم .

الأمر الثالث : السنة في الانصراف من مزدلفة:

كما سبق وذكرنا في صفة حج النبي ﷺ فإنه ﷺ وقف يدعو الله ويذكره عند المشعر الحرام بعد صلاة الصبح « حتى أسفر جداً ، فدفع قبل أن تطلع الشمس . . حتى أتى بطن محسر - وهو وادٍ بين مزدلفة ومنى - فحرك قليلاً : أي أسرع شيئاً - ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة . فرماها بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة منها ، حصى الخذف ، رمي من بطن الوادي ، ثم انصرف إلى المنحر .

فدل ذلك على أن السنة عند الانصراف من مزدلفة ألا يدفع المرء إلا بعد الإسفار جداً غير أنه قد رخص للضعفة والنساء في الانصراف قبل الفجر من مزدلفة ، تجنبياً لهم لمشقة الزحام ، وقد أخرج مسلم وغيره من حديث ابن عباس ؓ قال : « بعثني رسول الله ﷺ في الثقل - أو قال في الضعفة - من جمع بليل » وجمع علم على مزدلفة .

وأخرج مسلم وغيره عن عائشة ؓ قالت : استأذنت سودة رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة تدفع قبله ، وقبل حطمة الناس ، وكانت امرأة ثبطة - أي ثقيلة - فأذن لها . فخرجت قبل دفعه ، وحبسنا حتى أصبحنا فدفعنا بدفعه ، ولأن أكون استأذنت رسول الله ﷺ كما استأذنته سودة فأكون أدفع بإذنه ، أحب إليّ من مفروح به » تقصد ؓ أنها لو كانت قد استأذنت من رسول الله ﷺ كما فعلت سودة أحب إليها من أي شيء يفرح به الإنسان تحسراً منها ؓ على أنها لم تفعل فعل سودة ؓ .

كما أنه يُسنُّ عند الدفع من مزدلفة الإسراع في بطن محسر ، وسرعة تجاوزه لفعل النبي ﷺ ذلك .

تنبیه هام:

يقع كثير من الحجاج في خطأ وبدعة ومخالفة للسنة حيث يشغلون ليلة مزدلفة بجمع الحصى لرمي الجمار، ويفوتون على أنفسهم الراحة تلك الليلة، ومتابعة سنة النبي ﷺ هذا مع أنه لم يثبت أن النبي ﷺ أمر أن يلتقط له الحصى من مزدلفة، وإنما ينبغي عليهم متابعة هدي النبي ﷺ .

أما الحصى فإنه إن التقط من مزدلفة أو منى جاز ، ولا فضيلة لحصى مكان على غيره . والله أعلم .

هذا ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد . والحمد لله رب العالمين .

* * *

المبحث الرابع ظاهرة التطير والتشاؤم

إنَّ المتأملَ في أحوالِ الناسِ ليرى منهم العجبَ العُجابَ ، فكثيرٌ منهم بَلَّغُوا من خفةِ عقلهم وقلةِ علمهم أنَّ شاعتَ بينهم أفكارٌ وتصوراتٌ وأوهامٌ وتخيلاتٌ ، هي في مجملها متصادمةٌ مع تعاليم وإرشاداتِ الإسلامِ .

ومن أهمِّ هذه الأفكارِ والتخيالاتِ الفاسدةُ ، ما شاعَ بينَ الناسِ من التطيرِ - وهو التشاؤمُ - بأشياءَ معينةٍ ؛ من أيامٍ وأشخاصٍ ، أو أسماءٍ أو طيورٍ ، أو بيوتٍ أو شعورٍ ، وغير ذلكَ ، وهذه بدعةٌ خطيرةٌ من أهمِّ وأخطرِ البدعِ العقديَّةِ .

وسوفَ أقسمُ الكلامَ عنها إلى خمسةٍ أقسامٍ :

فالأوَّلُ منها : في بيانِ معنى التطيرِ ، وأصله من الطيرة - بكسرِ الطاءِ وفتحِ الياءِ - وهي التشاؤمُ بالشيءِ ، وهي مصدرُ تطيرَ ، وأصله أنَّ العربَ كانوا يتشاءمونَ من طيورٍ معينةٍ ، كالغرابِ والبومةِ ، ومن بعضِ الحيواناتِ ، ثمَّ صارت تُطلقُ على عمومِ التشاؤمِ ، أيًا كانَ المتشاءمُ منه .

والثاني : في ذكرِ حكمِ التطيرِ شرعاً : وردَ في الحديثِ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا غول » أخرجه مسلمٌ .

فهنا نفى النَّبيُّ ﷺ العدوى والطيرة - وهي التشاؤمُ - والهامةُ - وهي البومةُ - إذ كانوا يتطيرونَ بها كذلكَ ، والمقصودُ بقوله : « ولا صفر » نفى ما كانوا عليه من التشاؤمِ بشهرِ صفرٍ ، وزعم أن البلاءَ والمصائبَ تنزلُ فيه أضعافَ ما تنزلُ في غيرهِ ! .
والغولُ ؛ جمعُ غيلانٍ ، وهم مردهُ الجنِّ المتشكِّلونَ بأشكالٍ مختلفةٍ ، وكانوا يزعمونَ أنَّ الغيلانَ تترأى لهم في الصحراءِ ، وتضلُّهم عن الطريقِ لتهلكهم .

نظرات وتأملات من واقع الحياة

والطيرة من الشرك ؛ لقوله ﷺ : « من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك » وهو حديث صحيح ؛ أخرجه أحمد والطبراني ، وذلك لأن التطير - وهو التشاؤم - برؤية طير أو إنسان ، أو بدخول شهر أو نحو ذلك فيه اعتقاد أن هذه الأشياء لها تأثير سيئ بنفسها استقلالاً ، وبغير مشيئة الله تعالى ، واعتقاد أن هذه الأشياء مخصوصة بشؤم معين ! .

وهذا اعتقاد باطل لا أصل له في الشرع ، بل هو مخالف للشرع ، كما أن الطيرة تؤثر على مواقعها ، فيساق لها ، فيما يأتي ويذر ، فلذلك كانت الطيرة من الشرك .

ولقد أحسن من قال :

لعمرك ما تدري الطوارق بالخصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

الثالث : في ذكر صور من التطير الواقع عند كثير من الناس في زماننا ، وهو امتداد لما كان موجوداً في الأزمنة السابقة .

فمن هذه الصور : التشاؤم بالغراب ، بزعم أنه نحس ومؤذن بالخراب والفراق والموت ، ولا سيما إذا نعت عند خروج الإنسان من بيته ، أو غير ذلك ! . وكذلك التشاؤم بالبومة ، واعتقاد أن اقترابها من البيت دليل على موت بعض أهله ، وهكذا ! .

ومن هذه الصور : التشاؤم بدار معينة ، وأنها تجلب الفقر والنحس والخراب ! ومنها : التشاؤم بشهر معين ، كشهر صفر ، وأنه يضاعف فيه البلاء ، ولهذا فهم لا يتزوجون أثناءه ولا يسافرون ! .

وهكذا يتشاءم البعض من شهر شوال أو ذي القعدة ، فلا يتزوجون فيها بدعوى أنه شهر واقع بين عيدين ، أو أنه يحدث فيه كذا وكذا . . . إلخ .

ومنهم من يتشاءم بشهر محرم ، بزعم أنه قتل فيه الحسين عليه السلام ، فلا زواج فيه ولا نكاح ، وغير ذلك من الترهات !! .

التطيرُ والتشاؤمُ

ومنها : التشاؤمُ بشخصٍ مُعينٍ ، واعتقادُ أنه نحسٌ ، وأنَّ رؤيته ومُقابَلته تجلبُ الخرابَ ، ولا سيَّما إذا كانَ أعورًا أو مجذومًا أو غيرَ ذلك .

ومنها : التشاؤمُ بيومٍ مُعينٍ! كيومِ الأربعاءِ !! .

ومن العجيبِ أنَّ السفهَ بلغَ ببعضِ الناسِ أنَّهم يتشاءَمونَ بيومِ الجمعةِ ، رغمَ أنَّه خيرَ يومٍ طلعت عليه الشمسُ ؛ بل هو أكثرُ الأيامِ بركةً ، وكذلك يتشاءَمونَ بأيامِ الشهرِ التي تُعدُّ بالأصبعِ الأوسطِ وهي الثالثُ والثامنُ ، والثالثُ والثامنُ وعشرُ ، والثالثُ والثامنُ والعشرونُ !! .

ومنها التشاؤمُ بعددٍ مُعيَّنٍ كرقمِ ١٣ مثلاً ، فلا يُسافرُ ، ولا يشتري شيئًا في اليومِ الثالثِ عشرَ ، ولا يسكنُ في منزلٍ برقمِ ١٣ ، ولا يفعلُ شيئًا له علاقةٌ برقمِ ١٣ من قَريبٍ أو بعيدٍ ، وهذه عقيدةٌ نصرانيَّةٌ فاسدةٌ ، لها صلةٌ بحادثةِ الصَّلبِ المشهورةِ عندهم !! .

ومنها : التشاؤمُ باسمٍ مُعيَّنٍ ! ومن السَّخفِ أنَّ ناسًا يتشاءَمونَ من أسماءِ فاضلةٍ مثلِ عمرَ وعثمانَ وعليٍّ وغيرِ ذلكِ ، فلا يُسمُّونَ بها ولا يستبشرونَ إذا قابَلوا شخصًا بهذا الاسمِ ، ولعلَّ هذا من عقائدِ الرِّوافضِ والنواصبِ معًا !! .

ومنها : التشاؤمُ بأمكنةٍ مُعيَّنةٍ ، وجهاتٍ مُعيَّنةٍ ، وألوانٍ مُعيَّنةٍ كالسوادِ ، وزعمُ أنه إشارةٌ إلى الموتِ .

وغيرَ ذلكِ من صورِ التشاؤمِ الشائعةِ بينَ الناسِ ، والتي تدلُّ على مبلغِ بُعدهم عن حقيقةِ الإيمانِ ، وعن نورِ اليقينِ ، وعن العلمِ النافعِ ، ومدى غلبةِ الجهلِ والهوى عليهم .

الرابعُ : في ذكرِ التوفيقِ بينَ الأدلَّةِ في هذا البابِ ، لأنَّ هذه الأدلَّةَ على نوعينِ .

أولهما : أدلَّةٌ تنفي التطيرَ والتشاؤمَ مطلقًا ، ومنها قوله ﷺ : « لا عدوى ولا طيرةَ ولا هامةَ ولا صفرَ ولا غولَ »^(١) ، وقوله ﷺ : « لا ينالُ الدرجاتِ العُلى

(١) سبق تخريجه

نظرات وتأملات من واقع الحياة

من تكهنَ أو استقسمَ أو رجَعَ من سفر تطيرًا « أخرجهُ تَمَامَ والطيرانيُّ - كما في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢١٦١) ، وقوله : « الطيرةُ شركٌ » أخرجهُ أبو داودَ والترمذيُّ ، وغير ذلك من الأحاديث والآثار في الباب .

ثانيهما : أحاديثٌ قد يُفهمُ منها وجودُ الشؤمِ في بعض الأشياءِ ، وذلك في مثل قوله ﷺ : « إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ » متفقٌ عليه ، وما في معناه .

فللتوفيقِ بينَ هذه الأحاديثِ أقولُ - واللَّهُ أعلمُ - : إنَّ المقصودَ من الأحاديثِ التي في القسمِ الأولِ نفْيُ التطيرِ بمعنى نفْيِ وإبطالِ ما كان عليه الناسُ قديمًا ، وما زالَ عليه طوائفٌ منهم ، ومن التطيرِ بما ذكرَ من اسمِ شخصٍ ، أو طيرٍ أو حيوانٍ ، أو مكانٍ أو يومٍ ، أو شهرٍ ، أو غيرِ ذلكَ ، وبيانُ أنَّ هذه الأشياءَ لا تأثيرَ لها ، وليست دليلاً على وجودِ الشؤمِ والنحسِ حقًا ، ولا يجوزُ أن يتخذها الإنسانُ مُعتدماً لما يفعلُ أو يتركُ ، فكلُّ هذا يُنافي التوحيدَ الَّذِي أمرَ اللَّهُ تعالى به ، ويُنافي اعتقادَ أن لا تأثيرَ لشيءٍ بغيرِ إذنِ اللَّهِ تعالى .

وأما الأدلةُ في القسمِ الثاني كحديثِ : « إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ . . » فهذا الحديثُ لم يُثبت وجودُ الشؤمِ ، فلا يُعدُّ مختلفًا مع ما قبله ، ولكن يُفهمُ منه أنه إذا وُجدَ الشؤمُ فرضًا ، فإنَّه في هذه الثلاثِ .

ثمَّ إنَّ الشؤمَ المقصودَ في الحديثِ ليسَ هو ما يقصدهُ الناسُ ويفهمونه ويقعونَ فيه ، وإنما المرادُ بشؤمِ الدارِ ما يُشيرُ إلى ضيقها ، وكثرةِ متاعبِ أهلها فيها ، والمرادُ بشؤمِ المرأةِ أن تكونَ سيئةَ الخلقِ ، سليطةَ اللسانِ ، مؤذيةً لزوجها ، مُتلفةً لماله ، فهذا هو شؤمُ المرأةِ ، وشؤمُ الفرسِ أن لا يحملَ عليها في سبيلِ اللَّهِ ، وأن يفترخَ بها صاحبها ، وأن تلهيه عن طاعةِ اللَّهِ ، فهذا هو الشؤمُ المُتصورُ من هذه الثلاثِ .

وأما الشؤمُ بمعنى ما يفهمهُ الناسُ من وجودِ خاصيةٍ معينةٍ في شيءٍ ما ، أو سمةٍ فيه ، فلا طيرةَ في ذلكَ ولا شك .

هذا هو التوفيقُ بينَ الأدلةِ في البابِ ، والعلمُ عندَ اللَّهِ تعالى .

الخامس: كيفية التغلب على هذه الآفة والتخلص منها :

ولا يكون ذلك ، ولا يتحقق إلا بعدة عوامل ؛ أوجزها فيما يلي :

١ - الفهم الصحيح ، والإيمان الجازم بأن الله تعالى هو الذي بيده ملك كل شيء ، وأن لا أثر لشيء بغير إذنه ، وأنه تعالى لم يجعل في مجرد الاسم ، أو في مجرد الرقم خصيصة تحدث تأثيراً يستوجب اجتنابها .

٢ - العلم بما ورد عن النبي ﷺ من النهي عن الطيرة ، ونفيها ، والتحذير منها والتغليظ من شأنها ، ومنه قوله ﷺ : « من رذته الطيرة عن حاجته فقد أشرك »^(١) ، وقوله : « الطيرة شرك »^(٢) ، وقوله : « لا عدوى ولا طيرة »^(٣) .

وكذلك علم الشخص بالثواب الجزيل المترتب على عدم التطير ، كما في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب : « هم الذين لا يسترقون ولا يكتون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » أخرجهم مسلم وغيره ، فإذا فهم الإنسان ذلك ، وعرف خطورة هذا الأمر ، وثواب التبعاد ، اجتنبه ولا شك .

٣ - إحسان التوكل على الله تعالى ، فإن هذا التوكل يقضي على التطير

والتشاؤم .

٤ - أن يقول المرء : « اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك » أخرجهم أحمد وغيره .

٥ - أن يقدم الإنسان على الشيء مما أرادته ثقة بالله تعالى وتوكلاً عليه ، و يقيناً بأن لن يكون هناك شؤم أو غيره .

فهذه العوامل مما يُعين على التخلص من هذه العادة الذميمة المتناقضة مع التوكل على الله تعالى ، وعسى أن يكون ذلك إصلاحاً لعقائد المسلمين ، وسلوكهم ، وتنقية لعقائدهم من الشوائب والخرافات ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

(٢) رواه أبو داود والترمذي

(١) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

المبحث الخامس ظاهرة انتشار الرقى والتمايم

فقد انشغل الناس جداً بموضوع الرقى والتمايم ، وخصوصاً بعد انتشار الأمراض المتعددة الكثيرة ، وقد دخل هذا المجال من ليس من أهله ، وشرقوا فيه وغربوا ، لذلك رأيت أن أتكلم حول هذا الموضوع فأقول :

أولاً : علاقة الرقى والتمايم بالعقيدة :

١- إن من شروط الرقية الشرعية والتميمة الشرعية عند من يجوزها أن تكون بالقرآن أو السنة الصحيحة ، وذلك من باب الحذر من الوقوع في الشرك وأعماله ، والقرآن والسنة هما المصدر الصافي والصحيح للعقيدة المنجية من النار ، فمن كان قصر الرقية ، وقصر التميمة - عند من يجوزها - على الكتاب والسنة فلاجل حفظ هذه العقيدة .

٢ - إن الرقى والتمايم ترتبط بأعمال القلب ، فهي إن اقترنت باعتقاد أن النافع الضار هو الله وحده ، وكان التوكل عليه لا عليها ، كانت صحيحة مشروعة ، وإن حادت عن ذلك كانت شركاً بالله .

٣ - إن العلماء قد أجمعوا على كفر من رقى بأسماء الشياطين والجن وغير ذلك معتقداً نفعهم ملتجئاً إليهم ، أو تعلق تميمة بأسمائهم وغير ذلك ، فمن هنا كانت الرقى والتمايم التي يستعان فيها ويستعاذ بغير الله تعالى شركاً كبير مخرجاً من الملة ، فهي منافية للعقيدة في هذه الحال .

ثانياً : معنى الرقية والتميمة :

الرقية : هي ما يحصن به الإنسان من أذكار وأدعية ونحوها ، وذلك إما لرفع بلاء واقع كمرض ونحوه ، أو لدفع بلاء يخشى وقوعه .

ظاهرة انتشار الرقى والتمائم

التميمة : هي قلادة ونحوها من خرزات أو ما يشبهها تعلق في الرقبة أو اليد ونحوها وذلك بقصد دفع الآفات أو التوقي من العين .

ثالثاً : أنواع الرقى مع التمثيل :

الرقى نوعان :

النوع الأول : الرقية الشرعية ، وهي التي يجوز الاسترقاء بها ، بشرط أن تكون بالقرآن أو بالسنة أو بأسماء الله وصفاته ، وباللغة العربية أو بما يفهم معناه من لغة أخرى ، وأن لا يعتقد أنها مؤثرة بذاتها ، ومثال على ذلك : الرقية بالفاتحة ، أو بالمعوذات ونحو ذلك ، فتقرأ على الشخص المريض أو المحتاج للرقية ، كما حدث لأبي سعيد الخدرى - رضى الله عنه - حين قرأ على الرجل اللديغ بفاتحة الكتاب فشفي بإذن الله تعالى على الفور .

وقد تكون الرقية بالنفث أو التفل أو النفخ ومسح مكان الألم ، كما كان النبي ﷺ « إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده » متفق عليه من حديث عائشة .

وكذلك كان ﷺ « إذا مرض أحد من أهل بيته نفث عليهم بالمعوذات » أخرجه مسلم عن عائشة ، وقد تكون الرقية من غير نفث ، كما قال ﷺ لعثمان بن أبي العاص الثقفي حين اشتكى من ألم في جسده : « ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل : بسم الله - ثلاثاً - وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » أخرجه مسلم .

النوع الثاني : الرقى غير الشرعية : وهي ما كان بغير الكتاب والسنة ، أو كان بلغة غير مفهومة أو باعتقاد أنها تنفع بنفسها .

مثل : الرقى التي يستغاث فيها بالجن والشياطين ونحوهم ، أو يلجأ فيها إليهم ، وكذلك ما كان عبارة عن طلاسّم وألفاظ غير مفهومة المعانى ، لاحتمال أن يكون فيها

نظرات وتأملات من واقع الحياة

إشراك بالله تعالى ، وكذلك الرقى التي يعتقد الراقي أنها تنفع بغير إذن الله ؛ لأن فيها اعتماداً وتوكلاً على غير الله ، قال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

وهنا سؤال : فقد يقول البعض :

هل من الرقية الشرعية الكتابة على أوراق وبالنزعفان لشيء من الآيات القرآنية ؟
وأقول :

لم يرد عن النبي ﷺ أو أصحابه أنهم فعلوا ذلك ، وغاية ما يستدل به الآخذون بهذا الأسلوب هو رواية تجوز ذلك وردت عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى ، ولكن الإمام أحمد لم يكن يقصد بالتأكيد تحول الأمر إلى تجارة وحرفة ، بحيث تباع الأوراق المكتوب عليها ذلك في الأسواق ، وتحدث مغالاة في أسعار بيعها ، وتنافس لأجل ترويجها ، وغير ذلك مما هو شائع في هذه الأيام ، حيث أصبحت هذه الأوراق وأمثالها تباع بأسعار عالية إذا كان كاتبها مشهوراً والعكس إذا كان الكاتب مغموراً ، ويزعمون أن هذه قراءة أو كتابه مركزة وهذه غير مركزة ، إلى آخر هذا الهذيان الذي نسمع به في أيامنا .

رابعاً : أنواع التماثم مع التمثيل :

التماثم نوعان :

الأول : مختلف في جوازه وهو ما كان فيه تعليق لآيات من القرآن مثلاً في حرز وتعلق في عتق الشخص ، وهذا قد أجازه جماعة من الصحابة ومن بعدهم ، ومنعه آخرون لعدم النهي عن تعليق التماثم ، وليس هناك دليل على التخصيص ، وأيضاً حتى لا يتعرض للامتهان عند الخلاء ونحوه ، وحتى لا يكون ذريعة لتعليق ما ليس بقرآن ، والقول الثاني أصح وأصوب . والله أعلم .

النوع الثاني : ما كان فيه تعليق لطلاسم وأشياء فيها تعوذ بالجن والشياطين ونحوهم ، أو شكل لرجل أو لحدوة حصان ونحوها للتحرز بها من العين وغيرها ، وهذا متفق على تحريمه وعلى أنه من الشرك .

خامساً : حكم أخذ الأجرة على الرقية :

يجوز أخذ الأجرة على الرقية ، والدليل على ذلك حديث أبي سعيد الخدري حين رفض أن يرقى للرجل اللديغ إلا بأجرة ، ولما عرضوا الأمر على النبي ﷺ أقرهم حين قال : « اقسِمُوا واضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ » رواه البخاري .

غير أنه ينبغي التفتن إلى أن الأجرة ليست مقصودة لذاتها كما يحدث في أيامنا هذه ، ولا ينبغي المغالاة فيها ، ووضع تسعيرة لكل نوع من الرقية ، أو رفع سعر الرقية بشكل فردي عن التي تكون بشكل جماعي . ورفع سعر الماء المقروء عليه في عبوة خاصة عن سعر الذي قرئ عليه ضمن مجموعة أخرى من الأواني وكذا الزيت ، وغير ذلك من الأشياء الموجودة في زماننا ، والتي تسيء إلى مبدأ العلاج الشرعي إساءة بالغة .

سادساً : أخطاء ومخالفات في مجال التداوي بالرقى :

وهي للأسف كثيرة جداً ، أذكر منها :

١ - بيع عبوات من الماء أو الزيت المقروء عليه بأسعار متفاوتة ، بحيث إذا كانت العبوة مأخوذة من برميل قرئ عليه بيعت بسعر أقل ، وإذا كانت مقروءاً عليها بشكل خاص ومنفرد بيعت بسعر أعلى .

٢ - القراءة بشكل جماعي على مجموعة من المرضى ، وبشكل منفرد على آخرين ، وادعاء أن ذلك بسبب التفاوت في الأجرة ، فالذي يريد قراءة منفردة يدفع سعراً أعلى .

نظرات وتأملات من واقع الحياة

- ٣ - وضع تسعيرة للاستشارة وأخرى للعلاج بالفعل ، وتعليق قائمة بالأسعار .
- ٤ - الخلوة بالنسوة المريضات أثناء العلاج ، وقد يؤدي الأمر إلى مفاسد خطيرة من فعل فاحشة ونحوها ، كما حدث بالفعل مع البعض نتيجة للخلوة التي حرمها الله تعالى ، أو وضع اليد على أجزاء من أجساد النسوة بحجة العلاج ، وتكشف بعض النسوة أثناء حالات الصرع ونحوها ، أو ذهابهن متبرجات عند الراقي . وغير ذلك من الممارسات الخاطئة ، وفيما ذكرت كفاية .
- وفي الختام أنبه على أن كل ما يمر به الناس في أيامنا مرده الغفلة عن ذكر الله تعالى والبعد عن طاعته ، وأن الحل يكمن في الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، والأخذ بهما بقوة ، والاعتصام بالله تعالى ، فهو خير عاصم ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

المبحث السادس

تعقيب على الشيخ العمري حول الرقية

وقفت على رد وتعليق الشيخ / عبد الله السدحان ، على كلام الشيخ / علي مشرف العمري الذي نشر في مجلة «المجلة» وتعليق الشيخ السدحان موجود في مجلة «الدعوة» العدد رقم (١٤٩٦) بتاريخ ٢٤/١/١٤١٦ هـ .

وقد وجدت التعليق المذكور مفيداً جداً ، مجتهداً في بيان الحق، وفي الرد على كلام العمري المذكور ، ثم رأيت أن أدلي بدلوي في هذا الموضوع راجياً من الله التوفيق لبيان وجه الحق في تلك المسألة فأقول وبالله التوفيق .

أولاً: إثبات أن القرآن شفاء من كل داء : شفاء كل الأمراض الروحية والسقلبية والنفسية والعضوية .

١- قال الله تعالى: ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ ومن هنا للجنس وليست للتبويض ، فإن جنس القرآن كله شفاء، وليس بعضه دون بعض، لكن إنما ينتفع به المؤمنون فقط، فلذلك خصهم الله تعالى بالذكر، قال السعدي في تفسير الآية : «فالشفاء الذي تضمنه القرآن، عام لشفاء القلوب من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، وشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها» . اهـ .

٢- وقال عز وجل : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ﴾ والقول فيها كالقول في الآية السابقة سواءً بسواء ، قال السعدي في تفسير الآية: أي يهديهم لطريق الرشـد . وشفاء لهم من الأسقام البدنية ، والأسقام القلبية» . اهـ .

٣- ما أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة اللديغ حيث رقاه الصحابي - هو أبو سعيد في بعض روايات الحديث - رقاه بفاتحة الكتاب علاجاً له من لدغة العقرب وقد اشترط الصحابي عليهم أجراً مقابل الرقية،

نظرات وتأملات من واقع الحياة

فلما ذكروا ذلك للنبي ﷺ قال: «وما أدراك أنها رقية؟ أقسموا واضربوا لي معكم بسهم»^(١).

فاقر النبي ﷺ أصحابه الاستشفاء والرقية بالفاتحة من داء عضوي، هو اللدغة، ولو أن الأمر على ما ذكره العمري وأمثاله، أقول لو أنهم رأوا لديقاً لكان أول ما يفعلونه ويقولونه: اذهب إلى المستشفى لتعاطي المصل المضاد، ولغاب عنهم هذا الحديث. أقول هذا مع أنني لا أنكر ولا أعارض الاستشفاء بالأمصال والعقاقير ونحوها، وإنما المقصود فقط بيان أن القرآن شفاء حتى من الأدوية العضوية.

وقد نقل ابن حجر عن ابن القيم رحمه الله كلاماً نافعاً حول الاستشفاء بالفاتحة.

فقال - رحمه الله بعد سوق بعض فضلها وفوائدها وخصائصها -: « وحقيق بسورة هذا بعض شأنها أن يستشفى بها من كل داء »^(٢).

وقال النووي - رحمه الله - في شرح الحديث: « فيه التصريح بأنها رقية، فيستحب أن يقرأ بها على اللديغ والمريض وسائر أصحاب الأسقام والعاهاث »^(٣) اهـ.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في تعليقه على هذا الحديث: « فقد أثر هذا الدواء في هذا الداء وأزاله حتى كأنه لم يكن، وهو أسهل دواء وأيسره، ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تأثيراً عجبياً في الشفاء ومكثت بمكة مدة يعتريني أدواء ولا أجد طبيباً ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيراً عجبياً، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي الماء، فكان كثير منهم يبرأ سريعاً، ولكن ههنا أمر ينبغي التفتن له، وهو أن الأذكار والآيات أو الأدعية التي يستشفى بها ويرقى بها: هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول المحل. وقوة وهمة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المنفعل، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء. «الداء والدواء ص: ١٢».

(١) البخاري ٢٢٧٦، ٥٠٠٧، ٥٧٣٦، ومسلم (١/٢٢٠).

(٢) الفتح (٢٠٩/١٠).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٤/٢٦٩: ٢٧٠).

فلا شك في أن القرآن شفاء من كل الأدواء، ولكن بحسب ما قدر الله تعالى من قوة الهمة عند المعالج، والتيقن والقبول من المريض، وعموم قوله تعالى: «شفاء» يوضح أنه لا يستثنى منه شيء دون شيء، بل هو شفاء من جميع الأمراض، النفسي منها والروحي والبدني أيضاً، لكن على حسب الإخلاص واليقين والقبول من المريض والمعالج.

ثانياً: إثبات أن الجنى قد يتلبس بالإنسان: إن هذا الموضوع مما كثرت فيه الأقوال، وتنوعت فيه الاجتهادات، والحق أن الجنى قد يتلبس الإنسان بأن يدخل في بدنه، فيسبب له الأذى، أو الوسواس الشديدة والتخيلات الفاسدة وليس المقصود أن كل حالات الصرع هي من هذا الجنس، أو أن كل التخيلات والأوهام من هذا الجنس، فإن منها ما قد يكون مرده مرضاً نفسانياً، أو عضوياً أو غير ذلك، ولكن هذا لا يمنع من وجود حالات يكون سبب الصرع فيها بسبب الجن أو نحو ذلك، والنصوص الشرعية تجيز ذلك ولا تمنعه، وأنا أذكر طرقاً منها إن شاء الله.

١- قال الله عز وجل: «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ» فهذه الآية توضح حال أهل الربا يوم القيامة وهو أنهم يقومون من قبورهم مصروعين مخبولين كالذي يتخبطه الشيطان ويصرعه من الجنون، وذلك خزي لهم يوم القيامة ففي هذه الآية إثبات لأن الجن قد يصرع الإنسان ويحدث له هذه الحالات من الصرع والخلل.

٢- حديث عثمان بن أبي العاص، قال: لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي، حتى ما أدري ما أصلي فلما رأيت ذلك، رحلت إلى رسول الله ﷺ قال: أين أبي العاص؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: ما جاء بك؟ قلت: يا رسول الله: عرض لي شيء في صلواتي، حتى ما أدري ما أصلي. قال: «ذاك الشيطان، أدته فدنوت منه، فجلست على صدور قدمي، قال: فضرب صدري بيده، وتفل في فمي، وقال: اخرج عدو الله، ففعل ذلك ثلاث

مرات، ثم قال: «الحق بعملك»^(١). وقد أخبر عثمان أنه لم يخالطه بعد ذلك.

٣- حديث أبي سعيد المتفق عليه أن النبي ﷺ قال: «إذا ثأب أحدكم فليضع يده على فيه، فإن الشيطان يدخل مع الثأب».

فهذا الحديث نص على جواز دخول الشيطان بدن الأدمي، ولكن جاز أن يدخل الشيطان بدن الإنسان مع الثأب، فإنه يجوز دخوله بدنه متلبساً له إن كان فاسقاً عارياً من ذكر الله تعالى، وكذلك إذا تسبب الأدمي في إيذاء الجن.

٤- حديث يعلى بن مرة قال: رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثاً لقد خرجت في سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها، فقالت: يا رسول الله هذا صبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء يؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة؟ - أي يتلبسه جان- قال: ناولنيه، فرفعته إليه فجعلته بينه وبين واسطة الرحل، ثم فغر فاه فنفت فيه ثلاثاً وقال: «بسم الله أنا عبد الله أخسأ عدو الله، ثم ناولها إياه، فقال: ألقينا في الرجعة في هذا المكان فأخبرينا ما فعل. قال: فذهبنا ورجعنا فوجدنا في ذلك المكان معها شياه ثلاث، فقال: ما فعل صبيك؟» قالت: والذي بعثك بالحق ما حسسنا منه شيئاً حتى الساعة، واجتزر هذه الغنم، فقال: «انزل خذ منها واحدة ورد البقية»^(٢).

٥- قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (٢٧٦/٢٤) «دخول الجن بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة»، وقال: (١٩/٢٣، ٤٢، ٥٥) وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك.

٦- نقل السدحان في رده المذكور على العمري بعضاً من كلام الإمام أحمد وغيره في إثبات دخول الجن بدن المصروع.

(١) صحيح ابن ماجه (٢٨٥٨).

(٢) قال الهيثمي رواه أحمد بإسنادين والطبراني بنحوه، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٩ / ٦).

وأرى - والله أعلم - أنه لا يسوغ لأحد أن ينكر ذلك الأمر، ويتفلسف في تفسير وتبرير كل ما يظهر من تصرفات الإنسان بأنه راجع إلى أمراض نفسية، وكأن هؤلاء المنكرين لتلبس الجان للإنسان إنما يروجون لعيادات الطب النفسي والتي وإن كانت تنفع في أشياء، إلا أنها لا تنفع في كثير من الأحيان، بل يعجز أطباؤها عن تفسير بعض - بل كثير - من هذه الأعراض فضلاً عن علاجها.

ثالثاً: مناقشة مع العمري في بعض ما ذكره:

١- كلامه عن وجود بعض - أو كثير - من الجهال الذين خاضوا هذا المجال شعوذة منهم ودجلاً وتكسباً للمال وخداعاً للناس، وهذا وإن كان صحيحاً إلى حد كبير، إلا أنه لا يمنع من وجود آخرين ممن يكونون صادقين في أدائهم لهذا العمل، ولا يقصدون به التكسب، ولا يخدعون الناس والحل حينئذٍ يتمثل في محاربة الصنف الأول، وليس في تشويه صورة الجميع، أو صد الناس عنهم، وإجبار الناس على عيادات الطب النفسي التي قد تنجح في علاج بعض الحالات، لكنها لا يمكن أن تنجح في علاج جميع الحالات، فالواجب حينئذٍ الاهتمام من قبل ولاة الأمور بمحاربة الصنف الأول من الجهال والمشعوذين الذين خاضوا هذا المجال، وكثير منهم لا صبر له على فتنة النساء، أو فتنة المال، بل إن البعض منهم حديثو عهد بالهداية أصلاً، وليس عندهم من العلم والزهد والتقوى ما يؤهلهم لخوض غمار هذا النوع من أنواع العلاج.

٢- ما ذكره من أن القرآن ليس شفاء للأمراض العضوية كلام باطل ومردود عليه ويكفي ما ذكرته في أول هذه المقالة للدلالة على ذلك، غير أن الاستشفاء بالقرآن يتوقف على مدى إخلاص القارئ المعالج، ومدى يقينه وتقواه، وكذلك مدى اقتناع المريض بهذا الدواء وتوكله على الله تعالى، فما ذكر من وجود حالات لم يصلح القرآن في علاجها فإن الخلل إنما حدث من ضعف اليقين والتقوى عند أحد الطرفين أو كليهما.

٣- ما ذكره من أن الرقية تكون من العين فقط، هذا كلام مردود، والنبي ﷺ قد رقى من غير العين، وأذن في تلك الرقية من العين، ومن سم العقرب، ومن النملة (قروح تخرج في الجنب) وغير ذلك، ومعنى الحديث أنه لا رقية أنفع من رقية العين، وقد ذكر النووي وابن القيم وغيرهما كلاماً طويلاً حول هذا الموضوع، فالعمري -هداه الله- قد استدل بجزء من الحديث، وترك الاستدلال بالباقي لحاجة في نفسه.

٤- ذكر العمري أنه وجد تفسيراً لمعظم تلك الظواهر في كتب علم النفس، وهذه الكتب إما كتبها أناس غير مسلمين، أو مسلمون متأثرون بغير المسلمين، ففسروا كل الظواهر غير العادية تفسيرات مادية بحثة أهملت جانب إثبات الجن وتأثيرهم، فتأثر بهم المسلمون الذين كتبوا في هذا الباب، وأصبحت كل المظاهر والأعراض ناشئة عن الاكتاب والشيزوفرينيا والبارانويا وغير ذلك، وذلك راجع إلى إنكار هؤلاء الكفار لوجود الجن، بل إن مدارس الطب النفسي في النمسا وغيرها تحاول تفسير أشياء لا تفسير لها إلا بأنها من فعل الشياطين يحاولن تفسيرها على أنها أشياء نفسية أو أنها من باب تناسخ الأرواح ونحو ذلك، هذا مع العلم أن رجال الدين منهم لا ينكرون وجود الشياطين وتلبسها بالإنسان أحياناً؛ بل إنهم قد نقلوا في الكتاب المقدس عندهم أن المسيح عليه السلام قال لتلاميذه «وباسمي تخرجون الشياطين». أي من بدن المصروع الذي تلبسه الشيطان، وكذلك يقوم كثير من رجال الدين النصراني بعلاج المسمومين من الجن بالضرب، وغير ذلك، غير أنهم يستغلون ذلك لتنصير من استطاعوا من الجهال، وهذا واقع في بعض البلدان العربية كمصر، ويعرفه الكثير من الناس هناك.

٥- قوله: إن السرطان لا يعالج بالقرآن: وهذا استهانة منه بشأن القرآن وقدرته على الشفاء بإذن الله ولك ما في الأمر أن المسألة متوقفة على إخلاص وتقوى ويقين الطرفين في العلاج، لكن لا يمكنه إنكار قدرة القرآن على الشفاء، وهناك كثير من الحالات عولج فيها أشخاص من السرطان بالقرآن، وشفوا بإذن الله، أما العلاج الطبي فإنه إن نجح في علاج بعض حالات السرطان، فإنه لا ينجح في أكثرها وتكون

نهاية المريض الموت كما هو معلوم ومشاهد، فلماذا لا ينكر العمري وأمثاله جدوى الطب الحديث في علاج هذا المرض.

٦- قوله: إن أقل من أربع شربات للعلل لا تنفع: واستدل بحديث: صدق الله وكذب بطن أخيك، وهذا استدلال فيه نظر، بل يمكن أن يقال إن الرجل لم يكن عنده اليقين الكافي حتى رأى إصرار الرسول ﷺ، وقوله صدق الله وكذب بطن أخيك، فحينئذ وجد عنده اليقين الكافي، فنفخ العلاج بإذن الله.

٧- قوله: إن الرسول ﷺ وصف أنواعاً من العلاج غير القرآن كالحجامة والحناء والعسل وغيرها، هذا كلام صحيح، لكنه لا يمنع من كون القرآن شفاء من هذه الأمراض أيضاً، غير أنه تعليم منه ﷺ لاستعمال الأسباب إن كانت نافعة، وخصوصاً أنه ليس كل الناس عنده من التقوى واليقين ما يكفي للاستشفاء بالقرآن من كل شيء.

٨- إذا كان العمري قد أقر بنفع العسل وغيره في علاج بعض الأمراض، فهل يقر كثير من أهل الطب بذلك؟ الواقع أن الكثيرين منهم لا يؤمن بأن في العسل خاصية الشفاء من كثير من الأمراض، بل هم ينكرون ذلك ويفضلون عليه الأدوية الحديثة التي قد تنفع وقد لا تنفع.

٩- قوله بأنه أول من فتح هذا الباب، وأنه أول من سيغلقه، يا أخي ليس هذا هو الحل، الحل في ضبط هذا العلاج ووضع قيود وضوابط تحول دون اتخاذه مهنة وحرقة، ودون استغلاله استغلالاً سيئاً، وليس بمنعه، والتفرغ لعيادات الطب النفسي والتي أصبح العمري من كبار الدعاة إلى ارتيادها.

وفي النهاية أسأل الله تعالى أن يبصر الجميع بما فيه الخير لهم في الدنيا والآخرة، وأن يعصمنا جميعاً من الزيغ والضلال، هو ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث السابع

الخدومات وأثرهن على الأسرة والمجتمع

فمنذ سنوات مضت ، كان البيت العربي عاماً والخليجي خاصاً ، لا يعاني من وجود كائن غريب وسط الأسرة ، غريب في عاداته وتقاليده ، بل حتى في دينه في كثير من الأحيان ، وأعني بذلك الكائن (الخادمة) ، وكان السبب في ذلك هو قيام الام بأعمال المنزل وتربية الأولاد ، وغير ذلك . ولكن دار الزمن دورته ، وخرجت المرأة للتعلم والعمل ، وحاولت أن تنافس الرجل في كل مجال ، معتقدة أن المرأة لن تحقق ذاتها ووجودها ولن تتساوى مع الرجل في كل شيء إلا بمزاحمتها له في التعلم والعمل وغير ذلك ، وبغض النظر عن هذه المبادئ الخاطئة والتي ليس هذا مجال الرد عليها ، فإن من العواقب الرخيمة التي نشأت من جراء ذلك ، وجود الخادمة داخل البيت بما تحمله من تصورات وأفكار ، وعادات وأخلاق ، تتنافى في كثير من الأحيان بل في غالبها مع مقتضيات ديننا ، ومع عاداتنا وتقاليدها مجتمعاتنا العربية المسلمة . واتسع نطاق هذه الظاهرة خصوصاً في دول الخليج حيث أصبح الكثير من البيوت فيه خادمة أو أكثر ، وأصبحت الخادمة هي المدبرة لشئون البيت في كثير من الأحيان ، بل حتى تربية الأولاد أصبحت تتولاها أيضاً وانتشرت هذه الظاهرة في دول أخرى مثل مصر وغيرها ، لكنها أظهرت في منطقة الخليج ، كل هذا جر من الويلات ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، تناقض في العقيدة بين الوالدين وبين الخادمة ، تناقض في الأخلاق والعادات والتقاليد ، تأثير متبادل نتج عنه في كثير من الأحيان ، تغير في أنماط السلوك والأخلاق حتى عند الوالدين ، وخصوصاً في حالة الخادمة غير المسلمة ، فضلاً عن أن تكون هذه الخادمة لها هدف بعيد يتمثل في إفساد هذه الأسرة وإفساد نسلها وتغيير نظام حياتها ، من ههنا كان لابد أن يبين هذا الأمر بكل وضوح

وصراحة، وأن يعالج علاجًا إسلاميًا صحيحًا، وأن نتعرف على كل أبعاده دونما حساسيات، فإن المرض إذا لم نعرف أسبابه وأعراضه بكل وضوح، ونواجهه بكل وسيلة ممكنة استنفحل حتى يكون سببًا في هلاك صاحبه، وهذا البحث محاولة للتعرف على أبعاد هذه الظاهرة في مجتمعنا، وأثارها السلبية، في مجالات متعددة كالناحية العقدية والخلقية والعادات والتربية والتأثير الاجتماعي والاقتصادي لها.

ويتكون هذا البحث من ثلاثة فصول وخاتمة:

الفصل الأول

فصل أحكام وحقوق الخدم، وفيه أربعة مباحث

- | | |
|----------------|--------------------------------------|
| المبحث الأول: | حكم اتخاذ الخدم. |
| المبحث الثاني: | حكم استخدام الكفار في بيوت المسلمين. |
| المبحث الثالث: | اختيار الخدم. |
| المبحث الرابع: | حقوق الخدم. |

الفصل الثانى

ويتعلق بالآثار الناجمة عن استخدام غير المسلمين

فمن البيوت ، وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول ، الآثار العقدية .

المبحث الثانى ، الآثار الخلقية

المبحث الثالث ، الآثار التربوية والاجتماعية

(أ) الآثار على الطفل (ب) الآثار على الأسرة

الفصل الثالث

الحلول المقترحة للحد من خطورة الخدم ومشاكلهم

الخاتمة : ويعد هذا البحث بمثابة تنبيه وإنذار لكل من يهمه الأمر حتى يمكن

اتخاذ اللازم .

هذا والله أسأل أن ينفع به كل من قرأه والمسلمين عامة وأن يجعله ذخيراً لنا يوم

المعاد .

وصل الله وسلم وبأرك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

الفصل الأول أحكام وحقوق الخدم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

المبحث الأول

حكم اتخاذ الخادم

اختلف أهل العلم هل يجب على المرأة القيام بأعمال البيت كتنظيف المنزل والملابس وطهو الطعام وتهيئة الشراب ونحو ذلك .

واختلفت أقوالهم في ذلك إلى ثلاثة أقوال :

القول الأول : لا تجب الخدمة على الزوجة ، فليس عليها أن تقوم بخدمة بيتها ، وعن ذهب إلى ذلك الإمام أبو حنيفة ومالك والشافعي وأهل الظاهر^(١) .

الثاني : وجوب الخدمة على المرأة في كل شيء .

قال الإمام أبو ثور : « عليها أن تخدم زوجها في كل شيء »^(٢) .

الثالث : وجوب الخدمة بالمعروف ، ويتنوع ذلك بتنوع الأحوال ، فخدمة المرأة القوية ليست كخدمة المرأة الضعيفة ، وصوب هذا القول شيخ الإسلام^(٣) .

والقول الثالث هو الصحيح في نظري ، ذلك أن من حق الزوج على زوجته خدمته في منزله بالمعروف بقضاء حاجاته من طهو الطعام وتهيئة الشراب إلى غير ذلك مما يحتاج إليه الزوج دل على هذا أن فاطمة عليها السلام أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يديها من الرحي وتساله خادماً فلم تجده فذكرت ذلك لعائشة - رضى الله عنها - فلما جاء رسول الله ﷺ أخبرته . قال على : « فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال : « مكانكما » فجاء فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال :

(١) زاد المعاد (٥/١٨٨) . (٢) زاد المعاد (٥/١٨٨) . (٣) مجموع الفتاوى (٣٤/٩٠ - ٩١) .

نظرات وتأملات من واقع الحياة

«ألا أدلكم على ما هو خير لكم مما سألتكم؟ إذا أخذتُمَا مضاجعكمَا فسبِّحَا الله ثلاثًا وثلاثين، واحمداً ثلاثًا وثلاثين، وكبراً أربعاً وثلاثين فهو خير لكم من خادم»^(١).

فحكّم النبي ﷺ على ابنته فاطمة - رضي الله عنها - بالخدمة^(٢).

وقول النبي ﷺ لامرأة أتت إليه في حاجة: «أذات زوج أنت؟ قالت: نعم. قال: كيف أنت له؟ قالت: ما آكوه إلا ما عجزت عنه. قال: «فانظري أين أنت منه فإنما هو جنتك ونارك»^(٣).

وكذا قول أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها وعن أبيها - : «كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله، وكان له فرس وكنت أسوسه وكنت أحتش له وأقوم عليه»^(٤).

قلت: ويترتب على هذا الخلاف المتقدم ذكره أن من قال بعدم وجوب الخدمة في حق الزوجة على زوجها يجب عليه أن يستأجر من يقوم بالخدمة في المنزل.

ومن قال: إن خدمة الزوجة لزوجها بالمعروف لا يمنعون ولا ينكروا اتخاذ الخدم في البيوت؛ لحديث فاطمة المتقدم حيث لم ينه النبي ﷺ عن ذلك مع مراعاة حدود الله - عز وجل - فلا يخلو هو بخادمته ولا تخلو هي بخادمتها.

* * *

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب، ومسلم في الذكر والدعاء، باب التسييح، ح (٢٧٢٧).

(٢) انظر أقضية الرسول ﷺ للقرطبي المالكي ص ٧٣، وزاد المعاد (١٨٦/٥).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٤١/٤) والحاكم في المستدرک (١٨٩/٢) وقال الحاكم على أثره (صحيح) وأقره الذهبي.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣٥٢/٦).

المبحث الثاني

حكم استخدام الكفار في بيوت المسلمين

استخدام الكفار واستجارهم في الأمور الدنيوية كالدلالة على الطريق أو الخدمة العامة أو العمل في الزراعة أو في المصنع جائز في حالة الضرورة^(١) إذا لم يوجد من المسلمين من يعمل ذلك .

قال الإمام البخاري : « باب استجار المشركين عند الضرورة أو إذا لم يوجد أهل الإسلام وعامل النبي ﷺ يهود خيبر »^(٢) .

قال العيني شارحاً هذه الترجمة : « أي : هذا باب في بيان حكم استجار أهل الشرك عند الضرورة ، وهذه الترجمة تشعر بأنه لا يرى استجار المشرك سواء كان من أهل الذمة أو من غيرهم عند عدم الضرورة إلا عند الاحتياج إلى أحد منهم لأجل الضرورة ، نحو عدم وجود أحد من أهل الإسلام يكفي ذلك ، أو عند عدمه أصلاً ، وأشار إليه بقوله : « وإذا لم يوجد أهل الإسلام » وقوله : « لم يوجد » . على صيغة المجهول وفي بعض النسخ : « وإذا لم يجد » على صيغة المعلوم ، أي : وإذا لم يجد المسلم أحداً من أهل الإسلام لكي يستأجره ، وجواب « إذا » محذوف يعلم مما قبله لأنه عطف عليه وقد قرناه ، « وعامل النبي ﷺ يهود خيبر » ، فمطابقة هذا التعليق للترجمة من حيث إنه ﷺ عامل يهود خيبر على العمل في أرضها ، إذ لم يوجد من المسلمين من ينوب متابهم في عمل الأرض في ذلك الوقت ، ولما قوي الإسلام استغنى عنهم حتى أجلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسقط بذلك قول بعضهم : وفي الاستشهاد بقصة معاملة النبي ﷺ يهود خيبر على أن يزرعوها نظر لأنه ليس فيه تصريح بالمقصود .

(١) فتح الباري (٤/٤٤٢) ، وعمدة القاري (١٠/٧١) وغذاء الألباب (٢/١٥) .

(٢) فتح الباري (٤/٤٤٢) .

نظرات وتأملات من واقع الحياة

قلت : كيف ينفي التصريح بالمقصود فيه ، فإن معاملته عليه السلام يهود خبير على الزراعة في معنى استتجاره إياهم صريحاً ^(١) .

وقال ابن بطال : « عامة الفقهاء يجيزون استتجارهم - يعني المشركين - عند الضرورة وغير ذلك لما في ذلك المذلة لهم » ^(٢) .

قلت : أما عند عدم الضرورة فلا يجوز استخدام الكفار ، وخاصة في جزيرة العرب ، فقد أوصى النبي عليه السلام بإخراجهم من هذه الجزيرة وأمر ألا يبقى فيها إلا مسلم وأوصى عند وفاته بإخراج جميع المشركين من هذه الجزيرة ، من أجل هذا تتابع أهل العلم على الفتوى بعدم جواز بقاء اليهود والنصارى والمشركين في جزيرة العرب .

فقد قال العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز - حفظه الله - في فتوى له : « يجب ألا يعاملوها معاملة المسلمة بل عليهم أن يبغضوها في الله لقلوه - عز وجل - : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أَسْوَءُ حَسَنَةٍ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بَرَاءٌ مِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ... ﴾ ^(٣) ، الآية .

وعليهم أن يردوها إلى بلادها إذا لم تسلم لأن هذه الجزيرة العربية لا يجوز أن يبقى فيها يهودي ولا نصراني ولا غيره من المشركين لا رجال ولا نساء . لأن النبي عليه السلام أوصى بإخراجهم من هذه الجزيرة ، وفي المسلمين والمسلمات غنى عنهم والحمد لله ^(٤) .

وكذا الشيخ محمد بن صالح العثيمين حيث قال في فتوى له : « لا يجوز استخدام خادمة غير مسلمة ولا خادم غير مسلم ولا سائق غير مسلم ولا عامل غير مسلم في الجزيرة العربية لأن النبي عليه السلام أمر بإخراج اليهود والنصارى منها . . . » .

(١) عمدة القاري (٧١/١٠) مطبعة مصطفى البابي الحلبي . (٢) فتح الباري (٤/٤٤٢) .

(٣) سورة الممتحنة ، الآية (٤) .

(٤) فتاوى مجلة الدعوة ص (١١٩ - ٢٠٢) .

المبحث الثالث

اختيار الخادم

يجب حسن اختيار الخادم ، فهو مطلع على ما في البيت من عورات وأسرار ويعيش كأحد أفراد الأسرة ويتقل من هنا إلى هناك ويتكلم مع هذا وذاك .

وللأسف أساء كثير من الناس اختيار الخادم والخادمة فيختارون من هي مجيدة للطبخ ذات مهارة فى تنظيف المنزل وتربية الأطفال أو من هي شابة ذات جمال أو خادم يجيد قيادة السيارة وإحضار مطالب المنزل ، وينسون أموراً هامة أهم من ذلك ، وهى الخصال والمواصفات الشرعية التى يجب أن تتوافر فى الخادم والخادمة ، وهى ما يأتى ذكره .

أولاً : اعتناق الديانة الإسلامية :

فهى تورث الإخلاص والخوف من الله - سبحانه وتعالى - وتجعل الخدم والخدمات يراقبون الله فى سرهم وعلانيتهم فيستشعرون مسئوليتهم فى جميع الأعمال التى تسند إليهم فى بيت المخدم ، فهم مسئولون عنها أمام ربهم كما جاء فى حديث النبي ﷺ : « كَلِّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَإِلِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »^(١) . فيلاحظ أن الإمام والرجل والمرأة والخادم قد اشتركوا فى المسئولية ، ولكن المسئولية مختلفة، فمسئولية الإمام إقامة الحدود وتحكيم الشرع ، ومسئولية الرجل فى أهله وأولاده سياسته لأمرهم وتوفية حقهم فى النفقة والكسوة

(١) رواه البخارى ، كتاب الجمعة باب الجمعة فى القرى والمدن (١/ ٣٨٠) ح ٨٩٣ من طريق سالم بن عبد الله بن عمر مرفوعاً .

نظرات وتأملات من واقع الحياة

والسكن والعشرة بالمعروف وحملهم على أوامر الدين، ومسئولية المرأة في بيت زوجها النصيح له والأمانة في ماله وفي نفسها وتربية أولادها تربية إسلامية والصبر على ذلك، ومسئولية الخادم لسيدته حفظ ما في يده من ماله والقيام بما يستحق من خدمته^(١).

ثانياً : الأمانة :

فالخادم الأمين إذا رأى عورة سترها وإذا علم سرّاً كتمه ، وهو أمين على مال سيده فيلزمه الوفاء لهذا البيت الذي ائتمنه حتى لا يقع في صفات المنافقين التي حذر منها النبي ﷺ حيث قال : « آية المنافق ثلاثٌ : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان »^(٢).

ثالثاً : القوة والمهارة في أداء العمل :

يجب أن تتوافر الخصال السابقة في كل عامل مع المهارة والقوة في أداء العمل ، وقد أشير إليها في قوله - تبارك وتعالى - حكاية عن بنت شيخ قيل : إنه شعيب : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾^(٣) . فالقوة إشارة إلى إحكام العمل والمهارة فيه ، والأمانة إشارة إلى إخلاص العامل في عمله برعاية حدود الله تعالى ورعاية حق المخدم .

يقول الزمخشري : « إذا اجتمعت هاتان الخصلتان - أعني الكفاية والأمانة - في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك ، وقد استغنيت بإرسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة أن تقول : استأجره لقوته وأمانته »^(٤).

قلت : قلّ من تجتمع فيه هذه الخصال كلها ، فإما أن يكون أميناً وليس بقوي أو

(٢) متفق عليه .

(١) انظر عمدة القاري (٥/ ٢٧٤) .

(٤) انظر تفسير الزمخشري (٣/ ١٧٢) .

(٣) سورة القصص، الآية (٢٦) .

الخدمات وأثرهن على الأسرة والمجتمع

يكون قوياً وليس بأمين ، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « أشكر إلى الله ضعف الأمين وخيانة القوى »^(١) .

ففي مضمون الشكاية سؤال الله تعالى أن يرزقه بمن جمع الوصفين القوة والأمانة حتى يستعين به على أمور المسلمين .

* * *

(١) انظر تفسير الزمخشري (١٧٢/٣) وتفسير القاسمي (١٠٣/١٣) .

المبحث الرابع

حقوق الخدم

١ - الرفق بالخدام :

فلا يكلف من العمل ما لا يطيق .

أمر النبي ﷺ بأن لا يكلف الأجير إلا ما يقدر عليه ، فقد قال - عليه الصلاة والسلام - : « **وَلَا يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ** »^(١) .

فإن كلفوا من العمل ما لا يطيقون فيجب معاونتهم ومساعدتهم ، عملاً بقول النبي ﷺ : « **وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعَيْنُوهُمْ** »^(٢) .

٢ - العفو عن إساءة الخادم وخطئه :

إذا أساء الخادم في العمل فينبغي العفو عنه ، وإن تكرر ذلك منه صرف عن العمل بالحسنى ، فإن كان العامل حراً الغني عقد العمل وإن كان عبداً عمل بقول النبي ﷺ في العبيد : « **إِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَقْبَلُوا ، وَإِنْ أَسَاءُوا فَاعْفُوا ، وَإِنْ غَلَبَكُمْ فَبِعُوا** »^(٣) وهذا الحديث وغيره وإن كان ورد في الأرقاء ولكن يستدل به على الإحسان للخدم الأحرار من باب أولى ؛ لأن رعاية كرامة الأحرار أحرى وأولى من رعاية كرامة العبيد .

٣ - الإحسان إليهم بالكسوة والطعام :

رغب النبي ﷺ في الإحسان إلى الخدام والمملوك بالكسوة والطعام ، فقال

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان باب إطعام المملوك (٣/١٢٨٤) ح (١٦٦٢) .

(٢) أخرجه البخارى ، كتاب العتق باب قول النبي ﷺ : العبيد إخوانكم (٥/١٧٤) ح

(٢٥٤٥) . ومسلم ، كتاب الإيمان باب إطعام المملوك مما يأكل (٣/١٢٨٣) ح (١٦٦١) .

(٣) أخرجه البزار ، كما في كشف الأستار (٢/١٤٥) .

عليه السلام: « فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمَهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيَلْبَسَهُ مِمَّا يَلْبَسُ »^(١).

وقول النبي عليه السلام: « إِذَا صَنَعَ أَحَدُكُمْ لِخَادِمِهِ طَعَامَهُ ثُمَّ جَاءَ بِهِ وَقَدْ وَلِيَ حَرَّةً^(٢) وَدُخَانَهُ فَلْيَقْعِدْهُ مَعَهُ فَلْيَأْكُلْ ، وَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ مَشْغُوهًا^(٣) قَلِيلًا فَلْيَضَعْ فِي يَدِهِ مِنْهُ أَكْلَةً^(٤) أَوْ أَكْلَتَيْنِ^(٥) .

إذا كان هذا في حق الخادم المملوك فالأجير الحر من باب أولى .

٤ - إعطاء الخادم أجره وعدم معاظنته :

يفرض الأجر للعامل جزاء كدحه في خدمة مسخدومه من غير بخس ، بل يستوفي حقه كاملاً غير منقوص ، ومن بخس الأجير حقه أو لم يعطه أجراً كان النبي عليه السلام يوم القيامة خصمه .

قال عليه الصلاة والسلام : « ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصِمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُؤْفِهِ أَجْرَهُ »^(٦) .

وحدث النبي عليه السلام على إعطاء الأجير أجره فور انتهائه من العمل ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ »^(٧) .

(١) أخرجه البخاري كتاب المتق باب قول النبي عليه السلام : «العيد إخوانكم فاطعموهم مما تأكلون» (١٧٤ / ٥).

(٢) أي تولى طبخه وإعداده .

(٣) أي الذي كثرت عليه الأيدي .

(٤) أي لقمة أو لقتين .

(٥) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان باب إطعام المملوك مما يأكل (١٢٨٤ / ٣) .

(٦) أخرجه ابن ماجه ، كتاب الرهن باب أجر الأجراء (٨١٦ / ٢) ح (٢٤٤٢) والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الإجارة ، باب إثم من منع الأجير أجره (١٢١ / ٦) .

(٧) أخرجه ابن ماجه ، باب أجر الأجراء (٨١٧ / ٢) ح (٣٤٤٣) والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الإجارة باب إثم من منع الأجير أجره (١٢١ / ٦) .

فالحديث يدل على أن الأجير إذا انتهى من عمله وجب إعطاؤه أجره على الفور بلا ماطلة أو إبطاء .

٥ - تخفيف العمل عن الخادم في رمضان :

رغب النبي ﷺ تخفيف العمل في رمضان عن العبد المملوك ، والأجير من باب أولى ، ووعده من فعل ذلك بالمغفرة والعتق من النار ، فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال عن رمضان : « وَهُوَ شَهْرٌ أَوْلَاهُ رَحْمَةٌ وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ وَأَخْرَهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ ، مَنْ حَقَّقَ عَنْ مَمْلُوكِهِ فِيهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَأَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ »^(١) .

٦ - تمكينه من أداء الشعائر الإسلامية :

مثل الصلاة في المساجد مع الجماعة والحج والاعتمار وغير ذلك .

* * *

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان في حديث طويل كما في مشكاة المصابيح (١/٦١٣) ، قال الألباني في مشكاة المصابيح : « إسناده ضعيف » قلت : هو موجود في شعب الإيمان في (٣/٣١٥ ، ٣١٦) وليست فيه هذه الجملة الأخيرة ، ولعلها سقطت من الناسخ والله أعلم .

الفصل الثاني

الأثار الخطيرة الناجمة عن استخدام غير المسلمات في البيوت

أكد^(١) آخر الإحصاءات أن اللائي يفدن إلى السعودية ومنطقة الخليج ومعظمهن من دول جنوب شرق آسيا ٤٥٪ منهم مسلمات ، ٤٥٪ نصرانيات و ١٠٪ من ديانات غير الإسلام ، والمسيحية ، وأعمارهن تتراوح بين ٢٥ ، ٣٥ عامًا ، و ١٠٪ منهن تزيد أعمارهن عن ٤٥ سنة ، ومعظمهن شابات ومتزوجات ، ولكنهن يأتين بدون أزواجهن ويشكلن نسبة ٦٠٪ ، أما غير المتزوجات فنسبتهن ٢٨٪ والأرامل ٦٪ ، وتؤكد لغة الأرقام أيضًا على أن ٧٦٪ منهن أميات ، و ٩٣٪ لا يتحدثن العربية .

ولقد أجريت استبيانًا في بعض مدارس مدينة الرياض وكان مجموع العينات الكلية التي شملها الاستبيان ٦٥٠ ، وبلغ عدد العينات التي امتنعت عن الإجابة ١١ أسرة فخرجت بالنتائج التالية :

١ - عدد الأسر التي يوجد عندها سائق (١٨٥) . بنسبة مئوية ٢٩ ٪ .

٢ - عدد السائقين المسلمين = ١٤٤ بنسبة ٨٠ ٪ .

وعدد غير المسلمين ٤١ بنسبة ٢٠ ٪ وأديانهم كالاتي :

نصراني ٢ بنسبة ١٧ ٪ .

بوذي ٨ بنسبة ٤ ٪ .

٣ - وجنسياتهم كالاتي :

إندونيسيا : ٥٦ سائقًا .

سيرلانكا ١٧ سائقًا .

الفلبين ١٧ سائقًا .

نظرات وتأملات من واقع الحياة

الهند ١٧ سائقًا .

كوريا ٩ سائقين .

بنجلادش ١٦ سائقًا .

مصر ٩ سائقين .

باكستان ١٦ سائقًا .

المغرب سائقان .

٤ - عدد السائقين الذين مع أسرهم ٣٠ ونسبتهم ١٦,٥٪ والذين لا تصحبهم زوجاتهم ١٥١ سائق بنسبة ٨٣,٥٪ .

٥ - عدد الشباب من السائقين ١٤١ سائقًا بنسبة ٧٨٪ والكبار ٤٠ بنسبة ٢٢٪ .

٦ - والمدخنين منهم ٤٥ سائقًا بنسبة ٢٤٪ .

٧ - عدد اللاتي يركبن مع السائق بمفردهن ٩٠ أسرة بنسبة ٥٠٪ .

٨ - الذين يدخلون على النساء في المنزل ٤٠ سائقًا بنسبة ٢٢٪ .

٩ - أما الأسباب التي أدت إلى وجود سائق فكانت الإجابة كالآتي :

١ - السفر الدائم لرجل المنزل .

٢ - الأب كفيف ، أو كبير في السن .

٣ - الذهاب إلى المزرعة وكثرة المشاوير .

٤ - الذهاب بالأطفال إلى المدارس والظروف العائلية .

٥ - المظهر الاجتماعي .

وامتنعت مجموعة عن الإجابة عن هذا السؤال .

١ - أما الخدمات فبلغ عدد الأسر التي يوجد عندها خادمة ٤٨٥ أسرة من المجموع الكلي ٦٥٠ نسبة ٧٧ ٪ .

٢ - بلغ عدد الخدمات المسلمات ٤٣٠ بنسبة ٨٨ ٪ .

عدد الخدمات المسيحيات ٣٠ خادمة بنسبة ٧ ٪ .

عدد الخدمات البوذيات ٢٥ خادمة بنسبة ٥ ٪ .

٣ - الجنسيات الأخرى :

١ - أندونيسيا ٣٢٤ بنسبة ٦٧ ٪ .

٢ - سيرلانكا ٤٠ بنسبة ٨ ٪ .

٣ - الهند ٤٥ بنسبة ٩ ٪ .

٤ - سيلان ١٧ بنسبة ٣,٥ ٪ .

٥ - الفلبين ٣٠ بنسبة ٦ ٪ .

٦ - باكستان ١٠ بنسبة ٢ ٪ .

٧ - مصر ٤ بنسبة ٠,٨ ٪ .

٤ - الأسباب التي أدت إلى وجود خادمة :

١ - عمل الأمهات في الوظائف العامة في الدولة .

٢ - كبر المنزل .

٣ - مرض الأم .

٤ - المظهر الاجتماعي .

ولقد أجابت جميع العينات بأن المستخدم الكافر يشكل خطورة على عقيدة

الأسرة وكانت النسبة ١٠٠ ٪ .

نظرات وتأملات من واقع الحياة

والخادمة في البيت ليست مجرد آلة ، بل إن لها ثقافة معينة ومشاكل اجتماعية وقيماً ومعايير وتقاليد اجتماعية مختلفة ، وبالتالي تنتقل ثقافتها فيظهر التأثير بها ، ولا عجب أن نسمع الصغار يرددون الطقوس والكلمات وحتى الأغاني بلسغات الخدم ويفرحون لسماعهن كثيراً ، وهنا مكمّن الخطر ، فإذا كانت الخادمة هي التي تلبس الأطفال وتطعمهم ، وإذا كان تعليم الحرف يجعل الإنسان تابعاً لمن علمه فكيف بمن يطعمه ويلبسه .

هذا إذا اكتفينا بمساعدة الخادمة في المجال البدني فكيف إذا انتقل العون إلى اللسان بحيث يدخل الأطفال مع الخدم في جدل وحوار وسؤال وجواب ، فهنا يكون الخطر أكبر وخاصة في غياب من يجب أن يكون الحوار معهم ، وهم الأم والأب بالإضافة إلى أن بعض المربيات يقمن بقصص الأطفال ، مع تدني مستوى التعليم لهن مما يولد آثاراً سلبية على ذات الطفل والاعتماد على الخادمة في توفير كافة حاجاته نتيجة انشغال الأم بوظيفتها وعدم قدرتها على الجمع بين مهام الوظيفة ومهام الأسرة فتعتمد على الخادمة كلياً في تربية أبنائها ، فتتحول الخادمة من مجرد مساعدة الأم في الأعباء المنزلية الروتينية بما فيها العناية بالطفل إلى مربية للطفل تضطلع بكل حاجاته من مأكّل ومشرب واستحمام ولعب ونوم في غياب الأم التام عن رعاية طفلها فتؤثر في سلوك الطفل ولغته ونظرته لأمر الحياة فيكتسب تلقائياً عاداتها وسلوكها ، بل إن عواطف الطفل تتجه بصورة تلقائية نحو الخادمة بدلاً من الأم بحكم التصاقه بها وتعايشه معها فينشأ غريباً في منزل ذويه فيتقادم الأمر حينما تسافر الخادمة إلى بلدها وينعكس ذلك على الطفل⁽¹⁾ ليصاب بالاكتئاب والحيرة ويفقد رغبته في الأكل ويصيه

(1) ساذكر نموذجاً واحداً لأثار تعلق الطفل بالخادمة ، نشرت جريدة الرياض في عددها رقم ٨٨٦٤ ما يلي : تقول إحدى السيدات : لم أكن أعلم أن إهمالي لطفلي البالغ من العمر سنتين وتركه مع الخادمة في كل الأوقات سيجلب لي وللطفل المتاعب ، فلقد تعود طفلي على أن يأكل من يد الخادمة ويشرب اللبن من صنع يديها ولا ينام إلا في حضنها بينما أنا مشغولة بأمر بسيط ، ونسيت في =

الضمور ، وقد تتولد لديه العقد النفسية ، فكم من المشاكل ألت بعدد من الأسر نتيجة تركهم لأطفالهم بأيدي الخدم الذين يعيشون ظروف الغربة وما يصاحب ذلك من أحاسيس تدفعهم لارتكاب الفواحش ، وإني لأتساءل : كيف يرسل الأب ابنته مع السائق إلى المدرسة ؟! لماذا لا يأتي بها الأب ؟! ألم يسمع حديث النبي ﷺ : « ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما »^(١) .

فالحاصل أن الخادم يأتي ومعه مشكلاته الأسرية والاجتماعية التي لها تأثير على الأسرة وعلى المجتمع عموماً وهذا ما نتناوله في المباحث التالية .

* * *

= غمرة انشغالي الاهتمام بإرضاع طفلي وإطعامه لما جاء وقت سفر الخادمة كان ذلك بداية مأساة طفلي الرضيع فلقد تعلق بها وتشبث بها رافضاً سفرها وابتعادها عنه ولما سافرت أضرب أسامة عن شرب الحليب وعن الأكل حتى ساءت أحواله وضعفت بيته بل ومرض بسبب فقدانه للخادمة ، وهذه القصة الواقعية في شأن طفلي المسكين أرويهما للرياض وأرجو أن تتخذ الأمهات منها العبرة والعظة .

(١) رواه أحمد والترمذي .

المبحث الأول

الآثار من الناحية العقدية

من خلال الاستبانة السابقة تبين لنا أن نسبة كبيرة من الخاديات غير مسلمات حيث يتبين للديانة المسيحية والمذاهب البوذية والهندوسية ، لذلك ظهر فيهن عادات فاسدة تخالف ديننا ومجتمعنا ، منها أن الخاديات يؤيدن اختلاط الذكور بالإناث ولا يجدن في ذلك حرجاً كما أن منهن من توافق على نوم الذكور مع الإناث بعد سن البلوغ ولا يمنعن من استقبال الضيوف من الجنس الآخر .

وأخطر ما في الأمر الدين غير الإسلامي الذي تعتنقه الخاديات ، ولقد اكتشفت خاديات تدعون إلى دينهن^(١) المخالف . مع أنهن يحملن جوازات سفر مسلمات . فقد نشرت جريدة عكاظ الحادثة الآتية :

« تقول إحدى الأخوات : اضطررت إلى استخدام خادمة واشترطت على مكتب الاستقدام أن تكون مسلمة وبالفعل جاءتني مسلمة على الورق فقط حيث اكتشفت أنها لا تعرف من الإسلام سوى الاسم فقط ، لا تصلي ومتبرجة ولا تستر وتفترق إلى أدنى المبادئ والعادات الإسلامية ، وحاولت أن أعلمها الإسلام ومبادئه ولكن بعنادها وصلفها أبت أن تتغير أو أن تتطور أو تستجيب على الفور، وبعد أسبوعين من استقدامها أبلغت مكتب الاستقدام بعدم رغبتنا فيها وتم تسفيرها رغم أنني كنت بحاجة شديدة إليها إلا أنني آثرت ترحليها حرصاً وحفاظاً على بيتي وأسرتي من مفاسدها»^(٢) .

(١) جريدة عكاظ العدد (٩٨٠٢) .

(٢) كيف تعاملت خدمك؟ ص ٣٤ .

وقد نشر الأستاذ أحمد الحصين في كتابه « هيلة والخدمة النصرانية » القصة

التالية :

« هيلة طفلة صغيرة تنتمي إلى أسرة مسلمة ، وهذه الأسرة سلمتها إلى الخادمة السيلانية النصرانية « ميوري » لتقلب عقيدتها الفطرية إلى عقيدة التثليث ، إن هذه الأسرة خانت الأمانة وفتحت أبواب التنصير في بيتها لهذه الخادمة والذهاب بطفلتهم إلى الكنيسة »^(١) .

وقصة أخرى : « أن فتاة مسلمة قد علقت في رقبته الصليب ، وعندما سئلت عن ذلك أجابت : هدية من الخادمة التي عندهم »^(٢) .

وقصة ثالثة مضمونها الآتي : « جاءت الأم من عملها مبكرة على غير العادة لتجد طفلها الصغير أمام الشمعة ، فحاولت أن تكلمه مراراً فلم يجيبها ، وبعد انقضاء فترة زمنية معينة أجابها ، فلما سُئِل عن السبب أجاب أنه كان يصلي كما علمته الخادمة المجوسية »^(٣) .

هذه تبيحة انشغال الأم عن طفلها وتركه للخدمة في غياب الأم التام عن رعاية طفلها فتؤثر فيه فيكتسب تلقائياً دينها وعاداتها وسلوكها . هذه نتيجة لإهمال تربية الطفل فينتج عن ذلك الآتي :

١ - إضعاف العقيدة في نفوس المختلطين بالخدم الكفار ، وقد ذكرنا نماذج على ذلك ، فإهمال تربية الأطفال والانشغال عنهم يجعلهم يميلون إلى الخدمات فيألفونهم وينبسطون إليهم ، وغير المسلمين يظهرون شعائر دينهم بدون تكلف ولا حياء ،

(١) كيف تعامل خدمك ؟ ص ٣٥ .

(٢) كيف تعامل خدمك ؟ ص ٣٥ .

(٣) كيف تعامل خدمك ؟ ص ٣٥ .

فلمجالس آثارها السيئة على الأطفال والكبار فيضعف في قلوبهم الإيمان شيئاً فشيئاً إلى أن تخرج الغيرة من قلوب المسلمين وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَعْتَدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمَعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْتَدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذْنٌ مِثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾^(٢) ، أي قد بين الله لكم فيما أنزل عليكم حكمه الشرعي عند حضور مجالس الكفر والمعاصي : ﴿ أَنْ إِذَا سَمَعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا ﴾ أي يستهان بها ، وذلك أن الواجب على كل مكلف في آيات الله الإيمان بها وتعظيمها وإجلالها وتفخيمها وهذا هو المقصود بإنزالها وهو الذي خلق الله الخلق لأجله ففسد الإيمان الكفر بها ، وضد تعظيمها الاستهزاء بها واحتقارها ، ويدخل في ذلك محادة الكفار والمنافقين لإبطال آيات الله ونصر كفرهم ، وكذلك المبتدعون على اختلاف أنواعهم ، فإن احتجاجهم على باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله ؛ لأنها لا تدل إلا على الحق ولا تستلزم إلا صدقاً ، بل وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه ويقتمح حدودها التي حدها لعباده ، ومنتهى هذ النهي عن القعود معهم : ﴿ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ أي غير الكفر بآيات الله والاستهزاء بها : ﴿ إِنَّكُمْ إِذْنٌ ﴾ أي إن قعدتم معهم في الحالة المذكورة : ﴿ مِثْلَهُمْ ﴾ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم والراضي بالمعصية كالفاعل لها^(٣) .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٦٨ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٤٠ .

(٣) تفسير كلام المنان (٢/ ١٩٨ - ١٩٩) .

٢ - إذهاب البغض للكفار من قلب المسلم نتيجة الاختلاط بهم ، فقد أمرنا أن نعادي أعداء الله الكفرة وأن نوالي أولياء الله الصالحين المتقين البررة .

فمن استخدم الكافر فلا شك أنه ينسبط إليه ويؤاكله ويشاربه ويجالس ويحادثه ويميل إليه قليلاً كما يميل إليه قولاً ، فيقلب العدو صديقاً ويدخل محبة الكفار إلى قلوب المسلمين ويذهب بغضهم ومعاداتهم من قلوبهم مع أن معاداة الكفار من أهم الواجبات علينا في الإسلام ، قال الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١) .

» يرشد الله تعالى عباده المؤمنين حين يبين لهم أحوال اليهود والنصارى وصفاتهم غير الحسنة ألا يتخذوهم أولياء ، فإن بعضهم أولياء بعض يتناحرون فيما بينهم ويكونون يداً على من سواهم ، فأنتم لا تتخذوهم أولياء فإنهم هم الأعداء في الحقيقة ولا يبالون بضرركم بل لا يدخرون من مجهودهم شيئاً على إضلالكم ، فلا يتولهم إلا من هو مثلهم ولهذا قال : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم والتولي القليل يدعو إلى الكثير ثم يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يكون العبد منهم^(٢) .

٢ - دعوة الطفل لاعتناق عقائد الكفار :

ومن الآثار السيئة التي تترتب على استخدام المسلمين للخدم الكفار أن الخدم الكفار من الرجال والنساء يحاولون أن يدعوا الأطفال الذين وسد إليهم أمرهم إلى غير دين الإسلام بشتى أنواع الإغراء ، فيربى الطفل على محبة دين الكفار وبغض دين

(١) سورة المائدة ، الآية (٥١) .

(٢) تفسير كلام المنان (٢/٣٠٤) .

نظرات وتأملات من واقع الحياة

الإسلام . وقد تقدم نماذج من ذلك . حتى تكون عادة الطفل كعادة الكفار وسلوكه كسلوكهم فلا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا ، وهذا الواقع المحسوس الملموس أثر من آثار شؤم استخدام المسلمين للكفار ، فقد اكتُشِفَتْ كثير من الخدمات يروجن لديهن رغم أنهن يحملن جوازات سفر مسلمات ، فالتنصير الخفى الذي يتم وفقًا لأسلوب « صانعي الخيام » والذي يستغل العمال المهينين الذين تحتاجهم البلاد الإسلامية المغلقة في وجه التنصير للدعوة للتنصير وخاصة في الجهات التي ليس لها ارتباط ظاهر بالتنصير في المنازل والمستشفيات والمدارس كخدم ومربيات وممرضات ومدرسين للغات الأجنبية ، فهؤلاء الذين يحملون راية التنصير في الخفاء يرون إخراج المسلم من الإسلام مكسبًا كبيرًا قد يضحون من أجله بالمال والعمل .

إن أسلوب التنصير من خلال الخدمات والمربيات يعتمد في الدرجة الأولى على السلوك الشخصي للخدمة ، إذ تحاول دائمًا أن تصنع سلوكًا حميدًا ، ملفتًا للنظر حتى يطمئن إليها الجميع وعندما تتأكد أن الجو قد خلا لها تسعى إلى تكوين العلاقات الشخصية المؤثرة ولا سيما مع الأطفال والأمين ، لذا لا يتجرأ هذا النوع من الخدمات على إبراز قول أو عمل يكشف خبيثتها وإنما قد تستخدم النشرات أو الصور أو الأفلام أو الأشرطة السمعية أو رسالة من الأهل كوسيلة لبث سمومها ، وهذا النوع أيضًا يحاول دائمًا أن يذكرك وبشكل غير مباشر مغلف بالخصوصية بأن ما تقوله لك أو تعرضه عليك يخصها هي أو يخص دينها ، وبطريقة لا شعورية وبذكاء منها يمكن أن تربط بين سلوكها المثالي المصطنع وبين النصرانية التي تنتمي إليها وتجعلك تتصور أن هذه الأخلاق الحميدة المصطنعة ما هي إلا نتيجة طبيعية للنصرانية وتتركك وشأنك دون أن تجبرك على شيء حتى يكون التأثير أقوى وأشد ، وقد لا يتردد هذا النوع أيضًا في ارتداء القلائد والصلبان أو حمل الإنجيل والقراءة فيه خلال المناسبات والأعياد النصرانية حتى إذا ما سنحت لها فرصة لإهداء هذه الأشياء اغتنمتها .

وقد يتصور البعض أن هذا من الأمور المستبعدة إلا أنه للأسف أن من المناهج

والأساليب التي دعا إليها المنصرون في مؤتمراتهم ولا سيما مؤتمر « كلورادو » الذي قالوا فيه : « يجب أن تعقد دورات تنصيرية موسعة في أجزاء مختلفة لكل قارة أو منطقة رئيسية ويجب أن تقوم مراكز تدريب المنصرين الأساسية بالمبادرة بالاتصال بمجموعات من المعلمين والأطباء والمرضيين والبنائين والخدم وغيرهم ، وهذا فضلاً عن أن الجهات التنصيرية تنسق دائماً مع مكتب القوى العاملة في الخارج - وأغلب هذه المكاتب نصرانية ، كي تضمن وصول العمال المنصرين إلى الدول الإسلامية » .
وللأسف يعتقد البعض أن وجود الطفل مع الخادمة لا يؤثر كثيراً على عقيدته ولكن لم يتبهوا إلى أن هذا الطفل لا يزال في سن التلقي والتعلم وما دام الأب مشغولاً خارج البيت سواءً بتجارته أو بزيارة الأصدقاء أو السفر وكذلك الأم مشغولة بوظيفتها أو بمكالماتها التليفونية أو خروجها إلى الأسواق والعلاقات الاجتماعية ، فكيف نتوقع أن يتعلم الطفل العقائد والمبادئ والأخلاق الإسلامية ؟ وكيف يلتزم بها إذا كان أكثر وقته مع الخادمة ؟ فإذا أراد النوم وجدها بجانبه وإذا احتاج لرعاية قامت بأمره وإذا أراد أن يستذكر دروسه وجدها أمامه !! فأين دور الأم والأب ؟ هل المصروف اليومي مع بعض الأوامر البسيطة يكون أساساً للتربية الإسلامية السليمة !!؟

* * *

المبحث الثاني

الآثار الخلقية والأمنية

الامن من أجل النعم التي يتفياً المسلمون في ظلها وهو عِدَّةُ الحق لمن آمن وعمل صالحاً : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾^(١) . لذا فإن أخطر ما يهدد مجتمع الإسلام أن يعكر صفوه أو يمس أمنه .

وهؤلاء الخدم من غير المسلمين يدخلون المجتمع ومعهم مشكلاتهم وتقاليدهم وأخلاقهم ، وغالبها يجافي سمات المسلمين ، فيتكدر الامن بالجرائم التي لها تأثير على الامن .

فالبعض من الخدم قام بسرقات ، وجرائم مختلفة منها الإيذاء البدني وصناعة الخمر ، بل ووصل إلى درجة القتل .

وإليك الأمثلة على ذلك :

أولاً : نماذج من بعض حوادث السرقة :

١ - نشرت جريدة الجزيرة في عددها رقم ٧٢٧٢ القصة التالية :

بحثت أم حمود بكافة وسائل البحث الممكنة ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ليأتي بنتيجة للعثور على طقم الذهب المفقود ! لم يبق إلا الخادمة ومع التدقيق في البحث في حاجياتها إلا أن أم حمود لم تخرج بنتيجة معجبة ومضت الأيام ليتوقف في أثناء أحدها جهاز « الكومبروسور » في الثلاجة المنزلية عن العمل وحينما أدارها رب الأسرة

كانت المفاجأة أن وجد الطقم الذهبي بين الأجهزة الخلفية للثلاجة ولم يكن هناك فرصة لسنية فاعترفت بمسئوليتها .

٢ - وجاء في جريدة الرياض العدد ٨٧٩١ القصة الآتية : افتقدت المدرسة شيك الراتب وظلت تبحث عنه في كل الغرف ، فتشت شنت اليد ودولاب الملابس وكل مكان يمكن أن تكون وضعت الشيك فيه ولكنها فشلت في العثور عليه وشاركتها الشغالة في البحث والتفتيش بعد أن أنكرت أنها رآته أو تعرف عنه شيئاً ، واحتدم الاتهام من المدرسة والدفاع من الشغالة واستسلمت المدرسة للأمر الواقع تمهيداً لإنقاذ الشيك من الصرف وفجأة ظهرت الشغالة تعلن أنها رأت الشيك في صفيحة الزبالة ممزقاً واحضرته مؤكدة أنها لا تعرف الشيك واعتقدته أنه مجرد ورقة ممزقة أخذت طريقها لصفيحة الزبالة . سرقة دافعها الحسد لربة البيت .

٣ - جاء في جريدة الرياض في العدد ٨٨٦٤ ما يلي : يقول المواطن (م.م) : في البداية أود أن أوجه كلمة لإخواني المواطنين وأحذرهم من الثقة المفرطة في الخدمات اللائتي يستقدمن من الخارج حيث كان لدي خادمة أندونيسية يبدو من مظهرها البسيط أنها طيبة وحنون وقد وثقت فيها زوجتي ثقة كبيرة حيث كانت تقوم بجميع الأعمال الموكلة إليها بكل جدارة حتى أحبها أطفالي وتعلقوا بها كثيراً ، ويستمر المواطن (م) في سرد حكايته للرياض فيقول : وفي يوم من الأيام افتقدنا إسورة ذهبية « بناجر » كانت في يد طفلي الصغيرة وبحثنا عنها في كل مكان حتى يئسنا منها ولم نشك لحظة في الخادمة المسكينة ، وقبل سفرها إلى بلادها لزيارة أهلها اكتشفنا الإسورة في شنتها وقد سرقتها من يد طفلي في غفلة عن أمها فما كان مني إلا أن الغيت تأشيرة العودة وجعلت خروجها نهائياً لا رجعة بعده ، وهذه الحكاية من الحكايات الواقعية والحقيقية التي قد تحصل في كل منزل .

٤ - وجاء في العدد (٨٧٩١) من جريدة الرياض أن الطريقة التي اتبعها أحد المواطنين في استعادة مسروقات منزله طريقة هادئة وبسيطة ، فقد طلب من زوجته أن

تأخذ الشغالة معها لجاتها ليتفرغ لتفتيش شنت الشغالة التي ستسافر إلى بلادها بعد ساعات وليبحث عن المفقودات على مهل ، نظراً لأن هذه المفقودات صغيرة الحجم ساعة، خاتم ، سلسلة ، وغير ذلك مما وصلت إليه يد الشغالة وأخفته بين ملابسها وداخل حقائبها وتمت العملية بسلام فقد استخرج من الشنطة كل السرقات .

٥ - وجاء في مجلة سيدتي العدد ٥٩٥ ما يأتي : قالت إحدى المدرسات :
تجبرني ظروف عملي على التعامل مع الخادمة فأنا لم أتعلم لكي أجلس في البيت بلا إسهام اجتماعي في مجال تخصصي ، ولكنني اكتشفت أن الثمن غال فلقد كنت فريسة سهلة للخدمات سرقني أكثر من مرة وبعضهن استغلت خلو البيت بعد خروجي مع زوجي للعمل في استخدام الهاتف في مكالمات خارجية مكلفة كل هذه المشاكل رغم حرصي على انتقائهن فأنا أسافر بنفسني وأجري لهن المقابلات ورغم ذلك جاءت محاولاتي بالفشل . فمع هذا الحرص تكون المحاذير .

٦ - وليت الأمر توقف على ذلك بل تعداه إلى استخدام الطفل في التسول ، فقد نشرت مجلة سيدتي في العدد ٥٩٥ ما يلي :

تقول إحدى النساء : إن الحديث عن الخدمات يشير في نفسي المواجه فذكرياتي معهن حافلة بالمبقيات ، أكثرها قسوة حينما استخدمت ابني الرضيع في التسول ، ففي غيابي كانت تلبس ابني ثياباً ممزقة رثة وتسرح به في الشوارع تستجدي المارة وسط حرارة الشمس وقسوة الطقس في الصيف الأمر الذي أدى إلى إصابة ابني بمرض اليم دون معرفة السبب حتى اكتشفنا أخيراً جرمها في حق الصغير حينما شاهدها أحد أقربائنا بالصدفة وهي تتسول به في أحد الميادين العامة وكانت المفاجأة مذهلة لنا جميعاً .

٧ - إذا تسولت الخادمة مستغلة مخدموها تدنّت إلى سرقة هذا المخدموم الطفل الذي جاءت لتخدمه فقد نشرت جريدة عكاظ في عددها (٩٥١٠) الآتي :

كان الأمر بالنسبة للام أكثر من طبيعي عندما طلبت الخادمة اصطحاب الطفلين معها لقضاء الحاجيات من السوبر ماركت (السوق المركزي) المجاور لهم ، فهي لا

تعلم أنها آخر مرة ترى فيها أبناءها وخرجت الخادمة ولم تعد ومضى الوقت دون جدوى وبدأ الشك والهواجس تحرك مشاعر الأمومة فيها فبدأت تشعر مع مرور الوقت أنها تفقد أعلى ما لديها في الحياة ، وراح الأب يطمئن الأم بأن الأمر عادي وأنهم سيأتون غداً أو بعد غد وبعد التحري والبحث الدقيق تمكن رجال الأمن بفضل الله من إلقاء القبض على الخادمة في مكان إقامتها ومعها الطفلان اللذان عادا لأحضان الأم .

٨ - ولبت الأمر توقف على ذلك بل تعداه إلى سرقة الزوج . جاء في مجلة

سيدتي العدد (٥٩٥) ما يأتي :

هذه حكاية ترويهما صاحبتها بندم شديد إذ كلفها استخدام خادمة ثمناً غالياً ، اختطفت الخادمة زوجها وتزوجته ، تقول السيدة : لم يمض على زواجنا سوى شهرين قليلة وكنت قد اتفقت مع زوجي مسبقاً أنني لن أترك عملي كإخصائية اجتماعية بعد الزواج لأنني أمارسه بحب وكفاءة يشهد لي بها الجميع ، فضلاً أنني لم أتصور نفسي في يوم من الأيام مجرد ست بيت ، متفرغة للمطبخ وغيره من الأعمال المنزلية وبعد انتهاء المرحلة الرومانسية من زواجنا بدأ زوجي في الشكوى من عدم انتظام حياته في البيت وبدأ يساومني على ترك العمل ، وخاصة أننا لم نكن في حاجة مادية إليه وهنا أشارت عليّ صديقة باستخدام خادمة ، ولم أجد مفرّاً من اللجوء لهذا الحل على الرغم من أنني كنت معارضة شديدة لفكرة الخادمة ، وافقت وأنا مصرة على عدم النزول عن قناعتتي وهي أنني سأعامل الخادمة تماماً كفرد من الأسرة لها كل الحقوق مثلنا تماماً وأصبحت علاقتي معها أقرب للصداقة ودفعني هذا إلى أن أفرض على زوجي أن يعاملها بطريقة خاصة تماماً كما أعاملها أنا ، خاصة وأنه كان في البداية متعالياً في التعامل معها ولم أكن أعلم أنني أفتح الطريق إلى هدم بيتي بيدي إذ سرعان ما تطورت العلاقات بينهما دون علمي ، حتى فوجئت ذات يوم « بنوال » تطلب الرحيل وحاولت أن أفهم منها السبب فسأقت مجموعة من الحجج المتضاربة بل إنني شككت أن يكون زوجي قد أساء لها من شدة سذاجتي ، بعد رحيلها اكتشفت أنها لم تعد إلى بلدها كما قالت ، وأخبرتني صديقتي أنها شاهدتها تتسوق أكثر من مرة وبدأت

الحقيقة تظهر تدريجياً حين أخذت مواعيد زوجي في الحضور والانصراف تضطرب وهو يقدم أعداءاً غير مقبنة وتبرح أولاد الحلال بإخباري بحقيقة أنه على علاقة بخادمتي سابقاً وحين واجهته كانت صدمتي الكبرى أنه لم ينكر بل واعترف أنه تزوجها وفوق ذلك قال : إنه متمسك بي كزوجة وهو ما رفضته تماماً وكان قراري بالانفصال لا رجعة فيه ، تختم السيدة كلامها قائلة : نصيحتي لكل زوجة عاقلة : حذار من الخادمة فهي قبله موقوتة داخل منزلك^(١) .

ثانياً : نماذج من الجرائم الأخلاقية :

وأسلوب الخادمة في كثير من الأحيان يكون عن طريق إسقاع شباب الأسرة في الفاحشة ، فإن لم تستطع أوقعت رب الأسرة ، فإن لم تستطع أدخلت الغرباء إلى المنزل فيتحول البيت إلى مستنقع آسن . انظر نماذج من ذلك في مجلة سيدتي العدد (٥٩٥) وكتاب كيف تعامل خدملك؟ ص ٤٠ ، ٤١ .

ثالثاً : صناعة الخمر :

نشرت الجزيرة في عددها ٧٢٧٩ ما يلي :

تبلغ مركز هيئة « . . . » إخبارية مفادها وجود شخصين يقومان بتصنيع الخمر بغرفتهما - غرفة السائق - داخل منزل كفيلهما المسافر حالياً خارج البلاد ، ودلت

(١) ونصيحتنا نحن لكل امرأة عاقلة هي أن تلزم بيتها وتقر فيه كما أمر الله تعالى ، وتشغل بحاجة زوجها وأولادها ورعايتهم فهذه مهمتها الأولى ، ولم تخلق المرأة لكي تخرج للعمل وتهمل في حق زوجها وأولادها ، مهما كانت كفاءتها في العمل ، بل هذا كله من تأثير الأفكار الغربية التي زرعت في نفوس النساء أهمية العمل ووجوب المساواة مع الرجل وغير ذلك ، وماذا ينفع العمل والراتب في مثل هذه الحالة؟ ولا سيما إن كانت لا تحتاج إلى الراتب . ثم لماذا تطلب المرأة الطلاق إذا تزوج زوجها بأخرى ؟ نعم في الحالة المذكورة قد يكون الموضوع قد اكتنفته عوامل غير مشروعة ، ولكن من جهة المبدأ لماذا تستعرض المرأة على زواج زوجها بأخرى وهو أمر قد شرعه الله تعالى وأباحه ؟ إن كل هذه الأشياء والحوادث إنما هي إفرازات ونتائج للبعد عن شرع الله تعالى .

التحريات الأخيرة على صحة ذلك فكان العزم بعون الله على كشف تلك العمليات الإجرامية التي تستهدف إفساد أبناء المسلمين وإغراقهم في مواطن الانحلال الخلقي ، وعندما أشارت الساعة إلى السادسة صباحاً كانت فرقة من مركز الهيئة ومحرر الصفحة عند الموقع المراد كشفه ، كانت سيارة الهيئة إلى جانب أحد المنازل بحيث نستطيع أن نرى كل داخل وخارج من ذلك المنزل الموضوع تحت المراقبة ، فقد كانت تحريات المركز تشير إلى خروجهما في هذا الوقت للترويج في لحظة فتح الباب فأطل شخص برأسه إلى الخارج يستكشف المكان ثم خرج الاثنان بهدوء واستقلا سيارة فارهة ، وفي هذه الأثناء وبعد مشوار قصير نسبياً توقفت السيارة الفارهة أمام أحد المنازل ، ترجل أحدهما وطرق الباب طرقات من نوع خاص كأنه مفتق عليها ، ففتح الباب شخص تبدو على ملامحه أثر حرارة شمس إفريقيا فصافحه ثم اتجه صوب خلفية السيارة حيث البضاعة ، في ثوان قصيرة أخرج الآسيوي ثلاث كراتين مياه معدنية ، وأثناء عمليات الاستلام والتسليم كانت مجموعة من رجال الهيئة يحيطون بهما إحاطة السوار بالمعصم فألقي القبض عليهما ، وفي غمرة هذه الأحداث المتلاحقة كان الرجل الآسيوي الآخر القابع خلف عجلة القيادة يهيم بالهرب بالسيارة ، وفعلاً تمكن من ذلك منطلقاً بسرعة عالية لدرجة عدم السيطرة عليها ، فكان قدر الله - سبحانه وتعالى - أقرب وأسرع بها فقد التحم السائق بسيارة الهيئة القرية من الموقع محدثاً بها بعض التلف فكانت عائقاً في وجهه من الهروب ، في هذه الأثناء كان عدد رجال من الهيئة قد أحاطوا بالسيارة وأنزلوا السائق ليلتحق برفيقه ، قام على أثر ذلك أحد الأعضاء بفتح الكراتين والتأكد من وجود المادة المسكرة في عبوات مياه معدنية ومعبأة بالكامل ، ركب الجميع السيارات المعدة لذلك وتوجهنا إلى المركز بتحرير محضر بتلك الواقعة ، بعدها توجه عدد من الأعضاء برفقة أحد السائقين إلى منزل كفيلهما حيث المصنع بما يحتويه من براميل وعبوات تدهش العقل وتدمي القلب .

رابعاً : الإيذاء البدني الذي يصل إلى حد القتل :

إن سوء المعاملة أو الغيرة النسائية لها عواقب وخيمة على نفس الخادمة حيث تدفعها إلى الغضب الذي يولد الحقد والضغينة التي ينتج عنها العداوة ، ومن المؤسف أن كثيراً من الأسر تعامل الخادmates بقسوة وقد يصل الأمر بها إلى معاملتهن كأنهن مملوكات لهم ويؤدي ذلك بالخادمة للانتقام ، وإليك بعض الحوادث الواقعة :

١ - الإيذاء بوضع محلول الكلوركس في الشراب :

وقد نشرت جريدة الجزيرة في عددها ٧٢٧٢ الحادثة الآتية :

بكى الطفل بكاءً مرأً بعد أن تناول كأساً من الماء أثناء تناوله طعام العشاء ولم يكن أحد يعلم سر ذلك البكاء المفاجئ له ، ومع تزايد حدة البكاء وظهور حركات تشنج عنيفة قرر الجميع الخروج بالطفل لأقرب مركز إسعاف وهناك أكد الطبيب حالة تسمم بمواد كيماوية مركزة ، خشي الأب أن يصيب البقية الباقية من الأسرة ما أصاب الطفل ولكن شيئاً من ذلك لم يكن . فُحصَ طعام العشاء وحللت مواده في المختبر فكانت النتيجة سلامة الطعام من أي أثر غير طبيعي ، فحص الأب بقية الأوعية على السفرة فشم رائحة غريبة بالكأس الذي شرب منه الطفل ومع التحليل تأكد الجميع أن نسبة كبيرة مما شربه الطفل كان محلول « الكلوركس » قدمته الخادمة بيدها لطفلهما المدلل .

٢ - الإيذاء بوضع الغائط في الطعام :

فقد نشرت جريدة الجزيرة في عددها ٧٢٧٢ ما يأتي :

تخلق على سفرة الطعام أغلب أفراد الأسرة في الساعة الثالثة عصراً مع عودة الأب من عمله الوظيفي ، ومع تكامل المائدة بعد التسمية بدأ الجميع في تناول طعام الغداء ، وبعد أن مضغ البعض أكثر من لقمة لم يقو البعض الآخر على ابتلاعها بينما أصيب أحدهم مباشرة بحالة غثيان مزعجة ، توقف الجميع عن الأكل ، أكد الأب

على من ابتلع شيئاً من ذلك الطعام بأن يحاول الاستفراغ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، قصد عبد العزيز المطبخ بحثاً عن الخادمة المشاكسة فقد كان شبه متأكد من مسئوليتها عما حدث ولكنه لم يجدها ، نقبوا عنها في البيت طويلاً وعرضاً ولكن أحداً لم يجد أثرها (لمازية) فقد استطاعت الهروب بعد أن وضعت المائدة بين أيديهم ، وبعد ثلاثة شهور وبضعة أيام اتصل مندوب « إدارة العمال المتخلفين » في وزارة الداخلية لإخبار الكفيل بأنه تم العثور على « مارية » متلبسة في قضية ما ، ومع التحقيق اتضح حقيقة التلوث الذي أكدته التحليل المخبري ، وأنه كان بمواد غاية في السقدارة تنم عن حقد شديد .

٣ - الإيذاء بالسحر :

(١) جاء في جريدة الأمة الإسلامية العدد ٤٢ ما يلي : قالت إحدى السيدات : إنها كانت تعامل خادمتها بقسوة لكن دون أن تتعمد ذلك ؛ لأن مشكلة حياتها الأساسية منذ الطفولة أنها تثور بشدة وتغضب بسرعة لآتفه الأسباب ، وأضافت : كانت خادمتي أندونيسية استمرت في العمل معي طوال عامين ، ورغم سوء معاملتي لها - رغمًا عن إرادتي كما ذكرت - فقد فوجئت بها تخبرني برغبتها في تجديد عقد عملها لدي ، لكنها طلبت مني إجازة لمدة أربعة أشهر تقضيها في بلدها مع أطفالها ثم تعود إلي مرة أخرى ، ورحبت بذلك لكوني في أمس الحاجة إلى مساعدتها في أعمال المنزل ، ولكونها مطيعة وتعرف طباعي بشكل جيد ، ففعلتُ صدقت تلك الخادمة في وعدها حيث عادت إلى منزلي فور انتهاء إجازتها ، ولم يدر بخليدي لحظة واحدة ما كانت تضمه لي من شر ، وبعد أيام من عودتها فوجئت بأنني أصبت بحالة من الشلل الكامل ، لا أستطيع الحركة أو الكلام ، وعندما سارع أهلي إلى نجاتي وعرضوني على الأطباء لعلاجي ، لم يجدوا لدي أي عارض صحي كما تقول ، وفي الوقت ذاته أخبرتني الخادمة برغبتها في العودة إلى بلدها بشكل مفاجئ ، وبعد أن ضيق عليها شقيقي الخناق ، ليعرف سبب إصرارها على العودة ، أخبرته أنها لا تحبني

ولا تحب العمل معي ، ولم أكتشف أنها وضعت لي سحراً أتت به من بلدها إلا بعد سفرها ، واستدركت قائلة : الحمد لله على كل شيء ، فبعد علاجي بالرقية بالقرآن ، أمثال حالياً للشفاء ، وأشعر بأن الحياة تدب في أوصالي ، إنها تجربة مريرة غاية المرامة ولن أكررها مرة أخرى .

(ب) وجاء في نفس الجريدة ونفس العدد ما يلي : خادمة عانت كثيراً من سيدتها ، أرسلت لأهلها في أندونيسيا لعمل سحر لإيذاء سيدتها وإرساله لها في خطاب حتى تؤذيها قبل نهاية عقد عملها ، ولم ينقذ هذه السيدة من الشر المحيط بها سوى شك زوجها^(١) - الذي تسلم الرسالة - في ثقل وزنها ، فذهب الزوج برسالة الخادمة إلى إحدى الخادמות الأندونيسيات التي تعمل لدى أحد جيرانه ، وطلب منها قراءتها ، وبعد إلحاح كشفت له أن الرسالة بها سحر أعد لزوجته ، فقام من فوره بترحيل الخادمة إلى بلدها ، قبل أن تؤذي زوجته بطريقة أخرى .

٤ - الإيذاء بوضع الدبوس في رءوس الأطفال :

تقول إحدى الخادמות : إنني أعرف من الخادמות من غرز الدبابيس في رءوس الأطفال^(٢) .

وجاء في كتاب استخدام الخادمة الواقعة الآتية :

(١) « نقل لي أحد الأصدقاء ، أن أحد الأشخاص استقدم خادمة لزوجته من إحدى البلدان في أول حياتهما الزوجية ، فظن أنه قدم لزوجته هدية سوف تشكره عليها ما امتدت بها الحياة ، ولم يعلم أن هذه قبيلة موقوتة سوف تنفجر في أي لحظة

(١) هكذا جاء في الجريدة وهذا خطأ في التعبير ، فالذي نحى هذه السيدة هو الله - عز وجل - فهو الذي قدر أن يتسلم الزوج الرسالة وأن يشك فيها ، ومن ثم قام بعرضها على إحدى الخادמות الأندونيسيات للتعرف على ما بداخلها .

(٢) جريدة الجزيرة العدد (٧٢٧٢) .

من اللحظات ، لقد تحول هذا المنزل إلى أحزان وأوهام ، لقد رزق الله الزوجة بمولود وحمداً الله على ذلك ، ولكن بعد أيام مرض الطفل مرضاً شديداً ، فذهب به إلى الطبيب وبعد الكشف عليه تبين أنه لا يوجد أي شيء على جسم الطفل ظاهراً ، ثم وصف علاجاً له حسب العادة المتبعة ، وبعد أيام توفي الطفل وحزنا عليه أشد الحزن وقالوا : إنه قضاء الله وقدره ، وبعد فترة من الزمن أكرمهما الله بمولود آخر ، وفرحاً به أشد من الأول ، وحافظاً عليه أكثر من محافظتهما على أنفسهما ، فأصابه من المرض ما أصاب أخاه وكانت النتيجة هي الوفاة ، فكانت التساؤلات تدور بخلد الأب والأم ، وشاء الله - عز وجل - أن يتجاوزا مع إحدى الأسر ، وكانت هذه الأسرة لديها خادمة ، فتمت الزيارات بين الأسرتين ، وتقابلت الخادمتان ، فرأت الخادمة الأولى أن الخادمة الثانية يكون الأطفال في حجرها وفوق ظهرها ، يلعبون ويسرحون ، فسألت الخادمة الأولى : كيف تسمحين لنفسك بمثل هذه الضوضاء والتعب وعدم الراحة ؟ فقالت لها الخادمة : أنا مرتاحة لذلك ، وهنا اتضح أن الخادمة الأولى لا تستسيغ صراخ الأطفال ، ولقد تخلصت من الطفلين السابقين بطريقة بشعة مخيفة ، لا يقبلها دين ولا عرف ، وتمثل هذه الطريقة بأن تمسك دبوساً أو إبرة فتضعها في وسط رأس الطفل ، لأن هناك منطقة ضعيفة شفاقة تعرفها الأمهات ، فتدخل هذه الأكلة إلى آخرها حتى تستقر في المخ ثم تنزعها فتكون النهاية المؤلمة^(١) .

(ب) جاء في جريدة الأمة الإسلامية العدد ٤٢ ما يلي : قالت إحدى السيدات : كانت جارتي تسيء معاملة خادمتها وتكلفها ما لا تطيق وتهين كرامتها أمام الضيوف ، ووصل الأمر بالخادمة إلى أنها طلبت مني العودة إلى بلدها دون إتمام فترة العقد ، وبعد أن سافرت الخادمة إلى أندونيسيا ، فوجئت جارتي تلك بأن طفلها الصغير دائم الصراخ والبكاء طوال الليل والنهار ، وعندما اصططحبته إلى الطبيب اكتشف بأن الخادمة غرست دبوساً صغيراً في رأس طفلها كنوع من الانتقام من أمه .

(١) ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

٥ - الإيذاء بالقتل :

(١) نشرت جريدة الأمة الإسلامية في عددها ٤٢ ما يلي :

الخادمة (لولافي) قتلت الشبيخة لطيفة ، وبلديات « لولافي » حاولت قتل مخدومتها في الدمام ، وثالثة قتلت أسرة بكاملها في دبي .

(ب) وجاء في كتاب كيف تعامل الخدم الواقعة الآتية : « خادم من جنوب شرق آسيا اتفق هو وزميل له على سرقة بيت مخدومهما ، فما كان منهما إلا أن جاء في أحد الأيام فوجدوا - على حين غفلة من أهل المنزل - رب الأسرة يقرأ في الصحيفة ، فهجما عليه وقتلاه ، وكانت ربة الأسرة في المطبخ تعد الطعام ، فدخلها عليها وهجما عليها فارتمت على الأرض مغمى عليها ، وعندئذ قاما بالاعتداء عليها وسرقا ما استطاعا سرقتها ثم قاما وهربا ، فما كان نصيب الأسرة إلا أن الأم أصبحت في حالة خطيرة في المستشفى ، ورب الأسرة قتيلاً^(١) .

وأحيانًا تؤدي سوء معاملة الخادمة إلى مثل هذه الجرائم ، وكذا زيادة الأعباء المنزلية وعدم إعطائها الوقت الكافي للراحة مع عدم الاكتراث بمشاكلها النفسية والاجتماعية ، مما يدفعها للقيام ببعض التصرفات الانتقامية ، أو الهروب من المنزل ، وإليك بعض النماذج .

١ - الغضب على الخادمة بدون سبب :

تقول آدم الفليبينية : سيدتي امرأة مزاجية الطبع ، فإذا كانت سعيدة تعتبرني كإحدى بناتها ، أما إذا غضبت لأي شيء ولو لم أكن أنا السبب ، فإنها تقعد الدنيا وتقلبها على رأسي أنا فقط ، وتضيف : إن تجاربي مع سيدتي علمتني متى أبتعد عن وجهها لأتسخر في أي شيء ، كالذهاب إلى السوق لشراء أغراض المنزل ، أو الاختفاء في إحدى الغرف بحجة تنظيفها ، ومتى أقرب منها في لحظة سعادتها حيث تجود عليّ ببعض المال أو بشيء من الهدايا ، عمومًا فإنها إنسانة طيبة القلب .

(١) ص ٣٩ .

فالقسوة في هذه الواقعة أن سيّدة البيت إذا غضبت لأسباب لم تكن الخادّمة طرفاً فيها فإنّها تغضب على الخادّمة وتقسو عليها^(١).

٢ - تعبير الخادّمة بالقبح :

جاء في الجريدة نفسها : تقول الخادّمة الهندية (ناني) : سيّدتى التى اعمل لديها منذ ثلاثة شهور فقط تعيرنى دائماً بأننى قبيحة المنظر ، وتسبىنى دائماً باللّغة العربية ، ظلّاً منها أننى لا أفهم منها ما تقول ، وهى لا تعلم أننى أعرف بعض الكلمات العربية ، وتضيف ، إننى أفكر حالياً فى السفر إلى أهلى ، ففقرى أهون علىّ من المعاملة السيّئة^(٢).

٣ - ضرب الخادّمة :

جاء فى الجريدة نفسها : تقول السيّدة (س.س) : إننى اغتاط بشدّة من الخادّامات بصفة عامّة بعد تكرار عدّة مواقف لى مع خادمتى ، لذلك أعمم غيظى على الخادّامات كلهن ، فعندما حضرت هذه الخادّمة إلى منزلى تظاهرت بالخجل وطبّية القلب فى بداية الأمر ، وكانت تمثّل علينا الحياء ، فابتلع أهل المنزل جميعهم الطّعّم ، وتضيف : لكنّها بعد أن تعرّفت علىّ خادّمة الجيران بدأت تتغير شيئاً فشيئاً ، فأصبحت لا تهتمّ بالقيام بأعمال المنزل ، وعندما أصرخ فى وجهها نتيجة تقصيرها فى العمل تتوقف عن العمل بشكل يستفزّ مشاعرى أكثر فأكثر ، وزاد الأمر سوءاً أنّها أصبحت فى الفترة الأخيرة لعمليها معى تبادلنى الصراخ ، تطالبنى بمساعدتها لعدم قدرتها على القيام بأعمال المنزل وحدها ، وما إن فعلت ذلك حتى قمّت بضربها ، ففوجئت بها تركض نحو باب المنزل حاملّة ملابسها لتختفي^(٣).

(١) جريدة الأمة الإسلامية العدد (٤٢) .

(٢) جريدة الأمة الإسلامية العدد (٤٢) .

(٣) جريدة الأمة الإسلامية العدد (٤٢) .

هذه نماذج لسوء معاملة الخادmates وليس معنى هذا أن كل ربوات البيوت على هذه الشاكلة من القسوة ، بل إن منهن من تعطف على خادمتها وتساعدنها في أعمال المنزل وتعاملها كابنتها وإليك بعض النماذج :

١ - تقول « كارتينا » الخادمة الأندونيسية : سيدتي عمرها حوالي ٧٠ عاماً وهي الأمرة الناهية في المنزل ، فلا تجعل أحداً يفضيني أو يعاملني بشكل سيئ ، وتقول لأولادها دائماً : إنها خادمتي أنا فليس لأحد منكم أي علاقة بها ، فإذا أخطأت فأبلغوني وسوف أتصرف معها بطريقتي .

إنني أحب تلك السيدة وأعتبرها كأمي تماماً ، وأتفاني في خدمتها بشكل لا تتخيله . . كيف لا ؟ وهي تصطحبني إلى السوق معها لتشتري إلي أجمل الملابس . . إنني عملت معها منذ تسعة أشهر وأعتزم تجديد عملي معها لفترة أخرى بعد انتهاء العقد والحمد لله أن رزقني بسيدة مثلها^(١) .

٢ - تقول السيدة أم عبد العزيز : « إنها تعامل خادمتها كأختها ، وتقول : لا أحب أن أركي نفسي فالخادمة بشر مثلنا ، لها ما لنا وعليها ما علينا ، بل يزيد عليها تحملها هذا العمل الشاق الذي تقوم به ، وغربتها عن أهلها وبلدها للحصول على لقمة خبز شريفة تغنيها عن سؤال الناس . . وتضيف : يعلم الله أنني أعامل خادمتي كأنها من أفراد الأسرة ، خاصة أنها مسلمة تؤدي الصلوات في أوقاتها . . لذلك فإني دائماً أساعدها في الأعمال المنزلية ، ولا أحملها ما لا تطيق من أعمال . . فالإسلام لا يفرق بين الخادمة ومخدومتها . . أو الفقيرة أو الغنية فكلنا سواء أمام الله عز وجل^(٢) .

٣ - قالت إحدى السيدات : صدقوني إنني أعامل خادمتي بكل رقة . . كما تعاطف معها لكبر سنها ، وإحساسها بالضعف لغربتها ، وفي حالة حدوث أي خطأ

(١) جريدة الأمة الإسلامية العدد (٤٢) .

(٢) جريدة الأمة الإسلامية العدد (٤٢) .

منها في الأعمال المنزلية ، فإنني أغضب منها لكن سرعان ما أعود لأتحدث معها بركة خاصة عندما أرى الدموع تكاد تنحدر من عينيها .

وأضافت : لقد استمرت في العمل معي طوال عامين ثم أعربت عن رغبتها في تجديد العقد للمرة الثالثة . فهي تحب أولادي ومعجبة بأسلوب اللطيف في معاملتها ومعاملة زوجي الحسنة لها^(١) .

* * *

(١) جريدة الأمة الإسلامية العدد (٤٢)

المبحث الثالث

الآثار التربوية والاجتماعية

إن تدفق العمالة الوافدة غير المسلمة وتغلغلها في حياة الأسرة نتيجة الرفاهية في المجتمع ، لتتضح آثارها في سلوكيات الأفراد والأسرة ، فلقد كانت الأسرة قديماً تعيش حياة هادئة بسيطة في متطلباتها واحتياجاتها ، وكان صغر مساحة البيت وكثرة عددة أبناء الأسرة وتعاونهم المفرط عوامل ضمنت للأبناء تربية وتنشئة صالحة ، ولم يكن للمرأة عمل سوى عملها داخل المنزل ، مهما كان هذا العمل شاقاً ، فلما اكتشف النفط وتدفقت عوائده ، تغيرت صورة المجتمع فازدادت مساحة المسكن ، وازدادت معها متطلبات ذلك المسكن ، لدرجة لم تعد فيها المرأة قادرة وحدها على أداء وظائف ومتطلبات الحياة الجديدة دون مساعدة من غيرها ، في الوقت الذي زادت فيه احتياجات الدولة للنساء في مجال تخصصهن ، كالتدريس والطب والشئون الاجتماعية، مما أدى إلى الاحتياج إلى الخادمة ، لعدم قدرة بعض النساء العاملات على الجمع بين مهام الوظيفة ومهام الأسرة . ولكن للأسف فإن بعض الأسر تعتمد لاستخدام ثلاث وأربع خادومات ، ليس من باب الحاجة ، وإنما من باب الوجاهة والتباهي . هذا الاستخدام غير الضروري أتى لنتيجة الثراء ، فهنا يغيب دور الأم كربة للبيت ، ومربية للأطفال ، ويغيب دور الزوج ، ويصبح السائق والطباخ هما اللذان يقومان بأعباء ومتطلبات الأسرة .

فهذه الظاهرة تهدد كيان الأسرة ، ورب الأسرة هو السبب المباشر في ذلك ، لعدم قيامه بمسئولته ، وكذلك قد يكون هو السبب المباشر في سلبية الزوجة ، إذ يوهما بوضع الخدم تحت إمرتها طمعاً في راحتها ، وهو في الأساس يبحث لنفسه عن راحته وطريقته التي تخلصه من تحمل مسؤولية الأسرة وبالتالي لا يجد مبرراً لإدائته في التقصير في حق الأسرة .

ولا شك أن الاحتكاك بهذه العمالة غير المسلمة وتغلغلها في حياة الأسرة نتيجة للظروف المذكورة آنفاً ، أثر بصورة سلبية على الطفل والأسرة وإليك تفصيل ذلك :

أ - الآثار على الطفل :

أولاً : ضعف الوازع الديني والأخلاقي .

ثانياً : إحداث فجوة بين الأم وولدها نتيجة حرمانه المبكر من حنانها ، فيؤدي إلى ضعف تعلق الطفل بأمه ، وبالتالي يشعر الطفل بعدم الحاجة لها ، لأن الخادمة توفر له جميع احتياجاته .

ثالثاً : غرس قيم وعادات ذميمة ، كالتدخين مثلاً .

رابعاً : اتجاه بعض الأطفال إلى العنف ، نتيجة شعورهم بالحيرة بين ما تعلمه من الخادمة وما تعلمه من الأم .

خامساً : تلجأ بعض الخدمات إلى الصراخ وضرب الأطفال في غياب الأبوين ، مما يولد لديهم عقدة الخوف ، فيصابون بعقد نفسية وبعدم القدرة على التعبير عما يختلج في نفوسهم ، فينشئون ضعفاء مترددين غير قادرين على اتخاذ القرارات الحاسمة في حياتهم ، مع فقدان الثقة بالنفس والقدرة على المواجهة .

سادساً : تربية الخادمة للطفل على عدم الحجل والحياء ، فالخدمات الكافرات لهن ثقافتهن المغايرة لما هو شائع في بلادنا وبخاصة من الناحية الأخلاقية .

سابعاً : التكتم على سلوكيات سيئة في الأطفال وعدم إخبار الأم بذلك لأجل كسب محبة الطفل .

ثامناً : تدخل الخادمة في أسلوب الأم في توجيه أبنائها ، وذلك بمحاولتها تعويد الأم على أسلوبها هي في التربية ، أو بمحاولة فرض الأسلوب الشائع في بلدها أو بين أهل ملتها .

تاسمًا : التدليل الزائد للطفل لرغبة في كسب مودته وزيادة تعلقه بها ، أو لأنها معتادة على هذا الأسلوب وتجهل ما له من آثار خطيرة بعد ذلك .

عاشرة : التأثير اللغوي للمربيات مما يؤدي إلى تأخر النطق عند الطفل أو تعلم لغة الخادمة ، وليس مستغربًا أن يقتقد الطفل الطلاقة في الكلام إن كان حديثه مع الخادمة ، حيث ينحصر الحوار باستخدام مقتطفات من كلمات لا هي بالعربية ولا هي بالأجنبية .

يقول الدكتور فرج أحمد فرج رئيس قسم علم النفس بكلية آداب عين شمس بمصر :

« استوقفتني أمر أثناء زيارتي لإحدى دول الخليج ، فقد قام التلفزيون ببث برامج أجنبية مصحوبة بالترجمة ، بينما الأفلام الهندية غير مصحوبة بالترجمة ، فسألت بدهشة بعض الإخوة هناك عن هذه الظاهرة ، فكانت إجاباتهم على غير المتوقع حينما قالوا : إنهم يستطيعون فهم اللغة الهندية لأنهم ألفوها حيث فتحوا أعينهم على مربيات هنديات ، بل إن هذه اللغة تعد الثانية التي يعرفها العرب ، وهذه الظاهرة نشاهدها في الخليج بل رأيت بعض الصبية العرب يتحدثون الهندية مع الهنود ولم لا ؟ فهي اللغة الأولى التي يلقنها الطفل على يد المربية ثم تأتي بعد ذلك اللغة العربية »^(١) .

ب - الآثار على الأسرة :

أولاً : تحمل الأسرة أعباء مالية مرهقة ، حيث التزيف اليومي ليس كمرتب يصرف آخر الشهر فحسب ، بل مصروفات فرد محسوب - غالبًا - في عداد الأسرة في أكثر مصروفاتها اليومية ، ثم إنه كلما ازداد عدد الكفار العاملين في بلاد المسلمين ، كلما زادت نسبة رهوس أموالهم ، وكلما زادت تحويلاتهم وما يدخل إليهم من العملة الصعبة ، وكل هذا مصدر قوة لهم فيستعملون هذا المال بعد ذلك في شراء الأسلحة لضرب المسلمين ، أو إنفاقه لصرف المسلمين عن دينهم . وكثير من العاملين غير

(١) جريدة السياسة بتاريخ ٢٧/٨/١٩٩٢ م . تصرف .

المسلمين يخصصون جزءاً من دخلهم لصالح مؤسسات كنيسية وغيرها ، مما يعمل على نشر الإلحاد والعقائد الفاسدة بين المسلمين وصرْفهم عن دينهم ، وكل هذا عون لهم من جهة المادة .

فلو أننا لم نستقدم الكفار وحرصنا على استقدام المسلمين ، خصوصاً من البلدان التي يوجد فيها مجاعات وأزمات اقتصادية ، أو البلاد التي يوجد فيها أقليات مسلمة مضطهدة ، لكان هذا إنقاذاً لملايين المسلمين ، وتوفيراً للمال في أيديهم ، مما يحفظ دينهم وأعراضهم ويكون مصدر قوة للمسلمين .

ثانياً : اتكال ربة البيت على الخادمة مما يُنمي روح التواكل والاعتماد المستمر على الخدم من قبل أفراد الأسرة ، وهذا يؤدي للشعور بالاحتياج الشديد إليهم في حالة سفرهم وغيابهم عن الأسرة ، مما يؤدي إلى الاستمرار في الاستعانة بهم على المدى الطويل .

ثالثاً : نشر بعض أسرار الأسرة مما قد يشير كثيراً من المشاكل الاجتماعية .

رابعاً : التجسس وكتابة مذكرات يومية لرصد الأحداث التي تقع في البيت .

خامساً : إفساد العلاقة بين الزوج والزوجة ، فالبعض من الخادِمات يتهمن مخدومهن باتهامات كاذبة مما يؤرق بال وراحة الأسرة .

سادساً : خلوة الرجل بالخادمة قد تؤدي إلى ارتكاب محرم لقول النبي ﷺ : « مَا خَلَا رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا »^(١) .

وقد نهانا الله تعالى في القرآن عن الفسوحش ما ظهر منها وما بطن ، وعن الزنا ومقدماته ، وحذرنا من خطورته على الدين والعرض كما قال تعالى : « وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا »^(٢) . ومما هو في حكم المؤكد ، أن وجود الخادمة

(١) رواه أحمد والترمذي .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٣٢

نظرات وتأملات من واقع الحياة

غير المسلمة ، والتي تكون متبرجة بل وشابة في كثير من الأحيان ، له أكبر الأثر في تسهيل الفاحشة والرذيلة وفتح أبوابها .

ولا ينبغي أن نكابر ونعاند فنجد وجود مثل هذه الآثار ، فتخيل وجود الرجل في بيته وأمامه شابة متبرجة ليلاً ونهاراً ، قد نشأت في مجتمع متحلل لا يرى حرجاً في ارتكاب الفواحش والزنا وغير ذلك ، وخصوصاً إذا كانت هذه الرذيلة والفاحشة من أسباب وأهداف حضور هذه المرأة إلى البلاد هنا للخدمة ، وإذا كانت هذه الخادمة لا تبالي بما يظهر من جسدها ، وبما تبديه من زيتها ، وبما تتعمده من خضوع بالقول ، أو نعومة صوت أو نحو ذلك ، وتشارك أهل البيت طعامهم وشرايبهم طول اليوم ، وقد ينفرد الرجل بها في البيت في كثير من الأحيان ، فماذا نتظر من وراء ذلك ؟ خصوصاً إذا صار الرجل يقارن بينها وبين زوجته ، بل ماذا نتظر إذا كان في البيت شباب مراهقون أو لم يتزوجوا ، وهم يعكفون على وسائل الإعلام ليلاً ونهاراً من أفلام ومسلسلات وإعلانات وغير ذلك ، وكلها فيها التبرج والسفور والاختلاط والتحلل ، مما يضعف الوازع الديني عندهم ، أضف إلى ذلك ما ركب فيهم من شهوة عارمة لا يضبطها العقل ، وفي وجود شابة متبرجة ليس عندها من دينها ما يمنعها من ركوب الفاحشة أو التحريض عليها ، وخصوصاً إذا كان ذلك هدفاً لها ، إما للحصول على مال أو هدايا ، وإما لكونها مكلفة بذلك من قبل أشخاص أو هيئات تريد إفساد بيوت المسلمين ، فماذا نتظر من وراء ذلك ؟ .

وماذا نتظر من امرأة متزوجة تخرج ليلاً ونهاراً بمفردها مع السائق ، وتألفه بطول الصحبة ، فتحدثه ويحدثها ، وقد يكون شاباً أكثر من زوجها أو أجمل منه ، أو يكون مقتول العضلات أو غير ذلك ، فيخلو بها ذهاباً وإياباً والشيطان ثالثهما كما ذكر النبي ﷺ ، بل ويدخل عليها البيت ويراها أحياناً بغير حجابها وقد يكون هو مكلفاً بإفساد بيوت المسلمين وأعراضهم أو على الأقل ليس عنده دين أو خلق يردعه ، وقد تقارن المرأة بينه وبين زوجها الكبير في السن أو المريض أو المشغل عنها دائماً ، أو

الكثير السفر والقليل التواجد ، والمرأة دائماً تشاهد في التلفاز وغيره ما يهون من شأن الفواحش ، وليس عندها من الدين ما يردعها ، فماذا تنتظر ؟ .

أو أن تكون فتاة مراهقة ليس عندها الوازع الذي يردها ويعصهما من دين وخلق ، وفي ظل التأثر بوسائل الإعلام وغياب الرقيب ووجود المغريات ، من سائق ، أو خدام شاب ، حسن الشكل ، لطيف الكلام ، معسول المنطق ، وتأخر الزواج ، فماذا تنتظر ؟ إذاً وجود الرجل الغريب أو المرأة الغريبة في المنزل له أكبر الأثر السلبي في نشر الرذيلة والفاحشة ، هذا حتى ولو كانا مسلمين ليس عندهما الوازع الديني القوي فما بالنا بالكفار؟! إن المصيبة تكون أطم وأعظم .

والواقع خير شاهد ، فكم في الكتب والإحصائيات والحوادث ما يبين خطورة وجود غير المسلم من رجل أو امرأة داخل الأسرة المسلمة ، وما يمثله ذلك من فتح لباب الفاحشة والرذيلة ونشرها .

سابعاً : نشر الأمراض السرية :

وهذا نتيجة لما قبله فإن النبي ﷺ قال : « .. مَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطَّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَأَ فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا »^(١) .

فوجود الفواحش والعلاقات الجنسية المحرمة تكون نتيجتها هي وجود مثل هذه الأمراض التي عاقب الله بها أهل الفواحش ، وانظر إلى أسماء « الزهري - السيلان - الإيدر - الهريس - سيदा » كل هذه الأمراض لا تظهر إلا عند محترفي الفواحش والشذوذ .

فإذا فرضنا أن الكافر ليس عنده الدين الذي يمنعه من الفاحشة ، بل قد يكون مكلفاً بالسعي لإيجادها في البيت المسلم ، والمسلم ضعيف الإيمان ليس عنده ذلك

(١) أخرجه ابن ماجه .

نظرات وتأملات من واقع الحياة

الوارع والمغريات كثيرة ، فإنه حتماً لا بد من وجود الفاحشة ، وسيتبعها حتماً وجود مثل هذه الأمراض التي ستفتك بالأفراد والمجتمعات بعد ذلك .

بل إننا نجزم أن بعض الجهات والهيئات في الخارج من الكفار تشجع من يحملون جرائم هذه الأمراض ، تشجعهم على السفر إلى بلاد المسلمين والعمل فيها ، لنشر هذه الأمراض والفتك بالمجتمع المسلم . وكذلك السياح الذين يأتون لبلاد المسلمين ، الكثير منهم يحمل جرائم هذه الأمراض ، ويعمل على نشرها وقد حدث ذلك مرات كثيرة .

ثامناً : نشر الكثير من العادات السيئة ، كالاختلاط والتبرج والسفور والتدخين وغير ذلك ، وكلها لها من الآثار السلبية على الفرد والمجتمع ما لا يحصى ولا يخفى .

وذلك نظراً لتقليد الطفل الصغير للكبار ممن حوله من السائق والمربية وغير ذلك ، وشدة تأثره بهم خصوصاً إذا كان يستظرفهم ويحبهم ، وإذا كانوا هم المكلفين بتولي تربيته وتنشئته من الألف إلى الياء ، وبكثرة الخلطة لا بد أن تنتقل هذه العادات حتى إلى الكبير فضلاً عن الصغير .

تاسعاً : نشر الكثير من الأخلاق السيئة ، كالكذب مثلاً أو السرقة أو غيرها مما يوجد في الشخص الكافر أو حتى في المسلم العاصي ، وقد ينقله إلى الطفل عمداً أو بغير عمد ، وإذا ظهرت هذه الصفة في الطفل فإنه لا يحاول تقويمه ؛ إما استمراراً لكسب محبته ورضاه ، وإما لكون هذا هو ما يرمي إليه ، أو لغير ذلك من الأسباب وليس عنده الدين الذي يدفعه لإحسان تربية الطفل ، على أساس الدين الصحيح والخلق الفاضل الكريم .

* * *

الفصل الثالث

الحلول المقترحة للحد

من خطورة الخدم ومشاكلهم

أولاً: الحد من انتشار المربيات والخدمات عمومًا ، وخاصة الكافرات في الأسرة والمجتمع ، وذلك باتخاذ الإجراءات التالية :

أ - التأكد من الحاجة الفعلية للخدمة .

ب - تحديد عدد الخدم بالنسبة لكل أسرة .

ج- وجود البدائل للمرأة العاملة كدور حضانة الأطفال في الأحياء السكنية المختلفة ، حتى تظمن المرأة العاملة على صغارها وتشعر بأن أطفالها في أيدي أمينة .

د - وضع ضوابط شرعية معينة لاستخدام الخدم ، مع لزوم الضوابط والشروط الشرعية الواجب توافرها .

هـ - فرض رسوم على الخدم تتحملها الأسرة عند الاستقدام وبعد الاستقدام ، وتزيد كلما زاد عدد الخدم المطلوب استقدامهم ، وذلك نظير قيام الحكومة بتقديم الرعاية الصحية لهم ، وغيرها من الخدمات العامة .

و - يتوجب على الجهات المعنية التشدد عند استقدام الخدم بحيث تكون هناك شروط تؤكد الحاجة الفعلية للأسرة ، والتشدد أيضًا مع مكاتب استيراد الخدم ، وأن يتم وضع مكاتب الخدم تحت إشراف حكومي .

ثانيًا : أن تُعطى الأولوية لاستخدام المسلمات ولمن تبلغ منهن من العمر أكثر من

٣٦ سنة .

ثالثًا : مراعاة المسئولين ظروف الام الوظيفية من خلال منحها بعض التسهيلات في العمل حتى لا يعيقها عن أداء مهمتها الأسرية ، وكذلك يجب أن توجد صيغة

نظرات وتأملات من واقع الحياة

للجمع بين إمكانية قيام المرأة بعملها الخارجي وأداء واجبها ، كنظام نصف الدوام بنصف الراتب ، مما يسهل استيعاب قدر أكبر من الخريجات في الوظائف النسائية .

رابعاً : معاملة الخادمة معاملة حسنة ، فبعض الأسر يعامل الخادمة على أنها مخلوق من نوع آخر ، فيثقلها بالإهانات وإهدار الكرامة ، ويوبخها بسبب خطأ يسير ، ومعاملة الخادمة معاملة حسنة تكون بما يأتي :

أ - تحديد دور الخادمة في المنزل ، بمعنى عدم إطلاق يدها في كل شيء ، أو بمعنى آخر عدم إلزامها بعمل كل شيء في المنزل .

ب - تحديد ساعات عملها ، فلقد لمست أن كثيراً من الأسر يببالغ في إرهاق الخادومات في إعطائهن عملاً فوق مستوى طاقتهن ، بل ربما كان عمل الخادمة يستمر إلى ساعة متأخرة من الليل .

ج - رفع راتبها كلما كانت ملتزمة بشرع الله ومؤدية لعملها على الوجه المطلوب .

د - عدم مماطلتهن في إعطائهن أجورهن ، وللأسف فإن بعض الكفلاء يؤخر رواتب الخدم مع قلتها لعدة شهور ومماطل بها ، وذلك على الرغم من قول النبي ﷺ : « أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ »^(١) .

خامساً : يجب مراقبة الخدم من قبل أصحاب البيت ، حتى لا تحدث الجرائم في غفلة من أصحاب البيت . فللأسف أن بعض الأسر تهمل في هذا ، فلا تراقب سلوكيات الخادمة ، وتترك أبناءها المراهقين والأطفال مجالاً للتعامل مع الخادمة كيفما اتفق ، وقد تحدث أضرار جسيمة عند عدم تلبية بعض الطلبات المحجفة لهم .

سادساً : التأكد من عدم إصابة الخادمة بأمراض نفسية كما هو الحال ومعمول به في نخلو الخادم من الأمراض الصحية .

(١) سبق تخريجه .

سابعاً : أن يتواجد في الجهات المنوط بها استخدام الخدمات كالقنصليات التي تعطي التأشيرات ، أو المكتب المشرف على اختيارهن ، أن يتواجد فيها مندوب من الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، وذلك لعمل اختبار قبل إعطاء التأشيرة ، بحيث يتم التأكد من أن هذه الخادمة مسلمة حقاً ، وأنها ملزمة بمبادئ الإسلام الأساسية وملتزمة بسلوكياته ، وذلك للتغلب على مسألة تحايل الكافرات وقدمهن للعمل بهويات تظهر أنهن مسلمات .

ثامناً : أخذ نموذج بصمات كل خادمة كإجراء وقائي والتأكد من الجهات المسئولة في بلدها من أنه ليست لها سوابق ، وكذلك الاحتفاظ بهذه البصمات في الجهات الأمنية المسئولة عندنا وذلك احتياطاً لوقت احتياجها .

تاسعاً : أن يستقدم مع الخادمة زوجها كسائق ، حتى يكون محرماً لها وحتى نتجنب الآثار المترتبة على وجودها بمفردها وسط الأسرة .

* * *

الفصل الثامن

واجبنا نحو مجتمعنا الإسلامي في السعودية

إن تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع السعودي قد عاد عليه بآثار حميدة ، وثمرات عظيمة ، وذلك في مختلف المجالات من أمن ورخاء وإظهار لشعائر الإسلام ونحو ذلك ، ولكن يجب على كل مسلم مقيم في تلك البلاد ، سواء كان من أهلها أم من الوافدين عليها والمقيمين فيها . . أقول : يجب عليه أن يحافظ على تلك المكتسبات التي تحققت بفضل الله ، ثم بفضل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لاتباع العقيدة السلفية وجهود آل سعود لحمايتها ، وذلك حتى لا نرجع القهقري ، ونرد على أعقابنا ، فنحرم من تلك المكتسبات .

وأنا أجمل الواجب على كل مسلم في هذه الديار تجاه هذه المكتسبات ، أقول : أجمله فيما يأتي - إن شاء الله - فأقول مستعيناً بالله تعالى : إن الواجب على المسلم في هذه الديار يتلخص فيما يلي :

* * *

عدم الإفساد فى الأرض بعد إصلاحها

المبحث الأول

عدم الإفساد فى الأرض بعد إصلاحها

قال الله عز وجل ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾^(١).

فالأرض التى أصلحها الله تعالى بالإسلام ، لا يجوز الإفساد فيها ، وحتى فى غير أرض الإسلام ، فإن الله تعالى قد حرم الفساد وقال : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾^(٢).

فالإفساد فى الأرض عموماً محرم لا يجوز ، وذلك بكل صوره ، ولكنه فى أرض الإسلام ومهبط الوحي وأرض الرسالة والحرمين الشريفين أشد وأقبح وأفحش ، هذا وإن للإفساد فى الأرض صوراً متعددة ، يجب على المسلم اجتنابها كلها ، وذلك بالعمل بما يأتى :

(١) عدم الإفساد الدينى والفكرى :

ويقتضى ذلك عدم العمل على نشر أى بدع فى الدين ، أو أفكار مناهضة لشرائع الإسلام أو الترويج للمذاهب الفكرية عن الإسلام وشرائعه ، التى بدأت تنتشر فى بلاد المسلمين المختلفة ، ويقتضى كذلك العمل على نشر عقيدة أهل السنة والجماعة ، والحرض على نصرتها ، والعمل على قمع كل ما يخالفها ، ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، وإظهار محاسن الشريعة الإسلامية ، والمحافظة على كل مسائل عقيدة السلف الصالح أن تكون ظاهرة فى المجتمع يتعلمها الناس ويعملون بها ، وكذلك العمل على محاربة كل مظهر يدل على التهاون فى العمل بشرائع الإسلام

(٢) البقرة : ٢٠٥ .

(١) الأعراف : ٥٦ .

نظرات وتأملات من واقع الحياة

كتخلف البعض عن الصلوات ، أو المجاهرة بالفطر في رمضان ، أو إظهار أى بدعة من البدع التى تروج لأفكار الصوفية وغيرهم من أصناف القبورية ، فإن كل هذه الأمور من الأثياف التى أوجبها الله على المسلم .

ولا يفوتنا أن هذه البلاد ما قامت ولا توحد أهلها بعد فرقة إلا بإذن الله تعالى ، ولا عزت بعد ذلك إلا بفضل الله تعالى ثم بفضل عقيدة السلف الصالح التى حمل لواء الدعوة إليها حديثاً الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله ، وأبناؤه من بعده ، وأى نكول عن عقيدة السلف الصالح معناه حرمان أهل هذه البلاد مما أنعم الله عليهم بسبب هذه العقيدة الصافية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (١) .

فهذا أول ما يجب على المسلم فى هذه الديار ، وعلى كافة المستويات من حكام ومحكومين ، فالكل يجب عليهم القيام بنصرة هذه العقيدة ، والحرص على مقاومة أى إفساد دينى أو فكرى .

(ب) عدم الإفساد الخلقى :

فنحن - والحمد لله تعالى - فى هذه البلاد ، لا توجد عندنا مظاهر فساد خلقى كما يوجد فى البلاد الأخرى ، ونحن لا ندعى الكمال ، فإن الفساد الخلقى موجود فى كل زمان ومكان ، حتى فى عهد النبى ﷺ وجد من زنا ومن قذف المحصنات ومن شرب الخمر ، وغير ذلك ، لكن من الإيجابيات فى هذه البلاد ، التى اكتسبت بفضل الله بسبب العمل على نشر العقيدة السلفية ، وحرص الدولة السعودية على تطبيق الشريعة الإسلامية ، من هذه الإيجابيات أن الفساد الخلقى فى معظمه مستتر عن الناس لا يجرؤ أهله على إظهاره ، وما وجد منه ظاهراً فإنه أمور محدودة جداً مقارنة مع غيرنا من البلاد الأخرى ، إضافة إلى أنها تجد مقاومة من الجهات المسئولة كهيئة الأمر بالمعروف وغيرها ، لذلك فإن الإفساد الخلقى فى البلاد أمر خطير ، سواء كان

عدم الإفساد فى الأرض بعد إصلاحها

ذلك بنشر الزنا والدعارة ، أو الشذوذ الجنسى ، أو الترويج للمجلات الخليعة أو الأفلام والمسلسلات الهابطة عن طريق الفيديو أو أطباق البث المباشر وغيرها ، والترويج للكتب التى تدعو للإباحية والسفور والاختلاط ، وكذلك من يعملون على الإفساد وتيسير سبل الفاحشة عن طرق الاختلاط فى الأسواق والسفور والانكشاف فيها ، والمغازلات عن طريق الهاتف ، وفى السطرى العام ، وجرأة بعض النساء على السفور وإظهار المفاتن ، ونحو ذلك ، ويدخل فى هذا أيضاً الترويج للمخدرات والمسكرات فلإنها محرمتان جداً وتفسد الأخلاق والدين ، وتعين على نشر الدعارة والديانة وغيرها ، ويدخل فى هذا كذلك التشبه بالكفار فى طريقتهم فى اللباس ، وتصنيف الشعر وحلاته ولبس بعض الشباب الحلى من الذهب ، ويدخل فيه كذلك بيع الدخان والترويج والدعاية له ، فكل هذا والله أعلم من أنواع الفساد الخلقى التى يجب على جميع أهل هذه البلاد مقاومتها والتصدى لها بكل وسيلة ، فإن قصرنا فى ذلك فإنا نخاف عليهم أن يعاقبهم الله تعالى على هذا التصغير بحرمانهم من النعم والثمرات التى تحققت بسبب لزوم العقيدة السلفية والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغيرها .

(ج) عدم الإفساد الأمنى :

فإن الله تعالى قد أنعّم على هذه البلاد نعمة الأمن والأمان ، وذلك بفضل الله تعالى ثم بسبب العقيدة السلفية التى حمل لواءها الملك عبد العزيز وأبناؤه ، وحرصهم على استتباب الأمن فى البلاد ، فأى محاولة للإخلال بالأمن فى هذه البلاد هى إفساد فى الأرض يجب التصدى له ومقاومته بكل قوة ، ومن الإفساد الأمنى فى البلاد التشجيع على الجرائم بكل أنواعها من قتل ودعارة وسرقة وغير ذلك ، والتحرير على ارتكاب الحوادث والاستخفاف بالجرائم المختلفة ، ومنه تهريب المخدرات وبيعها والاتجار فيها ، فإن انتشارها مما يعمل على نشر الجرائم والإخلال بالأمن ، ويدخل فى ذلك والله أعلم الإخلال بقواعد السير والمرور مما يعرض أرواح

نظرات وتأملات من واقع الحياة

الناس وممتلكاتهم للخطر ، ويدخل في ذلك تشجيع الجرائم ذات الطابع السياسى من تحريك للفتن والقلاقل ، وتحريض على هز الاستقرار الذى تنعم به البلاد ، وتشجيع على الخروج على حكومة البلد ، فكل هذا من الإفساد الأمنى الذى يترتب عليه فى نهاية المطاف نشر الخوف على النفس والمال ونحوه ، وفقدان نعم الأمن والأمان .

فالواجب على كل مسلم الحرص على نشر الأمن فى هذه البلاد ، والعمل على حفظه واستتبابه ، ومقاومة محاولات الإخلال به .

* * *

المبحث الثاني

المحافظة على وحدة البلاد السعودية

إن المملكة العربية السعودية دولة مترامية الأطراف ، وسكانها ينحدرون من قبائل كثيرة ، وقد كانوا مفترقين متناحرين قبل توحيد المملكة على يد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وكانت العصبية الشديدة سبباً في افتراقهم وتناحرهم ، ثم من الله تعالى عليهم بأن اتحدت البلاد تحت راية العقيدة السلفية ، لم تقم على أساس^(١) وطنية أو غيرها ، إنما قامت على أساس العقيدة الصحيحة السلفية ، وهى التى جمعت شتات القلوب المتنافرة ، ووحدت شملهم ، وجعلت منهم دولة قوية ذات شأن ، يعمل لها الآخرون ألف حساب ، وأصبحت القبائل المتفرقة المتناحرة شعباً واحداً مترابطاً متماسكاً ، كل هذا بفضل الله وبدعوة الإسلام وبالعقيدة السلفية ، وأى محاولة لشق الصف أو الترويج للعصبيات والانتماءات القبلية ونحوها قد تؤدي إلى تفويض وحدة البلاد ، وتفريق شملها الذى يترتب به الأعداء من يهود ونصارى وباطنية وغيرهم ، إضافة إلى أنها دعوى جاهلية حرمتها الإسلام ونهى عنها النبى ﷺ وحذر منها أشد التحذير ، فالمسلمون جميعاً إخوة فى الدين ، وأفضلهم عند الله أتقاهم كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأَمُّكُمْ ﴾^(٢) . فلا يجوز أن

(١) قال الأستاذ عبد الرحمن الرويشد : « لقد أكد الملك عبدالعزيز على أنه لن تقوم وحدة للعرب بغير العودة إلى مفاهيم الدين والالتزام الحضارى بتلك القيم ، ولقد رفض - رحمه الله - تلك الدعوة القومية بالمفهوم الذى طرحه الاستعمار من خلال رسائله ومخابراته ، ومن خلال عروبة (لورنس) لذا قال أولئك عن عبدالعزيز وحركته وحركة آياته من قبله : (إنها وإن كانت عربية صرفة إلا أنها ليست جزءاً من الحركات القومية ؛ لأنها اتخذت اتجاهها إسلامياً) كتاب قصر الحكم ، (ص ١٤٩ - ١٥٠) .

(٢) الحجرات : ١٣ .

نظرات وتأملات من واقع الحياة

يتفرق أبناء الأمة لأجل العصبية ، فهذا بدوى وهذا حضرى وهذا شرقى وهذا غربى ونحو ذلك ، بل الكل إخوة فى الله ، وأبناء لآدم عليه السلام ، وأبناء لهذا الوطن الغالى ، لذا يجب التصدى بكل قوة لأى دعوة على أساس قبلى أو عصبية جاهلية يمكن أن تعصف بوحدة الأمة وتقضى عليها .

ومما يعين على المحافظة على وحدة الأمة أن يكون الجميع متساوين فى الحقوق والواجبات ، فلو أن كل فرد منهم أدى ما عليه قيل أن يطالب بالذى له ، وشعر بالمساواة ولم يشعر بالظلم أو بالفرقة فى نظره ، لكان ذلك من أقوى الأسباب فى المحافظة على وحدة الأمة والقضاء على أى سبب للشحناء والبغضاء والتقاطع والتدابير . والله أعلم .

* * *

المبحث الثالث

النصح لولاة الأمر

وهذا من الواجبات المسلم ، ودليل على سلامة الصدر وفى الحديث :
« الدِّينُ النَّصِيحَةُ (ثلاثاً) قُلْنَا : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » (١) .

والنصيحة لولاة الأمر تشتمل على أمور ، منها :

(١) النصح لهم ظاهراً وباطناً :

وذلك بالاتصال بهم أو الكتابة لهم ونصحهم ، أو إتيانهم للإشارة عليهم بشيء فيه مصلحة البلاد والعباد ، أو للفت النظر إلى أى أخطاء يقعون فيها ، فإن هذه المناصحة مما أوجبه الله على المسلم ، وهى من علامات سلامة القلب للمسلمين .

(٢) الدعاء لهم :

فإن المسلم قد يدعو لولى الأمر بالصلاح والهداية إلى الرشد وأن يجنبه الله

(١) أخرجه مسلم (١ / ٧٤ / ح ٥٥) عن تميم الداري .

حاشية سوء ويوقفه لما يحبه ويرضاه ، فيستجيب الله له ، ويكون فى ذلك صلاح الأمة ، وقد قال بعض السلف : لو علمت أن لى دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان ، وذلك لأن صلاحه عموم الأمة وخير لها ، ولا يلزم الدعاء لولى الأمر جهرة أو على المنبر أو أمام وجهه ، بل حيثما وكيفما دعا جاز ، ولعل الأنفع والأقرب للإخلاص الدعاء له بظهر الغيب .

(٣) لزوم طاعتهم وعدم الخروج عليهم :

فإن من المستقر عند أهل السنة ، ومن أصول عقائدهم التى نصوا عليها وجوب طاعة ولى الأمر المسلم ما دامت فى طاعة الله ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(١) . فمما يجب على المسلم الطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية الله ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ، والابتزاع يداً من الطاعة ، وألا يخرج على أميره ، ما دام لم يظهر له كفر بواح عنده من الله فيه برهان ، فإن الخروج على ولاة الأمر وعدم طاعتهم يجلب الشر والفساد ، بل هو من أعظم أسباب البلبايا والمحن والمصائب ، إضافة إلى ما يحدثه من شق للصف الواحد ، وجلب للأحقاد والفساد ، وقضاء على نعمة الأمن .

(٤) معاونة ولاة الأمور على القيام بأعمالهم :

وذلك بأن يقوم كل موظف فى مصلحة ما بالقيام بعمل على أكمل وجه ، فإن ذلك من الأمانة ، وهو إعانة لولى الأمر الذى وضعه فى ذلك المكان ، وكذلك يعمل كل مواطن على المحافظة على أمن البلاد ، وعدم مخالفة اللوائح والقوانين التى سنتها الحكومة لخدمة الناس وقضاء مصالحهم ، والمحافظة على أمنهم وراحتهم ، وتأمين أموالهم وممتلكاتهم ، فلو أن كل إنسان حافظ على قوانين البلاد بما فيها القوانين الإدارية وغيرها ، لكان ذلك معونة لأولياء الأمور على القيام والاضطلاع بمهامهم ، وعلى الضد من ذلك فإن الإخلال بهذه الأمور يحدث الارتباك والفوضى ويعمل على زعزعة الاستقرار ، ويزيد الأعباء على ولاة الأمور ، ولا سيما إذا أتت هذه المخالفات من يناط بهم القيام على تنفيذ القوانين واللوائح وغيرها .

(١) النساء : ٥٩ .

المبحث الرابع

معرفة قدر العلماء

فإن العلماء بالشرعية هم مفاتيح الهدى ، ومصابيح الدجى الذين ينيرون للناس الطريق ، وهم من دعومات الاستقرار الأساسية في البلاد ، وصلاحهم صلاح للأمة ، وفسادهم فساد لها ، ومن المعلوم أن الدولة السعودية ما تكونت في الأصل إلا على أساس التعاون وتضافر الجهود بين المصلح الدينى الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى- والمصلح السياسى محمد بن سعود رحمه الله تعالى ، وباجتماع الإصلاح الدينى والسياسى يكون الاستقرار والنهضة وغيرهما .

ولهذا فإن من مصلحة الأمة جمعاء أن تحفظ قدر العلماء ، وتعرف لهم مكانتهم ، فلا تنشر أخطاءهم ، ولا يشهر بهم ولا يقدح فى أحد منهم ، أو يتهم بتهمة تشينه وتشين أهل العلم ، ولا يتجرأ على مقامهم ، فإنهم خلفاء الرسول ﷺ على أمته .. والعلماء ورثة الأنبياء .. وخصوصاً فى وقت أصبح العلماء فيه هدفاً لطائفتين :

الأولى : المتحررون من اتباع الشريعة ممن يتخذون من القدح فى العلماء وسيلة للقدح فى الدين كله .

والثانية : طائفة من المتشددين الذين شنعوا على العلماء أو بعضهم ، ورموهم بالأباطيل واستحلوا ذكركم بالسوء والصاق التهم بهم ، ورميهم بالنقص ، فهم - عند الطائفتين - فقهاء حيض ونفاس ، لا علم عندهم بالواقع ، علماء سلطة .. إلى آخر هذه الترهات التى كان يجب على الجميع تنزيه أئمتهم عن لوكها ، والوقوع فى العلماء فإن لحومهم مسمومة ، ولهذا فيجب توقيهم ، واحترامهم ، والدعاء لهم ، والنصح لهم ، وتنبههم على أى أخطاء ، وستر زلاتهم ، وعدم التشهير بهم ، فإنهم خيار الأمة على الإطلاق . والله أعلم .

الفصل الثاني

نظرات وتأملات في واقع بعض الدعاة المعاصرين

- المبحث الأول : ظاهرة الغلو .
- المبحث الثاني : ظاهرة العنف .
- المبحث الثالث : الفتن في هذا العصر وموقف المسلم منها .
- المبحث الرابع : فتنة التكفير .
- المبحث الخامس : ظاهرة سوء الظن بالعلماء .
- المبحث السادس : الطعن في العلماء وتقصمهم .
- المبحث السابع : ظاهرة التعصب .
- المبحث الثامن : البيعة الحزبية .
- المبحث التاسع : المظاهرات ليست من أساليب الدعوة .
- المبحث العاشر : حقوق الراعي والرعية .

المبحث الأول

ظاهرة الغلو فى العصر الحديث ومظاهره

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ،

فإن ظاهرة الغلو فى الدين ، ظاهرة مذمومة وقد وجدت قديماً وحديثاً ، حتى فى أقدم العصور ، ومن المتسبين إلى كافة الشرائع ، وجد المغالون كما وجد المقرطون المتساهلون وظاهرة الغلو قد تقل أحياناً فى بعض الأوقات ، وفى بعض الأماكن ، وقد تكثر أحياناً أخرى لأسباب تساعد على انتشارها وتنوع مظاهرها ، وقد وردت النصوص الشرعية فى ذم الغلو والتحذير منه ، لذا رأيت أن أشير إلى بعض النصوص فى ذم الغلو والتحذير منه ، ثم أشير إلى بعض مظاهر الغلو فى العصر الحديث .
فأقول :

١ - من القرآن :

(أ) قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾^(١) .

وقد أدى بهم الغلو فى دينهم إلى تاليه عيسى - عليه السلام - ورفع فوق منزله التى أنزله الله إياها .

(ب) قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾^(٢) .

(٢) المائة : ٧٧ .

(١) النساء : ١٧١ .

٢ - من السنة :

قوله - عليه السلام - : « إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ »^(١) .

ثانياً : مظاهر الغلو في العصر الحديث :

وهي كثيرة متنوعة ، لكن سنحاول إجمالها فيما يلي :

١ - التكفير :

إذ ظهر فكر التكفير ، والذي هو في الحقيقة امتداد لفكر الخوارج ، فوجد بين عدد من الشباب من يكفر الحكام ، ووزراءهم وعلماء الدين ورجال الشرطة ، بل وعامة أفراد المجتمع ، وذلك في كثير من الأحيان ، إما بسبب المعاصي ، أو بدعوى خضوعهم لحكم الطاغوت وغير ذلك ، وهذا مزلق خطير جداً ، ومظهر عظيم من مظاهر الغلو .

٢ - التعسير

والمقصود به التضييق على الناس ، وتكليفهم بما يشق عليهم ، مع أن الله تعالى لم يكلف الناس إلا بما يطيقون ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث : « يَسْرُؤُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَبَسْرُؤُوا وَلَا تُنْفِرُوا »^(٢) .

٣ - الغلظة والشدة والعنف :

وقد وجد هذا قديماً ، كما أنه مستمر في زماننا الحالي ، حيث وجد أناس ليس عندهم فقه للتعامل مع الآخرين ، ولا مع العصاة والمخالفين ، ولا في الدعوة إلى الله

(١) أخرجه أحمد (١/٢١٥ ، ٣٤٧) وابن ماجه (٢/١٠٠٨/١ ح/٢٩٠٣) والحاكم (١/٤٦٦) وابن عزيمة وابن حبان والفضياء وغيرهم عن ابن عباس . وصححه الحاكم والذهبي والابناني .
(٢) متفق عليه من حديث انس .

- تعالى - فتجدهم يعاملون الناس بشدة وغلظة ، وينكرون المنكر بأسوا أسلوب ممكن ، وبشكل يفر العصاة من الاستجابة للدعوة للحقة ، وعندهم من العنف الشيء الكثير ، ولاسيما عند قيامهم بالنهي عن المنكر ، فيغيرون باليد حيث يكفى النصيح والكلام ، وقد يمتد ذلك إلى إيذاء الآخرين، وكل هذا مخالف لقول الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾^(١).

وكذلك فإن هذا منافي لقول النبي - ﷺ - : « ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه »^(٢) ، وهذه الشدة والعنف والغلظة من أهم أسباب نفور كثير من الناس من الدعوة والتدين وابتعادهم عن أهل الخير ، وتوجسهم منهم .

٤ - الطعن في العلماء :

حيث انتشر بين كثير من الناس القدح في العلماء ، ورميهم بالخيانة وأنهم عملاء السلطان ، وأنهم منافقون مدهنون ، وأنهم لا يفقهون الواقع ، وكان من نتيجة ذلك فقدان الثقة في العلماء ، والخط من شأنهم حتى بين العامة والدهماء ، وبالتالي وجدت هوة كبيرة ولازالت تسع وتكبر بين العلماء ، وبين أهل الغلو ، بل إن بعض العلماء أحياناً قد يقف موقف العداء ضد المغالين لما وجده منهم من التسفيه والطعن والتجريح .

٥ - ظهور المفتين الجهال :

وهذا كذلك من نتائج الذي قبله ، فإن أهل الغلو لما أسقطوا العلماء وحطوا من شأنهم ، اختاروا من بينهم مفتين جهالاً ، أفتوا بغير علم وبما زين لهم فكرهم الجاهل القاصر وبما يعجب أتباعهم ، فضلوا بذلك وأضلوا خلقاً كثيراً .

(١) سورة النحل : ١٢٥ .

(٢) أخرجه مسلم وأحمد وغيرهما عن عائشة ، وورد من حديث انس

٦ - سوء الظن :

أى سوء الظن بالآخرين ، وافترض المقاصد السيئة من أقوالهم وأفعالهم ، مع أن عمر بن الخطاب قال : « لا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً » وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾^(١) فينبغي على المرء أن يحسن الظن بالآخرين بدلاً من أن يسوء بهم الظن أو يفترض فيهم دائماً الفجور والفسوق والانحلال وغير ذلك .

٧ - الاستبداد بالرأى :

وعدم قبول رأى المخالفين ، أو حتى الاستماع له وإن قام عليه الدليل ، وهذا كله مبنى على خطأ جسيم ، وهو إحسان الظن بالنفس ، وإساءة الظن بالآخرين ، فبالتالى يفترض المستبد برأيه أنه وحده على الحق ، وأنه هو المتبع للشرع ، وأن الآخرين كلهم على باطل ، فيتعصب لرأيه ويتصبر له ولو بغير دليل ، ويرد كلام المخالف وإن قام عليه دليل ، بل قد يسفه صاحبه ويضلله بل وقد يعاديه ويكيد به ، وكل هذا من الأمور الخطيرة جداً .

٨ - التهويل :

فقد يختلف البعض مع غيرهم فى مسألة معينة ، يكون فيها الخلاف سائغاً ، كاختلاف التنوع مثلاً ، لكن البعض يقوم فيهل من شأن هذا الخلاف ويعظمه بما لا ينبغى ، ويجدون ذلك مبرراً للحط من شأن الآخرين وتضليلهم ومعاداتهم ، هذا مع أن الصحابة اختلفوا فى مسائل ، منها رؤية النبى - ﷺ - لربه - تبارك وتعالى - ليلة الإسراء والمعراج ، ولم يُدعُ بعضهم بعضاً أو يفسقه ولا جرهم ذلك إلى التباغض والتعادى ، لكن الجاهليين يهللون من شأن أمور كثيرة ، حتى إن بعضهم ليعامل التارك لبعض السنن المندوبة ، يعامله معاملة تارك الأركان والفرائض ، وهذا كله متبعه من الجهل واتباع الهوى وعدم اتباع أهل العلم الصالحين .

(١) الحجرات : ١٢ .

٩ - التعصب للرجال :

فقد تجد البعض يتعصب لزيد أو لعمره من العلماء أو من الدعاة وغيرهم ، ويفترض أنه الوحيد صاحب الأهلية ، ويناصب غيره العداة ، ويحط من شأنهم ، ويرد أقوالهم ، هذا مع أن هذا التعصب لا يجوز بحال ، ولا يعرف الحق بالرجال ، إنما يعرف الرجال بالحق ، ورحم الله الإمام مالك حيث يقول : « كلُّ يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر » وأشار إلى قبر النبي - ﷺ - فلا يجوز أن يتعصب المرء لقول أحد من الناس إلا النبي - ﷺ - وإنما ينبغى لزوم الدليل وعدم الانحراف عنه .

وهناك مظاهر أخرى قد لا يتسع المقام لسردها ، وفيما أشرت إليه كفاية ، ونصيحتي لطلبة العلم والدعاة إلى الله - تعالى - هي أن يتعدوا عن أسباب الغلو والجفاء وأن يأخذوا عن العلماء ويثقوا بهم ويتورعوا عن الخوض في المسائل الكبار التي لا يصلح لها إلا الراسخون في العلم ، وأن يسلكوا طريق السلف ﷺ ويتخذوهم قدوة ، فإن كل خير في اتباع من سلف ، وكل شر في ابتداع من خلف وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

المبحث الثاني ظاهرة العنف

- ١ - تعريف العنف .
- ٢ - مظاهر العنف المشاهدة في عالم اليوم .
- ٣ - العنف ظاهرة عالمية لا تختص بالمسلمين .
- ٤ - نشأة ظاهرة العنف وتطورها في التاريخ الإسلامي
- ٥ - أسباب انتشار واتساع ظاهرة العنف في عالم اليوم
- ٦ - أمور متعلقة بنشأة ظاهرة العنف وتناميها .
- ٧ - الحل الأمثل لظاهرة العنف وكيفية مواجهتها .



العنف ظاهرة، وعلاج

التعريف الصحيح للعنف :

جاء في المعجم الوسيط (٢/٦٣١) في مادة (عُنْف) عُنْفًا : أخذه بشدة وقسوة . . . واعتنف الأمر : أخذه بعنف . . . وعنفوان الشيء : أوله ، يقال : هو فى عنفوان شبابه ، أى فى نشاطه وحدته .

ويتضح من ذلك أن حقيقة معنى العنف أخذ الأمور بشدة وقسوة وحدة ، فهو ضد الرفق ، والتعامل مع الغير بالعنف ، أى معاملته بخلاف الرفق والحسنى ، وذلك بالشدّة والقسوة ، قولاً كان أم فعلاً . . . وقد جاء فى الحديث الصحيح : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطَى عَلَى الْعُنْفِ »^(١) ، وفى الحديث الآخر : « مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا نُزْعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ »^(٢) .

ويتضح من ذلك أن العنف واستعماله مذموم شرعاً إذا كان فى غير موضعه ، وأنه شينٌ للسلوك وللعمل بخلاف الرفق والحسنى والحكمة .

مظاهر العنف المشاهدة فى العالم اليوم :

إن مظاهر العنف فى عالم اليوم كثيرة متنوعة ، منها ما له طابع إجرامى ، وهذا موجود فى كل بلاد العالم تقريباً من سطو بالإكراه ، واغتصاب ، وقتل ، ونحو ذلك ، وإن كانت بلادنا - والحمد لله - أقل بلدان العالم فى ذلك ، وهذا بفضل الله ثم بسبب قيام الحكومة السعودية بتطبيق شريعة الله تعالى فى هؤلاء المجرمين ، وهناك بعض من مظاهر العنف ذات الطابع السياسى أو الطائفى

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان وغيرهم .

(٢) سبق تخريجه .

والعرقى ، وتشمل ما نسمع عنه من حروب أهلية هنا وهناك ، وخطف للطائرات ، وعمليات اغتيال ، وتفجيرات ، وغير ذلك ، وهذه كذلك موجودة فى كثير من بلدان العالم ، إسلامية أو غير إسلامية ، حتى فى أكبر دول العالم وأقواها وأكثرها تقدماً .

هل العنف ظاهرة خاصة بالمسلمين ؟ أم هى ظاهرة عالمية ؟

من خلال إجابتي عن السؤال السابق يتضح أن العنف ظاهرة عالمية لها أسباب متعددة : سياسية واجتماعية ، واقتصادية ، بل ودينية ، وليس خاصاً بالمسلمين فقط ، بدليل أن كثيراً من مظاهر العنف فى العصر الحالى لا دخل للمسلمين بها ، وذلك كالصراع بين الكاثوليك والبروتستنت فى إيرلندا ، والعنف بين الحكومة ومنظمة مايتا الانفصالية فى إقليم الباسك بإسبانيا ، والجماعات الإرهابية العالمية المعروفة كالألوية الحمراء فى إيطاليا ، والجيش الأحمر فى اليابان ، وبادرامينهوف فى ألمانيا والطريق المضىء فى بيرو ، وغير ذلك .

بل إن المسلمين هم الضحية فى كثير من مناطق الصراع كما حدث فى البوسنة ، وكما يحدث فى الشيشان وكشمير وغيرها ، فالحاصل أن العنف ظاهرة عالمية موجودة فى معظم دول العالم حتى أمريكا تعاني منها كما شاهدنا فى تفجير أوكلاهوما وأطلنطا وغيرها .

كيف نشأت هذه الظاهرة ؟ وكيف تطورت عبر التاريخ الإسلامى ؟

فيما أرى أن هذه الظاهرة نشأت فى التاريخ الإسلامى منذ عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، الخليفة الراشد الثالث ، حين ثار عليه بعض من العامة بتأليب من السبئية أهل الفتنة فحاولوا خلع عثمان رضي الله عنه قسراً ، ولما رفض ذلك قتلوه مظلوماً ، ثم تطور الأمر إلى محاولة حل الخلاف بين علي رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه بالحرب ، ونتج عن ذلك قتل على ومحاولة قتل معاوية وعمرو بن العاص ثم ظهرت الجماعات السرية

الناوثة لولاة الامور فى عهد الدولة الأموية ، وحاول هؤلاء مواجهتها والقضاء عليها بالقوة ، واستمر الأمر كذلك فى العصر العباسى ، وتطورت الأمور إلى ما صارت عليه الآن كما نراه من حولنا ، حيث توجد فرق بعضها لا ينتمى إلى أهل السنة والجماعة كالباطنية من الإسماعيلية والبهرة وغيرهم ، وهؤلاء يلجئون إلى العنف كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، وبعضها يتسبب إلى أهل السنة والجماعة ، لكنهم خالفوا طريقة السلف حيث حاولوا تغيير أنظمة الحكم فى بعض البلدان الإسلامية عن طريق الثورات والاعتيالات وغيرها ، وهؤلاء مخطئون جداً مخالفون لمنهج السلف ، وينبغى التحذير من طريقتهم ومهجمهم ، ومحاولة ردهم إلى الحق بكل وسيلة ممكنة .

أهم الأسباب التى أدت إلى نشوء ظاهرة العنف فى العصر الحاضر ، وهل هى مرشحة للازدياد والتفاقم ؟

الحقيقة أن هذه الظاهرة لها أسباب متعددة أحاول إجمالها فيما يلى :

أولاً : أسباب سياسية : وتمثل فى وجود بعض الأفراد والجماعات والأحزاب ذات الطموحات السياسية والتطلعات السلطوية ، فهذه قد تنتهج العنف وتثيره فى المجتمع لأجل تحقيق أهدافها ، وقد تكون بعض هذه المظاهر أحياناً عبارة عن ردود أفعال غير مسئولة وغير منضبطة أو متزنة تجاه بعض الممارسات التعسفية من قبل بعض الحكومات التى لا تطبق شرع الله تعالى .

ثانياً : أسباب اجتماعية : نتيجة لاختلافات عرقية ، كما حدث فى رواندا وبورندى وغيرها وقد تكون نتيجة للطبقية والظلم الاجتماعى .

ثالثاً : أسباب اقتصادية : نتيجة للفقر المدقع لبعض الطبقات فى بعض البلدان ، فقد تنتهج العنف وسيلة لتحسين وضعها أو استرداد حقوقها .

رابعاً : دوافع دينية : وهذه قد تحدث فى بعض البلدان نتيجة لعصبية دينية باطلة ،

نظرات وتأملات من واقع الحياة

كما حدث للمسلمين فى البوسنة على يد الصرب النصارى بدوافع دينية ، وقد تكون نتيجة للفهم الخاطئ للنصوص الدينية كما يحدث فى بعض المجتمعات الإسلامية .

وأرى أنه ما لم يتم محاولة بحث أسباب هذه الظاهرة عبر العالم ووضع الوسائل الصحيحة لعلاجها والقضاء عليها فإنها مرشحة لمزيد من التفاقم .

الأمر التالى لها علاقة بتنامى ظاهرة العنف فى العالم الإسلامى :

* عدم وجود مرجعية موحدة للمسلمين فى العالم والاختلاف فى فهم الإسلام :

لاشك أن هذا من أسباب وجود وتنامى هذه الظاهرة ، فإن الأمور تطورت حتى أصبح العالم المشهود له بالعلم فى بلد قد لا يُعترف به فى بلد آخر ، وعلى ذلك اتخذت كثير من الجماعات والفرق والأحزاب (رءوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) كما أخبر بذلك النبى - ﷺ - فى الحديث المتفق عليه وذلك لأن بعض هؤلاء المفتين والرءوس يفتى بغير علم ، وقد يتخذ مذهباً ضعيفاً لا دليل عليه ، أو يفتى على أساس مذهب مخالف لأهل السنة ، ويتابعه فى ذلك مؤيدوه ، مع العلم أنه يوجد هيئة لكبار العلماء فى المملكة العربية السعودية تشمل علماء راسخين فى العلم فيجب الرجوع إليها .

* الانحراف الفكرى فى فهم الإسلام ، ودور الفرق الباطنية وأصحاب العقائد المنحرفة :

لاشك كذلك فى أن هذا السبب من أهم أسباب نشوء وتنامى هذه الظاهرة ، فانحراف كثير من الناس عن جادة الصواب ، وعن منهج السلف فى فهم وتقييم الأمور أدى إلى نشوء هذه الظاهرة حيث راحوا يفهمون الدين بأهوائهم ، ويلوون عنق النصوص أو يفسرونها بما يعجبهم ، وبما يخدم مذاهبهم الفاسدة ، كذلك فإن الباطنية وأصحاب العقائد المنحرفة لهم دور كبير فى ذلك ، فهم أصل هذه الظاهرة منذ عهد

عثمان رضي الله عنه وهم الذين يحاولون الترويج لهذه المذاهب التي دعا إليها الخوارج والمعتزلة منذ القديم وما زالوا يحاولون الدعوة لها وتشجيعها في كثير من بلدان المسلمين .

* الظروف التي يمر بها العالم الإسلامي اليوم من اضطهاد للمسلمين وضعف وتمزق :

وهذا أيضا من أسباب وجود ظاهرة العنف في العالم الإسلامي ، فإن مظاهر اضطهاد المسلمين في كثير من بلدان العالم ، وما يتعرضون له من ظلم ، بل وإبادة ، كل هذا يولد ردود فعل يائسة ، خصوصا عند الذين لا ينضبطون بضوابط الشرع ، فيحاولون الانتصاف للمسلمين عن طريق مواجهة أصحاب الديانات الأخرى وغيرهم بشيء من العنف ، وذلك كنوع من رد الفعل ، غير أن هؤلاء يفوتهم أن الإسلام وضع حقوقاً لأهل الذمة ولغير المسلمين القادمين إلى بلاد الإسلام بعهد أمان لا ينبغي تجاوزها والإخلال بها .

* الخلط بين مفهوم الجهاد والعنف :

هذا كذلك من هذه الأسباب ، فإن بعضاً من المنتمين إلى التيارات الإسلامية والغيورين على الإسلام قد خلط بين مفهوم الجهاد للكفار والمنافقين ، بالسيف واللسان والمال ، وبين العنف مع الخصوم في الرأي والمخالقين من أهل المعاصي والفسوق ، فتعامل معهم بالمنطق الذي لا يكون إلا مع الكفار والمنافقين الذين أوجب الإسلام جهادهم ، وهذا الخلط بعضه يرجع إلى الهوى ، وبعضه يرجع إلى الجهل وفقدان التوجيه ، وانعدام أو قلة الموجهين القادرين المؤهلين من أهل العلم المعتبرين .

* الحل الأمثل للتصدي لظاهرة العنف والإرهاب والتطرف :

إن الحل لهذه المشكلة لا يكمن في معالجتها باعتبارها مشكلة إجرامية ، لكن باعتبارها مشكلة لها خلفيات ودوافع متعددة ، لذلك فالحل ليس حلاً أمنياً فقط ، لكنه حل وعلاج للدوافع والأسباب التي أفرزتها ، ويتمثل هذا الحل في الأمور التالية :

١ - نشر الوعي الإسلامى الصحيح بين صفوف الناس، ولاسيما الشباب أهل الدين .

٢ - ربط الشباب بالعلماء أصحاب الدين والعلم الراسخ ، وتقوية العلاقة بينهم حتى يكونوا مصدر توجيه للشباب ، ومحاولة سد الفجوة التى تفصل بين قطاعات من هؤلاء الشباب وبين العلماء .

٣ - محاولة القضاء على المظاهر التى تتناقض مع الإسلام سواء فى الشارع أو فى وسائل الإعلام أو غيرها ، وذلك من قبل أولياء الأمور ، لأن هذا التناقض من أهم أسباب نشوء هذه الظاهرة وتناميها .

٤ - محاورة هؤلاء المتهمين للعنف من قبل أهل العلم والدين ، والاجتهاد فى ردهم للحق بالحجة والبرهان كما فعل ابن عباس رضي الله عنهما مع الخارجين على علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

٥ - تطبيق شريعة الله - تعالى - فى البلدان الإسلامية التى لا تطبقها ، فإن عدم تطبيقها هو من أهم - إن لم يكن أهم - أسباب نشوء ويزور ظاهرة العنف ، والتى تنتشر أكثر فى هذه البلدان .

٦ - محاولة رفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى للطبقات المحرومة التى قد تحقد على غيرها من طبقات المجتمع العليا وسد الفجوة بين الأغنياء والفقراء .

إضافة إلى كل هذه الحلول فلا مانع من العمل الأمنى لأجل إحباط أى أعمال إرهابية خارجة عن شرع الله ومعاقبة مرتكبيها بما تقتضيه الشريعة الإسلامية .

* * *

المبحث الثالث

الفتن في هذا العصر وموقف المسلم منها

أولاً : معنى الفتنة :

قال في لسان العرب (١٧/١٩٢) في مادة (فتن) : « جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار ، وأصلها مأخوذ من قولك : فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد . . والفتن : الإحراق ومن هذا قوله - عز وجل - : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ أى يحرقون بالنار . . إلخ .

وانظر فى معنى الفتنة أيضا : القاموس المحيط (ص ١٥٧٥) والمعجم الوسيط (٢/٦٧٣) وغير ذلك ، وأما المقصود بالفتنة شرعاً ، فهو نفس أصل المعنى اللغوى ، فقد جاء لفظ الفتنة فى القرآن بمعنى الابتلاء والاختبار والتمحيص ، كما قال تعالى : ﴿ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿ وَنَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾^(٢) وجاء لفظ الفتنة كذلك بمعنى التحريق والتعذيب بالنار ، كما فى قوله تعالى : ﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِى كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾^(٣) .

وجاء لفظ الفتنة كذلك فى القرآن لمعانٍ أخرى كالشرك وغيره ، وليس المقصود هنا حصر هذه المعانى .

ثانياً : الفتن سنة كونية :

بين الله - تعالى - فى كتابه الكريم أن اختباره لعباده ، وفتنته لهم ، سنة كونية لا تتبدل ولا تتحول ، كما هو واضح فى قوله تعالى : ﴿ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ

(٣) اللذاريات : ١٤ .

(٢) الانبياء : ٣٥ .

(١) العنكبوت : ٢ .

يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿١﴾ .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُهُ اللَّهُ ﴾ (٢) وهكذا يتضح أن الفتنة والابتلاء أمر قد كتبه الله على الأولين والآخرين ، ولا بد لكل واحد من بنى آدم من أن يفتن ، فيبتلى ويختبر ، وقد يجتاز الاختبار بنجاح أو يفشل ، وذلك لحكمة ربانية بالغة .

ثالثاً : الحكمة الربانية من تقدير الفتن :

إن الله - سبحانه وتعالى - لا يقدر أمراً ، ولا يفعل شيئاً إلا لحكمة بالغة ، علمها من علمها ، وجهلها من جهلها ، لكنه سبحانه : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ وقد علمنا بعضاً من الحكم الربانية في تقدير الفتنة : فمن هذه الحكم :

١ - تمييز المؤمنين من المنافقين :

وذلك كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٣) .

٢ - تطهير المؤمنين بتكفير سيئاتهم :

وذلك كما فى مثل قوله - ﷺ - : « مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَدَى وَلَا عَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْ حَطَايَاهُ » (٤) ، فكل ما ينزل بالمسلم ، من أنواع الفتن والمصائب والبلاء فإن فيها كفارة له عن ذنوبه

(٣) المتكويت : ٣ .

(٢) البقرة : ٢١٤ .

(١) المتكويت : ٢ ، ٣ .

(٤) أخرجه البخارى ومسلم .

الفتن في هذا العصر وموقف المسلم منها

وخطاياها ، وهذا التكفير يكون للصغائر والكبائر على حسب قوة البلاء وشدته ، وهذا هو الحق إن شاء الله .

٣ - رفع الدرجات للمؤمن :

وذلك بما يناله من الثواب والأجر في بلائه ، إذا صبر عليه ، وأحسن القيام في البلاء بما أمر الله - سبحانه وتعالى - وقد ورد في النصوص إشارة إلى ذلك ، كما في قوله ﷺ : « مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةٌ »^(١) . وكما في قوله ﷺ : « مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ حَتَّى الشَّوْكَةُ تُصِيبَهُ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ حَسَنَةً ، أَوْ حَطَّتْ عَنْهُ خَطِيئَةٌ »^(٢) .

ففي البلاء والفتنة رفع لدرجات المؤمن بما يشبه الله تعالى من الأجر العظيم لصبره على الفتنة .

٤ - التعويض للمؤمن :

فإن المؤمن إذا ابتلاه الله بأمر ، من فقد حبيب أو ضياع مال أو تلف عضو أو غير ذلك فصبر ، عوضه الله تعالى بأفضل مما أخذ منه ، كما في قوله - ﷺ - : « إِنَّ اللَّهَ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِهِ - يَعْنِي (هَيْبَتِهِ) فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهَا الْجَنَّةَ »^(٣) .

فهذه بعض الحكم الربانية من تقدير الفتن ، وهي قليل من كثير ، وما استأثر الله - تعالى - بعلمه أكثر وأعظم ولا شك ، وفيما ذكرت إشارة للمقصود .

(١) أخرجه مسلم وغيره .

(٢) أخرجه مسلم وغيره .

(٣) أخرجه البخاري وأحمد والترمذي .

أنواع الفتن

إن للفتنة أنواع مختلفة ولكنها كلها يعود إلى نوعين رئيسيين هما:

١ - فتنة الشبهات :

وهي التي تعارض العقيدة ، ويتج عنها فساد في التصورات وانحراف في المفاهيم ، فيضل الشخص المفتون عن عقيدة السلف ، كلها أو بعضها ، أو ينحرف في تفسير الحكمة الإلهية من شيء معين ، أو يتدع في الدين ما ليس منه ، ويفارق سنة النبي ﷺ ، وهذا النوع من الفتن أخطر الأنواع إذ ينتج عنه الكفر والنفاق والبدع .

٢ - فتنة الشهوات :

وهي التي تعارض الإرادة وتؤدي إلى فساد السلوك ، ورغم خطورة هذا النوع من الفتن إلا أنه أقل خطورة من الذي قبله ، ومن هذه الفتن اتباع شهوات البطن والفرج وغير ذلك .

خامساً : أسباب الفتن :

هناك أسباب متعددة توقع في الفتنة ، ومن هذه الأسباب :

١ - اتباع الهوى وفساد القصد : قال تعالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(١) فاتباع الهوى وسوء النية وعدم الإخلاص يوقع في الفتنة .

٢ - الجهل ونبد العلم : فإن الإنسان صاحب العلم والبصيرة يكون أعلم بالفتن وأبوابها فيحذرهما فينجو منها ، بينما الإنسان الجاهل يسهل وقوعه في الفتنة لجهله بها ، وجهله بأسبابها وسبل علاجها .

٣ - اتباع المشابه من النصوص وترك المحكم : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾^(١) فاتباع المشابه يوقع في الفتنة كما حدث لكثير من أهل الأهواء من الفرق قديماً وحديثاً .

٤ - الإفراط والتفريط : فإن الإسلام وسط بين الإفراط والتفريط ، وأما الغلو فإنه يؤدي إلى الوقوع في الفتنة ، كما قال - ﷺ - : « إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ »^(٢) . وللفتن أسباب غير ما ذكر .

سادسا : صور من الفتن في العصر الحالي :

لقد كثرت الفتن في زماننا الحالي وتعددت وكثرت جداً حتى احتالت كثيراً من الناس عن دينهم ، وأنا أذكر بعضاً من هذه الصور ، فمنها :

١ - فتنة المال : حيث أصبح أكثر الناس يطلب المال بأى شكل ممكن ، لا يبالي أمن حل أم من حرام ، المهم أن يحصل على المال بأى شكل يظن أنه هو الوسيلة لقضاء الحاجات وكذلك صار الناس يتنافسون في تحصيل المال والاستكثار منه ، بقصد التفاخر والتكاثر ، وهذه خطيرة جداً ، قد عمت بها البلوى .

٢ - فتنة النساء : وهي أخطر الفتن على الناس ، كما قال ﷺ : « مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضْرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ »^(٣) ، وقد استحوذ الشيطان على الناس من خلال هذه الفتنة حيث وسوس للنساء ففتن في أنواع الثياب والعمطور وغيرها من وسائل الفتنة ، وانتشر التبرج والسفور والانحلال والاختلاط مما أدى إليه من عواقب وخيمة ، وكذلك فرط الناس في غض البصر وتوقى الفتنة .

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

(١) آل عمران : ٩ .

(٣) رواه الجماعة إلا أبا داود .

٣ - فتنة الخوف من الناس : وهذا نتيجة لضعف الإيمان وقلة اليقين والتوكل ، وبذلك صار أكثر الناس يخافون من غير الله ، ويحجمون عن قول كلمة الحق خوفاً على حياتهم وأرزاقهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ (١) .

٤ - فتنة اتباع المشابهة : وهذه الفتنة قد أدت إلى ظهور الفرق من أهل الأهواء مثل المنكرين لصفات الله تعالى أو بعضها ، أو الذين يبيحون دماء المسلمين بأى تأويل ، أو المنكرين للمقدر الإلهي الشامل لكل شيء ، ومثل الذين ذهبوا إلى تكفير المسلمين بالمعاصي ، أو القائلين بالخروج على ولاة المسلمين بالقوة ، وكذلك الذين ذهبوا إلى إيجاب البيعة لامراء الجماعات ، وتكفير المخالفين .

٥ - فتنة تقليد الكفار : حيث أصبح الجهال يقلدون رجال الغرب ونساءه فى لباسهم وحركاتهم واتخاذهم قدوة ومثلاً أعلى ، وما نتج عن ذلك من ضياع للهوية الإسلامية . وغير ذلك من أنواع الفتن التى ظهرت فى زماننا .

سابعاً : موقف المسلم من الفتن :

إن الإسلام قد وضع وسائل لاتقاء هذه الفتن ، وبين الموقف الذى ينبغى أن يتخذه المسلم من هذه الفتن ، فمن ذلك :

١ - التعمد بالله من الفتن : فى الصلاة وفى غيرها فإن الله تعالى هو العاصم من الفتن ، وقد قال - ﷺ - : « إِذَا فَرَّغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ فَلْيَتَعَوَّذْ مِنْ أَرْبَعٍ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ » (٢) .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

(١) العنكبوت : ١٠ .

٢ - التمسك بالكتاب والسنة : وقد قال تعالى : ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (١).

٣ - طلب العلم الشرعى النافع : وذلك من مظانها التي منها الكتب السلفية الصحيحة ، وعلماء أهل السنة المعتمدون فإن العلم الصحيح كما سبق من أعظم وسائل اتقاء الفتنة والبعد عنها .

٤ - الحذر من الخروج على جماعة المسلمين وإمامهم : فإن الرسول - ﷺ - لما سأله حذيفة عن الفتن والشر ، وكيف يعمل إذا أدرك ذلك قال له : « تَلَزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ . قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ ؟ قَالَ : فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعْصُ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ » (٢) .

وينبغى الحذر من الخروج على الأئمة ، وإن جاروا ما لم يكن هناك كفر بواح ، فإن ذلك سبب في شيوع الفتنة وإراقة الدماء .

٥ - ملازمة تقوى الله تعالى : وحفظ أمره ونهيه ، فإنه خير عاصم من الفتنة ، وتقوى الله هي الحاجز بين المرء وبين اتباع الشهوات الموقعة في الفتنة . وفقن الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

(١) طه : ١٢٣ .

(٢) رواه البخارى وغيره

المبحث الرابع

فتنة التكفير

ومظاهره فى هذا العصر

- ١ - تعريف الكفر .
- ٢ - وسطية أهل السنة والجماعة فى مسألة التكفير .
- ٣ - التكفير حق خالص لله ورسوله صلى الله عليه وسلم
- ٤ - خطورة فتنة التكفير .
- ٥ - بعض مظاهر التكفير فى الوقت الحاضر .
- ٦ - السبل والوسائل لمعالجة ظاهرة التكفير .

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله - ﷺ - أما بعد :

فإن من أخطر الفتن السارية في زماننا ، فتنة التكفير ، حيث انتشر هذا الفكر الضال بين عدد قليل من أبناء الصحوة الإسلامية ، الذين اندفعوا في غمرة حماسهم للدين ، وغيرتهم على شرائعه ، فأخذوا بما ألقاه إليهم أهل الهوى والضلال ، ممن جددوا فكر الخوارج ، وصاروا امتداداً له ، فكفروا بالمجتمعات الإسلامية ، وكفروا كل حكام المسلمين ، وجل الناس ، ولم يسلم منهم أحد ، وترتب على ذلك مفاصد خطيرة ، لأجل هذا رأيت أن أكتب حول هذا الموضوع ، فأقول بتوفيق الله :

أولاً : تعريف الكفر :

الكفر في اللغة هو الستر والتغطية ، قال في مختار الصحاح ، ص ٢٣٩ :
« وكل شيء غطى شيئاً فقد كفره .. » .

وجاء في المعجم الوسيط (٧٩١/٢) في مادة : كفر : « .. وكفر الشيء وعليه كفرًا ستره وغطاه ، ويقال : كفر الزارع البذر بالتراب فهو كافر . وكفر التراب ما تحته .. » إلخ ، وانظر لسان العرب لابن منظور مادة كفر ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ، مادة كفر .

وأما الكفر الوارد في لسان الشرع ، فإنه يراد منه أحياناً الكفر الناقل عن الملة المخرج من الإسلام ، وأحياناً يراد منه الكفر الذي لا ينتقل عن الملة ولا يخرج من الإسلام .

وقد سُمي الكافر كافرًا لأنه ستر نعمته الله وغطاها فلم يعترف لله بها ولم يشكره عليها ولم يردها إليه بل جحدها وأنكرها .

ثانياً : وسطية أهل السنة والجماعة في مسألة التكفير :

إن أهل السنة والجماعة وسط في كل مسائل أصول الدين ، بين الفرق التي غلت والفرق التي قصرت ، هم وسط بين الإفراط والتفريط ، كما قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ .

وهكذا مسألة التكفير ، فإن الكافر نوعان :

الأول : كافر أصلي :

كمن وُلد لأبوين غير مسلمين وكبر على الكفر فهذا لاشك في كفره ، بل إن من لم يكفره فهو كافر .

الثاني : كافر مرتد :

وهو من وُلد لأبوين مسلمين ، لكن طرأ عليه ما يخرج منه من الإسلام ، أو يوجب الحكم بكفره ، وقد انقسم الناس في هذا الباب إلى ثلاث فرق :

١ - الخوارج الوعيدية : وهؤلاء يكفرون أهل الإسلام بكل الكبائر ، بل والصغائر ، ويستحلون دماءهم وأموالهم ، بينما يدعون أهل الاوثان ، ويكفرون كل من ليس معهم ، ولهم امتداد في زماننا الحالى ، وموضوع هذا المبحث يتعلق بهم قبل غيرهم أصلاً .

٢ - المرجئة : الذين يقولون : لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله ، وإن فعل المسلم ما فعل مهما كان فعله كفرًا في نفسه ، فيقولون : هو مؤمن ولا يضره ما فعل .

٣ - أهل السنة والجماعة : وهم وسط في هذا الباب بين هذين الفريقين ، لا يتعجلون في تكفير المسلم ، ولا يمتنعون عن تكفيره مطلقًا مهما أحدث من أمور توجب الحكم عليه بالتكفير ، لكنهم وسط ، وهم يقولون : إن المسلم

الذى يفعل فعلا من أفعال الكفرة قولاً أو عملاً لا يكفر به حتى تقام عليه الحجة وبيّن له الأمر ، ويتم التأكد من توفر شروط التكفير فى حقه وانتفاء الموانع ، فمن شروط التكفير : العلم والاختيار والقصد والرضا والعمد - ومن موانعه : ثبوت الخطأ ، والجهل ، والإكراه ، والتأويل .

ثالثاً : التكفير حق خالص لله ولرسوله - ﷺ - :

إن تكفير المسلمين ، والحكم عليهم بالخروج من دائرة الإسلام أمر خطير جداً ، لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا الراسخون فى العلم وبضوابط معينة .

فالتكفير حق لله - تعالى - ولرسوله - ﷺ - يقوم به العلماء الراسخون فى العلم بياناً لحكم الله تعالى ورسوله - ﷺ - .

ومن زج بنفسه فى مزالق التكفير بعد هذا الكلام فقد تعدى واعتدى ، وتجاوز حدود ما شرعه الله تعالى ، وادعى لنفسه خالص حق الله تعالى .

فلا يجوز تكفير أحد إلا من كفره الله - تعالى - ورسوله - ﷺ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم ، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم ، لأن الكفر حق شرعى ، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله ، كمن كذب عليك ورنى بأهلك ، ليس لك أن تكذب عليه وتزنى بأهله ، لأن الزنا والكذب حرام لحق الله تعالى ، وكذلك التكفير حق لله فلا تكفر إلا من كفره الله ورسوله .. » انظر الرد على البكرى (٢٥٧-٢٥٨) .

رابعاً : خطورة فتنة التكفير :

١ - أن فيها اعتداء على حق من حقوق الله - تعالى - وإضفاء لذلك الحق على نفس المكفر كما سبق بيانه فى النقطة السابقة .

نظرات وتأملات من واقع الحياة

٢ - أن الذى يكفر غيره يُعرض نفسه للوقوع فيما رمى به غيره ، كما قال - عليه السلام - : « من قال لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما ، إن كان كما قال ، وإلا رجعت إليه »^(١) .

فمن هنا يتضح خطورة هذه الفتنة فى حد ذاتها .

٣ - أن فيها إثارة للعداوة والبغضاء فى نفوس الناس تجاه من يكفرونهم ، ومن الذين يأخذون هذا المذهب تجاه الناس ، ولأنه لا يرضى أحد بأن ينسب إلى الكفر ، بل قد يقع الاقتتال والاستحلال بسبب ذلك . ولهذه الفتنة أضرار كثيرة جداً على الفرد والمجتمع .

خامساً : بعض مظاهر التكفير في الوقت الحاضر :

لقد رأينا فى العصر الحالى عدداً من مظاهر التكفير والذى توضح مدى خطورة هذه الظاهرة الكريهة والفتنة الخطيرة ، وما آلت إليه فى زماننا الحالى ، ومن هذه المظاهر :

١ - تكفير حكام المسلمين ، لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله ، باستثناء حكام الديار السعودية ، وأدى هذا إلى القول بوجود الخروج عليهم بالسلاح ، وكانت من وراء ذلك الفتن الكبرى ، وإزهاق الأرواح البريئة ، وإراقة الدماء المحرمة ، وانتشار الفوضى وعدم الاستقرار فى عدد من بلدان المسلمين والأمثلة لا تحصى على أحد .

٢ - انتشار فكر تكفير موظفى الحكومة ورجال الشرطة وغيرهم ، بل وحتى أئمة المساجد والمؤذنين والعلماء ، كل ذلك بدعوى أنهم أعوان الظلمة ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

(١) أخرجه البخارى وغيره .

- ٣ - ظهور القول بكفر كل أفراد المجتمع من غير أعضاء الجماعة المكفّرة ، حتى من أبناء الصحوة الإسلامية الذين لا يدينون بفكر هذه الجماعات المنحرفة ، ولهذا أمثلة كذلك لا تحصى .
- ٤ - ظهور مبدأ وجوب مفارقة المجتمع كله ، والتبرؤ منه ومن أهله ، بدعوى أنهم جميعاً كفار .
- ٥ - اعتناق البعض لمبدأ وجوب مفارقة المرأة - من معتقئ فكر الجماعة - لزوجها الذى يكون من غير أعضاء الجماعة بدعوى كفره وردته ، ولهذا أمثلة من الواقع كما هو معلوم وحدث فى بعض البلاد الإسلامية .
- ٦ - ظهور من يمنع الصلاة فى المساجد بحجة أنها مساجد ضرار وغير ذلك ، وبدعوى أن الأئمة غير مسلمين .

سادساً : السبل والوسائل لمعالجة ظاهرة التكفير :

- ١ - العمل على تقريب العلماء الراسخين من الشباب بكل وسيلة ممكنة ، بحيث يكونون مصدر هداية لهؤلاء الشباب ، ودافعاً لهم إلى الرجوع لشرع الله تعالى وسنة نبيه ، بدلا من أن تتسع الفجوة بين العلماء والشباب فلا يتقبلون نصحاً ولا رأياً من العلماء ، بل وقد يتطور الأمر إلى حد تكفير العلماء والعياذ بالله .
- ٢ - على الشباب أن يطلبوا العلم الشرعى الصحيح ، ومن أبوابه الموثوقة ، من العلماء الثقات ، ومن كتب السلف الصالح ، وليرجعوا إلى العلماء لفهم ما استعصى عليهم ، أو التمس ، بدلا من أن يجروا وراء كل ناعق ، أو يفهموا كلام السلف بما تسوله لهم النفوس المريضة ، والأفهام القاصرة ، فيكون

الزيف والضلال ، وعليهم أن يهتموا بتعليم العقيدة الصحيحة ، ويجعلوها على رأس أولوياتهم على الإطلاق .

٣ - العمل على إغلاق الفجوة بين النظرية والتطبيق في المجتمعات الإسلامية ، بمعنى أنه يجب محاربة مظاهر الفساد والانحراف والفجور وأهلها ، وذلك لأن ترك هذه المظاهر في المجتمع المسلم دون محاربة ومعاقبة لأصحابها مما يساعد على نشر فكرة تكفير المجتمع ككل .

٤ - وجوب تحكيم شرع الله تعالى ، وذلك في الدول التي لا تطبقه ؛ لأن هذا هو أهم الأسباب التي كانت تكمن وراء ظهور فكرة تكفير الحكام ، ثم تكفير المجتمع كله تبعاً لذلك .

٥ - محاوره هؤلاء الشباب وتعليمهم ، وردهم إلى الحق بالإقناع والحجة ، وعدم الاكتفاء بالمواجهة الأمنية فقط ، لكن هذا لا يمنع من التحرك الأمني لمواجهة أي أشياء مخلة بأمن المجتمع ونظامه العام وتشكل خطورة على أرواح الناس وأموالهم .

٦ - الحرص على محاربة كل فكر هدام منحرف ، يكون سبباً في تغذية هذه الظاهرة وتنميتها .

* * *

المبحث الخامس

ظاهرة سوء الظن بالعلماء والصالحين

فإن إساءة الظن بالعلماء والصالحين وغيرهم مما حرّمه الإسلام ، ونهى عنه ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (١) .

ومما يؤسف له أن ظاهرة إساءة الظن بالمسلمين ، ولا سيما بالعلماء والصالحين منهم ، قد استشرت في زماننا الحاضر ، وأصبحت آفة خطيرة تهدد الترابط والوحدة الداخلية بين أفراد المجتمع المسلم ، وهذا مما يؤثر سلباً - ولا شك - على قوة المجتمع ، وقدرته على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية .

ومما ينبغي الانتباه إليه حول هذا الموضوع - الأسباب التي تحمل على سوء الظن وتدفع إليه فأقول :

أولاً : أسباب إساءة الظن :

هناك أسباب عديدة قد تحمل الإنسان على إساءة الظن بالآخرين ، ومنهم العلماء والصالحين ومن هذه الأسباب :

١ - الجهل :

فإن الجهل وعدم العلم بحقائق الأمور ، وعدم فهم مقاصد الشريعة ، ومناط الحكم ، والنظر المعبر عند الاجتهاد ، كل هذا قد يجعل الإنسان بعيداً عن فهم حقائق الأمور ، ومن ثم يتهم الآخرين بالنقص والعيب ، ويسئ الظن بهم ويرميهم بالتهم والعظائم .

(١) الحجرات : ١٢ .

ومن أوضح الصور على ذلك ما وقع من ذى الخويصرة مع النبي - ﷺ - فإنه بسبب جهله وعدم إدراكه للحقائق أساء الظن بالنبي - ﷺ - ، ورماه بعدم العدل ، وأى تهمة أبعد عن رسول الله - ﷺ - من الجور وعدم العدل ١٩ .

٢ - اتباع الهوى :

فإن اتباع الهوى يعمى ويصم ، ويمنع الشخص من معرفة الحق واتباعه ويجعله لا يرى إلا ما أشرب من هواه ، ولهذا فإن صاحب الهوى حينئذ لا يزن الأمور بميزان الشرع الدقيق ، بل بميزان الهوى ، فيسئ الظن بمن يخالفه ويرميه بما هو برىء منه ، ولا يحاول تفهم وجهة نظر الآخرين ، أو حتى التماس المعاذير لهم ، ولا يراجع نفسه فيما ذهب إليه .

٣ - العُجْب والغرور :

فإن بعض الناس قد يحس بنفسه جداً ، ويغتر ، ويعجب بنفسه ، فيرى نفسه دائماً على حق والآخرين على باطل ، ويزكى نفسه ، ويحتقر الآخرين ، ويرى نفسه فقط على حق ، ومن عداه فى ضلال مبین ، وهناك أسباب أخرى لإساءة الظن غير ما ذكر .

ثانياً : صور ونماذج لسوء الظن ومناقشتها :

تعدد صور إساءة الظن بالعلماء والصالحين والدعاة ، ومن ذلك :

١ - اعتبار من يؤلف القلوب بترك المستحبات ضالاً :

فإن بعض الناس قد يحاول تأليف القلوب ، وجمع النفوس لأجل المصلحة العامة ، وحينئذ فقد يترك بعض الأشياء المستحبة تحصيلاً لهذه المصلحة العامة ، فيأتى من يسئ به الظن ، ويتهمه بالضلالة ، وهذا ما فعله ذو الخويصرة مع النبي - ﷺ - ، فإنه ﷺ ترك إعطاء الفقراء وهو مستحب ، وأعطى هؤلاء الأغنياء لما رآه منفعة راجحة فى تأليف قلوبهم .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : « ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف هذه القلوب بترك هذه المستحبات ، لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل هذا ، كما ترك النبي - ﷺ - تغيير بناء البيت ، لما رأى في إبقائه من تأليف القلوب ، وكما أنكر ابن مسعود على عثمان إتمام الصلاة في السفر ، ثم صلى خلفه متمماً وقال : « الخلافُ شرٌّ » .

غير أن هناك أمراً مهماً ينبغي الانتباه له ، وهو أنه ليس لكل إنسان الحق في الاجتهاد ، وتقدير المصلحة والمفسدة ، وإنما ذلك الحق خالص للعلماء فقط وأهل العلم ، فهم الذين لهم الحق في الاجتهاد وتقدير المصالح والمفاسد .

٢ - اعتبار الكلام في الرقائق خرافة :

فإن بعض الناس إذا سمعوا من يتكلم في الرقائق ، رموه بالخرافة والسطحية والسذاجة ، فما السبب في ذلك ؟ .

السبب أنهم رأوا أكثر من يتكلم في هذه المسائل من الصوفية وجهلة القصاص ، فلما رأوا من السدعاة من يتكلم في ذلك ، عمموا الحكم ، وسحبوه حتى على أهل العلم الذين يتكلمون في الرقائق ويريدون ترقية قلوب العامة وطلبة العلم ، ولو أن هؤلاء الجهال وزنوا الأمر بميزان الشريعة لكان لهم موقف آخر ، ولو أنهم تأملوا في حال السلف وما كانوا عليه من اهتمام بالرقائق والأدب ، ما قالوا مثل هذا الكلام ، فإن السلف قد ألف كثير منهم كتباً في الزهد والأدب والرقائق ، ومنهم الإمام أحمد وابن المبارك وغيرهم ، بل قد قال بعض السلف : « حديث يرق له قلبي أحب إليّ من مائة قضية من قضايا شريح » قال ابن الجوزي : « وإنما قال هذا لأن رقة القلوب مقصودة ولها أسباب » .

٣ - اتهام أنصار التآني بالجبن :

فإن كثيراً من الجهال يتهم من يدعون إلى التآني بالجبن والضعف ، وذلك لأن البعض يرى الشجاعة هي مواجهة الخصوم بالقوة ، ولو كان ذلك مخالفاً للشريعة ، ولو كان في ذلك التلف والعطب ، وهلاك الدعوة وأنصارها ، فهذه هي الشجاعة والإقدام عند البعض ، وفات هؤلاء أن الشريعة قد وضعت لكل حال ومقام ووقت ما يناسبه من التشريعات والأحكام ، وأن الإسلام وسط بين طرفي نقيض ، فلا يجوز التأخر عن المواجهة إذا كان الشرع يوجبها ، وكذلك لا يجوز التعجل بالمواجهة إذا كان الشرع يمنع من ذلك ، والعبرة في ذلك باجتهاد أهل العلم الصالحين ، فهم أصحاب الفتوى والحكم في ذلك .

٤ - اتهام بعض العلماء والدعاة بالعمالة :

وهذا كذلك من إساءة الظن المحرم ، إذ إن بعض الناس من فرط جهله يتهم بعض العلماء والدعاة بأنهم عملاء للسلطة ، أو أنهم مطايا للسلطان ، وأنهم علماء سلطنة ، أو غير ذلك من التهم الباطلة ، وهذا أمر مشاهد واقع في أكثر بلاد المسلمين ، وذلك لمجرد أن العالم التمس عذراً للسلطان في أمر ما ، أو نهى عن الخروج عليه ، أو أفتى بأمر لم يوافق هوى المخالفين له ، فاعتبروا ذلك منه تزلفاً للسلطان وعمالة له ، وغير ذلك من التهم الباطلة ، وفات هؤلاء أن العبرة كلها إنما تكون بمدى موافقة رأى العالم واجتهاده للدليل وللنص ، فإن كان معه نص فموقفه مشروع ، وإلا فلا ، وليس العبرة بمجرد موافقة أهواء الناس ، فإن الله - تعالى - قال : ﴿ وَإِن تَطَّعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١).

٥ - اعتبار المداراة نفاقاً :

فإن العالم أو الصالح قد يدارى أحياناً يبذل الدنيا لصالح الدين ، وبنية حسنة ، فيأتمى من يتهمه بالتفاق والمداينة ، وذلك عن لا يفرق بين المداينة والمداراة ، فإن المداينة هي بذل الدين لأجل الدنيا ، والمداراة بذل الدنيا لصالح الدين أو لصالح الدين والدنيا أو الدنيا كما ذكر ابن حجر وغياض وغيرهما .

بل إن النبي ﷺ قد استعمل المداراة ، فإنه استأذن عليه رجل فقال النبي ﷺ : « بِئْسَ أَحْوُ الْعَشِيرَةِ وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ » فلما جلس انبسط له النبي ﷺ ، فلما انصرف أبدت عائشة تعجبها من فعله ﷺ وكيف ذم الرجل ثم تبسم له وانبسط ، فقال لها : « إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ » (١) .

فيجب على هؤلاء الناقدين أن يفرقوا أولاً بين الرياء والمداينة وبين المداراة والمصالحة ، فبينهما فرق كبير في حقيقة الأمر ، ولو أنهم أحسنوا ذلك ما أساءوا الظن بالعلماء وغيرهم .

وهناك صور أخرى لإساءة الظن بالعلماء والصالحين ، لم أذكرها لضيق المقام ، والواجب على المسلم أن يتجنب جميع هذه الصور ، فكلها محرمة جداً غير جائزة في دين الله تعالى .

ثالثاً : أثر تفشي هذه الآفة في المجتمع :

إن إساءة الظن بالعلماء والصالحين لها أخطر الآثار على الفرد والمجتمع ، فمن ذلك :

١ - أنه يدفع صاحبه إلى تتبع العورات والتماس الزلات والتقيب عن الهفوات ، وهذا محرّم جداً وقد نهى الإسلام عن تتبع العورات والتماس الزلات .

(١) رواه البخاري ومسلم .

٢ - أنه يوقع صاحبه فى الغيبة والنميمة ، ونهش أعراض الآخرين .

٣ - زرع الشقاق والإحن والعداوات بين أفراد المجتمع المسلم ، وقطع جبال الأخوة والمودة وغير ذلك من الآثار السيئة .

رابعاً : العلاج :

إن من أنفع وسائل العلاج لهذه الآفة الخطيرة أموراً منها :

١ - ترك تتبع العورات ، والتماس الزلات :

فإن هذا الفعل من علامات النفاق ، والتي يجب على المسلم تركها والبعد عنها .

٢ - إحسان الظن بالناس :

فإن هذا مما يرضى الله تعالى ، ومما يعين على ذلك العلم بشدة تحريم إساءة الظن ، وقد قال عمر رضي الله عنه : « ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً ، وأنت تجد لها فى الخير محملاً » .

٣ - التماس المعاذير للناس :

وأولى الناس بأن تلتمس لهم المعاذير هم العلماء والصالحون ، فالواجب على المرء إذا بلغته فتوى عن عالم معين مثلاً واستغريها أن يلتمس له العذر ويحسن به الظن ، فلربما كان قد وقف على نص فى المسألة لم يصل لغيره ، ونحو ذلك .

وفى الختام أسأل الله التوفيق للجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

* * *

المبحث السادس

الطعن فى العلماء وتنقصهم

فقد تفتت فى بعض المجتمعات الإسلامية ظاهرة خطيرة جداً لها آثار وخيمة للغاية ، بل ومدمرة بالنسبة للمجتمعات الإسلامية ، هذه الظاهرة هى الطعن فى علماء الشريعة والقدح فيهم ، ورميهم بالتهم والعظائم والبهتان وهذا أمر خطير جداً ، ولهذا فقد رأيت تناول هذا الموضوع بالكتابة وجعلته على النحو التالى :

أولاً : حرمة الطعن فى العلماء :

إن الطعن فى العلماء ، والقدح فيهم ، والتشهير بهم ونشر عيوبهم ، كل هذا غير جائز ، بل هو محرم أشد التحريم ، فلا يجوز للمؤمن أن يأكل لحم أخيه ، ولحم العلماء أشد حرمة ، قال الإمام ابن عساكر : « اعلم يا أختى - رحمنا الله وإياك - أن لحوم العلماء مسمومة وسنة الله فى هتك أستار مستقصيهم معلومة ، ومن أطلق لسانه فى العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب ، ولذلك فلا يجوز أبداً الطعن فى العلماء ولا يحل ذلك بحال . »

ثانياً : أصناف الطاعنين فى العلماء ومقاصدهم :

إن الطاعنين فى العلماء أصناف ، فمن هذه الأصناف :

١ - المتحللون من الدين وأشباههم ، فهؤلاء قد اعتادوا الطعن فى العلماء والقدح فيهم لأجل الخط من شأنهم وتوهين مكانتهم فى قلوب الناس ، والارذراء بهم ، لإضعاف ثقة الناس فيهم ، ومن ثم التوصل بذلك إلى الطعن فى الشريعة والخط من شأن الدين فى نفوس الناس ، وذلك عن طريق القدح فى حملة الشريعة من العلماء

نظرات وتأملات من واقع الحياة

والدعاة ، وهؤلاء أنجبت أنواع الطاعنين فى العلماء لسوء قصدهم وفساد نيتهم .

٢ - بعض من المتستين إلى الدعوة الإسلامية ، من أفراد الجماعات المختلفة ، وهؤلاء قد يوجد عند بعضهم قدح فى بعض العلماء بسبب الجهل واتباع الهوى ونحو ذلك ، فيرمون هذا العالم بالعمالة وهذا بالتهور ، وهذا بالجن ، وهذا بأنه عالم سلطة ، وهذا بأنه عالم حيض ونفاس ولا علم له بالواقع ، وهذا بأنه عميل . . إلخ .

٣ - بعض العلماء ، وهذا أمر مؤسف جداً ولكنه واقع ومعروف ، فإن بعض العلماء إذا كانوا فى عصر واحد ولا سيما إذا كانوا متماثلين فى الصنعة والتخصص يدب بينهم الحسد ، فيقع منهم الطعن والقدح فى بعضهم بعضاً فيتكلم هذا فى حق هذا ، وهذا فى حق هذا ، وإن كان هذا غير جائز وغير لائق ، ولا ينبغى أبداً أن يصدر من المنسوين إلى العلم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

نماذج من الطعن فى العلماء :

إن الطعن فى العلماء والكلام فى حقهم يأخذ أشكالاً متعددة وصوراً متنوعة ، فمن هذه الأشكال والصور .

١ - اتهام العلماء بالسطحية والجهل بالواقع ، وإنهم علماء حيض ونفاس فقط ، ولا علم عندهم بالواقع والأخطار المحيطة ونحو ذلك .

وهذه تهمة قد أطلقها كثير من الناس ، بعضهم بسوء نية وبعضهم بحسن نية مع الجهل الشديد ، وهذه تهمة غير صحيحة ، فإن العلماء أحياناً ما يكون لهم مأخذ سائغ فيما يفتون به ، وتكون لهم نظرة معينة لا يستوعبها غيرهم ممن ليسوا بعلماء ، أو تقدير للمصالح والمفاسد على حسب ما تقتضيه قواعد الشريعة ، فيتهمون من قبل بعض الجهال بمثل هذه التهمة .

٢ - اتهام بعض العلماء بالمداينة والنفاق :

ولاسيما إذا كانوا من العلماء الذين يرتبطون بمؤسسات رسمية أو حكومية ، فحينئذ يكثر اتهامهم بالمداينة وتشجيع السلطة والنفاق وبيع الدين بالدنيا ، والحرص على المنصب والمكافآت ، وغير ذلك من التهم الشنيعة .

٣ - اتهام بعض العلماء بالجبن :

وذلك حين يقوم هؤلاء العلماء بالتحذير من التسرع والخروج على الولاة وتكفير الناس ، وغير ذلك من الأشياء التى يكون لها أثر سلبى خطير على المجتمعات وعلى الدعوة الإسلامية ، فيتهمون بمثل هذه التهم من قِبَلِ ناس من الجهال الذين ليس عندهم علم بالمصالح والمفاسد أو من قبل شباب متهور ليس عندهم حسن تقدير للأمور .

٤ - اتهام بعض العلماء بأنهم قشور :

أى القول بأنهم ليس عندهم علم بحقائق العلوم وبواطنها وأنهم مجرد علماء ظاهر لا يفهمون إلا ظواهر النصوص فقط ، وهذه التهمة الباطلة قد كثر إطلاقها من قبل ناس من المتصوفة والباطنية وغيرهم من أصناف أهل الضلال .

رابعا : الآثار السيئة لظاهرة الطعن فى العلماء :

إن الطعن فى العلماء كما ذكرنا أمر محرم وظاهرة سيئة جداً ، ولها آثار سلبية خطيرة جداً أذكر منها :

١ - فقدان الثقة فى العلماء :

وهذه نتيجة خطيرة جداً ، ومرحلة متقدمة من مراحل الضلال ، فإن الناس إذا فقدوا الثقة فى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وحملة الشريعة ، أقول : إذا فقدوا فيهم الثقة لم يقبلوا منهم كلاماً ولا فتوى ، وقد يتطور الأمر إلى اتخاذ رءوس جهال يفتنون بغير علم ، أو أن يستقل كل واحد بنفسه ويعرض عن العلماء ، ويكون هذا من أهم أسباب الضلال والانحراف ، وقد يتطور الأمر إلى أن يفقد العلماء دور الريادة فى الأمة .

٢ - إشاعة العداوة والبغضاء فى المجتمع :

فإن من تكلم فى أحد العلماء وشهَّره به ، فقد استجلب عداوة ذلك العالم وعداوة المتبعين له ، وبالتالي ينقسم المجتمع المسلم إلى أحزاب وشيع وفرق متنافرة متناحرة تدب بينها العداوة والبغضاء والكراهية والطعن بالتبادل ، وكل هذا فيه إضعاف لقوة المجتمع المسلم .

٣ - تشتيت جهود العلماء :

إذ قد يضطر الواحد منهم إلى الرد على من قدح فيه من خلال كتاب أو نحوه ، فيضيع بذلك وقته ، ولعله كان من الأنفع للامة أن يغتنم العالم وقته فى التعلم والتعليم وإفادة الأمة .

٤ - جرأة السفهاء والسفلة على العلماء :

فإنه لو شاع فى المجتمع الطعن فى أحد العلماء سواء من قبل غيره من العلماء أو طلبة العلم أو الإسلاميين أو حتى العلمانيين ونحوهم ، فإن ذلك يكون سبباً فى اجترأ العامة والسفهاء عليه ، والتطاول عليه والاستهانة به ، وهذا أمر خطير ، لأنه قد يجر إلى التطاول على الشريعة كلها بعد ذلك .

٥ - إعراض الناس عن الدين :

وذلك لأن العامة والجهال إذا فقدوا الثقة فى العلماء فقد يعرضون عن الشريعة بالكلية ، ويستخفون بها ، ويكون ذلك سبباً لتحللهم من تعاليم الشريعة بكاملها ، وفى هذا من الفساد ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

رابعاً : وسائل العلاج :

إن من الواجب علينا أن نحرص على معالجة هذه الظاهرة الخطيرة ، والقضاء عليها ، ومن وسائل علاج هذه الظاهرة السيئة :

- ١ - معرفة قدر العلماء ، وأنهم أصحاب الريادة فى الأمة ومصايح الهدى فيها ، وأن صلاح الأمة بصلاحهم وفسادها بفسادهم ، وأنهم أولى الناس بالتقدير والاحترام والإجلال .
 - ٢ - معرفة مدى الإثم والحرمة المترتبة على الظمن فى العلماء والقدح فيهم ، وذلك لشدة حرمة الكلام فيهم وغمزهم ولزهم ، لأن لحومهم مسمومة كما سبق .
 - ٣ - معرفة الآثار الخطيرة المترتبة على القدح فى العلماء كما سبق الكلام عنها .
 - ٤ - إشاعة جو الاحترام والتقدير للعلماء فى أفراد المجتمع ونشر فضائلهم ، وتذكير الناس بوجوب احترامهم ومعرفة حقهم .
 - ٥ - كتمان عيوب العلماء وعدم نشرها بين الناس ، فإن ستر عيب المسلم واجب ، والعلماء أحق من غيرهم ، فالواجب مراعاة ذلك حرصاً على حفظ مكانة العلماء .
 - ٦ - الدعاء للعلماء بأن يوفقهم الله - تعالى - فى القول والعمل ، وأن يجنبهم الخطأ والزلل ويستر عوراتهم ، فإن الدعاء من أعظم أسباب التوفيق .
 - ٧ - النصح للعلماء ، فإن الدين النصيحة ، كما أخبر بذلك النبى - ﷺ - والنصيحة للعلماء واجبة فيجب النصح لهم وتذكيرهم إذا نسوا أو أخطوا وتعريفهم الصواب ، وذلك بالأسلوب الذى يتناسب مع مكانتهم .
 - ٨ - التماس المعاذير لهم إذا أخطوا فى أمر فهم بشر أولاً وآخرًا وليسوا معصومين ، وكل بني آدم خطأ ، ولو التمسنا لهم المعاذير لم نطعن فيهم أبدًا .
 - ٩ - إحسان الظن بهم : لأنهم أعلم الناس بالشريعة ، وأعلمهم بالكتاب والسنة ، فيجب إحسان الظن بهم ، وبما يصدر عنهم من أقوال وأفعال .
- وفى الختام أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت لتناول هذا الموضوع وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المبحث السابع

ظاهرة التعصب

فإن التعصب للرأى إذا لم يكن عليه دليل من الشرع المطهر ، ولم يكن له دوافع إلا الاستبداد بالرأى والانتصار للنفس ، فهذا من معالم الغلو ، ومن أبرز مظاهره ، وهو آفة موجودة فى كل زمان ومكان ، لكن لا يقرها الإسلام ، وقد أنكرها علماء الإسلام بشدة ، ولاهمية هذا الموضوع رأيت أن أتكلم عنه ، وقد قسمت الكلام حوله إلى أقسام ، هى على النحو التالى :

أولاً : ما هو التعصب المذموم ؟

التعصب المذموم هو التعصب للرأى إذا لم يكن معه دليل ، أو إذا كان معه دليل غير صريح ، أو يحتمل التأويل ، أو كان مع المخالف دليل سائق ، وله وجه استدلال .

وأما إذا كان التمسك بالرأى الذى يؤيده الدليل ، وليس مع المخالف إلا الجهل والعناد ، فهذا ليس تعصباً على الإطلاق .

كما أنه يدخل فى التعصب المذموم التعصب للمذهب الفقهى ، إذا لم يكن له دليل معتبر ، والتعصب لقول فرقة مخالفة لعقائد أهل السنة دون مسوغ ، والتعصب للجنس والقبيلة والوطن وغير ذلك .

قال الشافعى - رحمه الله تعالى - : « والاختلاف على وجهين ، فما كان منصوصاً لم يحل فيه الاختلاف وما كان يحتمل التأويل ، أو يدل قياساً ، فذهب المتأول ، أو القياس ، إلى معنى يحتمل ، وخالفه غيره ، لم أقل إنه يضيق عليه ضيق الاختلاف فى المنصوص » (١) .

(١) جامع بيان العلم وفضله ، ص ٦٧

وقال ابن الجوزى - رحمه الله تعالى - يصف ذا الخويصرة ، الذى اعترض على قسمة النبى - ﷺ - أنه رضى رأى نفسه ، ولو توقف لعلم أنه لا رأى فوق رأى رسول الله - ﷺ - (١) .

ثانياً : أسباب التعصب المذموم للرأى :

١ - الجهل ، وقلة العلم :

فإنه ما من تعصب مذموم ، إلا وللجهل فيه نصيب ، إذ لا يمكن لصاحب العلم النافع الصحيح أن يتعصب لرأيه إذا كان باطلاً .

٢ - خلو الذهن :

فإذا صادف الرأى ذهنًا خاليًا من الحجج والبراهين ، استمكن منه وتحكم فيه وتغلغل ، فتشبت به صاحبه ، ولم يدع مجالاً للتفكير فيما سواه .

٣ - العجب :

فإن إعجاب المرء بنفسه وبرأيه يدفعه إلى التشبت بهذا الرأى مهما ظهرت علامات خطئه .

٤ - اتباع الهوى :

وذلك لأن الإنسان إذا اتبع هواه صده عن البحث عن الحق ، أو الرجوع إليه إذا بان له .

٥ - إثارة الدنيا على الآخرة :

فإن المرء قد يتعصب لرأيه لمطمع دنيوى ، فيتشبت به حتى لو بان له الحق ، ويفضل التمسك به على أن يرجع إلى الحق ابتغاء رضاه الله .

(١) تليس إبليس ، ص ٩٠ .

٦ - احتقار المخالف :

فقد يتشبث الإنسان برأيه الخاطئ تحقيراً منه لمخالفه ، لكونه أصغر منه سناً ، أو أقل منه فى المنزلة الاجتماعية ، أو لكونه من قبيلة أخرى أقل شأنًا من قبيلته أو غير ذلك ، فيتعصب لرأيه وهواه ، وكل ذلك مذموم .

ثالثًا : موقف الإسلام من التعصب المذموم للرأى :

إن الإسلام لا يقر هذا التعصب المذموم للزأى ، ولا التشبث به بدون علم وبغير دليل ، ولا سيما إذا كان هذا الرأى عارىً عن الأدلة ، أو معه دليل غير صحيح ، وأما إذا كان التشبث بالرأى الصائب الذى قام عليه الدليل ، فإن الإسلام يشجع على هذا .

ومما يدل على أن الإسلام يقر الاجتهاد فى الأمور ما دام له رأى معتبر وتأويل صحيح ، ما فعله النبى - ﷺ - يوم بنى قريظة ، فإنه ﷺ لما قال لأصحابه : « لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة » أخذ ناس من أصحابه بظاهر النهى فلم يصلوا إلا فى بنى قريظة ، وتخوف آخرون فوات الوقت فصلوا قبل أن يأتوا بنى قريظة ، فأقر النبى - ﷺ - - كلاً من الفريقين ، ولم يعنّف أحداً منهم (١) .

وقد دل هذا الحديث العظيم على أمور ، منها :

١ - أن الاختلاف يسوغ ما دام الدليل يحتمل التأويل .

٢ - وجوب أن يحترم كل شخص رأى مخالفه ما دام له دليل من النظر المعتبر والتأويل للنصوص .

٣ - التزام الصحابة الجم بأدب الاختلاف ، وأن ذلك لم يفسد قضية الود بينهم .

وكثيراً ما كان الصحابة الكرام ﷺ يختلف بعضهم مع بعض ، وذلك فى

(١) البخارى (٤١١٩) ومسلم .

مسائل معينة ، لكن لم يقدح واحد منهم فى الآخر ، ولا ذمه ، ولا غير ذلك ، وذلك لأن اختلافهم لم يكن فى مسائل أصول الدين ، ولم يكن نابعاً من الأهواء والجهل ، إنما كان نتيجة لتأويل نص معين ، فهمه كل واحد منهم بطريقة مختلفة .

ومن ذلك اختلافهم فى شأن رؤية النبى - ﷺ - لربه - تبارك وتعالى - يوم الإسراء والمعراج ، ولم يوجب ذلك بينهم قدحاً ولا جرحاً ولا تقاطعاً ولا تدابراً .

وكذلك اختلف ابن عباس وزيد بن ثابت فى شأن توريث الإخوة مع الجد ، وهل يرثون أم يحجبون ، ولم يؤثّر ذلك على المحبة والمودة بينهم ، فهذا ابن عباس يُمسك بركاب زيد بن ثابت ويقول : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا ، وهذا زيد يقبل يد ابن عباس ويقول : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ .

وهكذا درج السلف على هذا المنوال ، لم يحملهم الاختلاف فى الرأى على ذم المخالفين أو هجرهم ، ما دام الخلاف سائغاً والدليل موجوداً ، ولكل تأويله .

سئل الإمام أحمد عن الحجامة ، فافتى بالوضوء منها ، فقال له السائل : فإن كان الإمام لا يتوضأ منها ، أصلى خلفه ؟ فقال : سبحان الله ! ، ألا تصلى خلف سعيد ابن المسيب ومالك بن أنس ؟ وذلك لأن كلا منهما لا يرى الوضوء من الحجامة .

فانظر كيف كان موقفهم - رحمهم الله جميعاً - من الاختلاف السائغ .

رابعاً : شبهة وجوابها :

إن مما يدفع البعض إلى التشبث بالرأى مقولة : (إن الحق واحد لا يتعدد) ، وهذا صحيح ، ولكن ينبغى فقه حقيقة هذا القول ، فإن الحق الذى هو حق فى نفسه وفى الحقيقة عند الله - تعالى - لا يتعدد ، وأما ما قام الدليل الصحيح الصريح على إثباته ونفى ما عداه فهو الحق الذى لا يتعدد ، وأما ما خفى علينا دليله أو ظهر الدليل

ولكنه كان محتملاً لأكثر من تأويل أو نحو ذلك ، فهذا لا يندرج تحت هذا الباب ، لأنه ليس هناك دليل قاطع يرجح أحد الرأيين ويبطل الرأي الثانى بشكل قاطع ، لذا لا ينبغى الاحتجاج بهذه المقولة عند التطرق لخلاف الأئمة مع بعضهم ، ونحو ذلك .

وقد يكون الاختلاف راجعاً إلى الاختلاف فى ثبوت النص وعدمه ، أو الاختلاف فى فهمه ، أو الاختلاف فى الجمع والترجيح بينه وبين ما يعارضه ، أو الاختلاف فى القواعد الأصولية وبعض مصادر الاستنباط .

ومن اجتهد فأصاب الحق فله اجران ، ومن اجتهد وأخطأ فله اجر واحد ، كما فى الحديث الصحيح ، ولا ينكر هذا على هذا ولا هذا على هذا ، يقول شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - : « واجتهاد العلماء فى الأحكام كاجتهاد المستدلين على جهة الكعبة ، فإذا صلى أربعة أنفس كل واحد منهم بطائفة إلى أربع جهات ، لاعتقادهم أن القبلة هناك ، فإن صلاة الأربعة صحيحة ، والذى صلى إلى جهة الكعبة واحد ، وهو المصيب الذى له اجران » (١) .

خامساً : من آثار التعصب المذموم للرأى :

إن لهذا التعصب المذموم آثاراً وخيمة جداً فى الدنيا والآخرة ، فمن ذلك :

١ - إيجاد القطيعة والتدابير بين المختلفين ، وهذا واقع مشاهد بين كثير من أهل الفرق والمذاهب والجماعات ، ولا سيما فى زماننا الحاضر ، سواء كان تعصباً للمذهب ، أو للجماعة ، أو نحو ذلك .

٢ - توسيع شقة الخلاف بين فئات الأمة وإيجاد الفرقة بينهم ، ولهذا من آثاره السلبية ما لا يخفى .

٣ - أنه يؤدى إلى رمى الآخرين بالتهم الباطلة :

(١) الفتاوى (٢٠ / ٢٢٤)

وذلك نتيجة للتعصب المذموم ، فإنه يؤدي إلى احتقار الآخرين ورميهم بالتهم ، وهذا مما يوجد العداوات والضغائن ، ويسبب تفرق أفراد الأمة .

٤ - رد الحق بعد وضوحه :

فإن الإنسان قد يدفعه التعصب لرأيه إلى رد الحق ، حتى بعد اتضاحه له ، وهذا أمر خطير جداً ، وهو من الكبر ، وقد يوقع في الباطل والفتنة ، بل قد يوقع فيما هو أخطر من كل هذا ، إذا قام المرء برد نصوص الشريعة لأجل تعصب لرأى معين ، وذلك بغير دليل .

٥ - أنه يفضى إلى عبادة الهوى :

وذلك لأن من تشبث برأيه وهواه دون علم ، وتمسك به دون هدى من الله - تعالى - وقع في الضلال ، كما قال - تعالى - : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنْ اللَّهِ ﴾^(١) .

بل وقد يصبح عابداً للهوى ، كما قال - تعالى - : ﴿ أفرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ، فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٢) .

٦ - أنه قد يوقع في عذاب الله تعالى :

لأن الإنسان إذا رد الحق وتمسك بالباطل ، كان مستحقاً لعقوبة الله - تعالى - يوم القيامة لأن الله - تعالى - أمر الناس باتباع الحق ، والبعد عن الباطل أيًا كان .

فهذه بعض الآثار السيئة للتعصب المذموم ، وفي الختام أوجه نصيحة مخلصه

(١) سورة القصص ، الآية ٥٠ .

(٢) سورة الجاثية ، الآية ٢٣ .

لكل المتسبين إلى الإسلام وإلى الدعوة الإسلامية أن يبحثوا عن الحق بدليله ويتمسكوا به ، وأن ينبذوا التعصب للرأى بغير دليل ، وأن تتسع صدورهم للخلاف وللرأى الآخر ، وخصوصاً إذا قام عليه دليل صحيح ، أو كان له مساغ معتبر ، فهذا يحفظ شمل الأمة ، ولا يضيع الود بين أفرادها ، وبهذا نكون قد تمسكنا بهدى السلف حقاً ، ونكون جديرين باسم السلفين صدقاً ، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

المبحث الثامن

البيعة الحزبية

- ١ - تعريف البيعة والحزبية .
- ٢ - خطورة التحزب والحزبية .
- ٣ - حكم البيعة .
- ٤ - لمن تكون البيعة الشرعية ؟ .
- ٥ - البيعة غير الشرعية .
- ٦ - بعض الآثار السلبية للبيعة غير الشرعية .

تمهيد :

لقد أتى الإسلام بوجوب البيعة ، وأمر بها النبي - ﷺ - كما سيأتي ، وكانت البيعة للنبي - ﷺ - ثم لأمرائه وخلفائه من بعده ، لكن قد انحرف بعض الناس في زماننا فجعلوا هذه البيعة لكل أحد ، من الذين نصبوا أنفسهم أمراء على الجماعات المنتسبة للإسلام ، ونظراً لكثرة عدد هذه الجماعات وتناحرها ، فقد تعددت البيعة لهذا وذاك ، وأدى كل هذا إلى التناحر والتنافس ، وكل يدعى أن جماعته الحق ، وأن أميرها هو الأمير المستحق للبيعة الشرعية ، لذا رأيت أن أكتب في هذا الموضوع مختصراً بغرض بيان الحق ، والتحذير من اللبس في هذه المسألة ، فأقول بحمد الله :

أولاً : تعريف البيعة ، والحزبية :

١ - معنى البيعة : البيعة لغة هي الصفقة على إيجاب البيع ، وعلى المبايعة والطاعة ، وهي عبارة عن المعاقدة والمعاهدة ، كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه ، وطاعته ، ودخيلة أمره .

وأما البيعة في الاصطلاح فهي : العهد على الطاعة ، كأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين ، لا ينازعه في شيء من ذلك ، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على النشاط والمكروه ، وكانوا إذا بايعوا الأمير ، وعقدوا عهده ، جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد ، فأشبهه فعل البائع والمشتري ، فسمى بيعة ، مصدر باع .. وصارت البيعة مصافحة بالأيدي .. وهذا مدلولها في عرف اللغة ، ومعهود الشرع .

٢ - معنى الحزبية : معنى الحزبية لغة : قال في لسان العرب : « الحزب جماعة الناس ، والجمع أحزاب ، وحزب الرجل أصحابه وجنده الذين على رأيه .. وكل

قوم تشكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب ، وإن لم يلق بعضهم بعضاً ، وكل طائفة هواهم واحد ، والحزب : الصنف من الناس .

وأما الحزبية فى الشرع والاصطلاح :

فإن كلمة حزب لم تأت بمدوحة بإطلاق ولا مذمومة بإطلاق ، فقد جاء فى القرآن الكريم : ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^(١) وجاء : ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٢) فهى كلمة تمدح وتذم بحسب المقصود بها ، إن قصد بها أهل الدين والإيمان فهى مدوحة ، وإن قصد بها أهل الفجور والهوى والضلال والكفر فهى مذمومة .

ثانياً : خطورة الحزبية :

من استقرأ التاريخ الإسلامى يلحظ أن التحزب للأراء والمذاهب المتدعة يفرق شمل المسلمين واجتماع كلمتهم وجماعة المؤمنين ، لذا تكاثرت النصوص الشرعية فى الحث على الاجتماع وحدرت من جميع الوسائل الموصلة إلى الفرقة والاختلاف . وفى خطورة الحزبية وآثارها السيئة على المجتمع الإسلامى ، فإن الشيخ محمد البشير الإبراهيمى يقول : « أوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزبيات التى نجم بالشر ناجمها وهجم ليفتك بالخير والعلم هاجمها ، وسجم عن الوطن بالملح الأجاج ساجمها » .

ثالثاً : حكم البيعة :

لقد جاءت النصوص الشرعية الكثيرة فى الأمر بالبيعة ، والحث عليها ، والتحذير الشديد من التخلّى عنها والخروج من تبعاتها ، فمن ذلك :

١ - قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾^(٣) .

(٣) الفتح : ١٨ .

(٢) المجادلة : ٢٢ .

(١) المجادلة : ١٩ .

٢ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١).

٣ - قوله ﷺ : « مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ » (٢).

٤ - قوله ﷺ : « مَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ فُرْؤَادِهِ فَلْيَطِئْهُ مَا اسْتَطَاعَ ، فَإِنْ جَاءَ آخَرٌ يُبَايِعُهُ ، فَأَضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ » (٣).

رابعاً : لمن تكون البيعة الشرعية :

قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - في « مسائل ابن هانئ » لما سئل عن معنى قوله - ﷺ - : « مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ إِمَامٌ مَاتَ مِيتَةَ جَاهِلِيَّةٍ » فقال له إسحاق ابن إبراهيم بن هانئ : « ما معنى هذا الحديث ؟ فقال : « تدرى ما الإمام ؟ الذي يجتمع المسلمون عليه كلهم يقولون : هذا إمام ، فهذا معناه » (٤).

وقال الكشميري في (فيض الباري) : « اعلم أن الحديث يدل على أن العبرة بمعظم جماعة المسلمين ، فلو بايعه رجل أو اثنان أو ثلاثة فإنه لا يكون إماماً ما لم يبايعه معظمهم أو أهل الحل والعقد » (٥).

وهكذا يتضح أن البيعة إنما تكون للإمام العام الذي يبايعه أكثر الناس في زمانه ، أو في بلده ، فهذه هي البيعة الواجبة ، التي لا بد للمرء منها ، ويحرم الخروج منها ونزع اليد من الطاعة فيها وهذه البيعة تكون على الطاعة الإلزامية في العسر واليسر والنشط والمكروه ، مهما كان الأمر وذلك ما لم يكن أمر بمعصية الله ، فإذا أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة ، بل الطاعة في المعروف كما وردت بذلك الأحاديث الكثيرة عن رسول الله - ﷺ - وسواء في ذلك أكان هذا الإمام مستخلفاً

(٣) رواه مسلم .

(٢) رواه الحاكم .

(٥) فيض الباري (٥٩/٤).

(١) الفتح : ١٠ .

(٤) مسائل ابن هانئ (٢٠/١١) .

من قبل سلفه ، أو كان مختاراً من قبل أهل الحل والعقد ، أو كان متغلباً بالسيف واستتب له الأمر ، فإنه لا يجوز الخروج عليه ما لم يكن منه كفر يواح كما ورد في الأحاديث .

خامساً : البيعة غير الشرعية :

لقد وقع في زماننا هذا صور من الانحراف عن البيعة الشرعية ، وتعددت هذه الصور ، وكان لها أضرار سلبية كثيرة سيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى ، فمن صور البيعة غير الشرعية :

١ - مبايعة المتصوفة لشيخوهم :

حيث أصبح المتصوف يبايع شيخ الطريقة بيعة أبدية ملزمة له تكون في عنقه ، بحيث لا يجوز له مفارقة هذا الشيخ وهذه الطريقة ، ولا أصل في الشرع لمثل هذا ، بل هو باطل ولا شك .

سئل ابن عابدين رحمه الله : رجل من الصوفية أخذ العهد على رجل ، ثم اختار الرجل شيخاً آخر وأخذ عليه العهد ، فهل العهد الأول لازم أم الثاني ؟ فأجاب رحمه الله : « لا يلزمه العهد الأول ولا الثاني ، ولا أصل لذلك » (١) .

وقال السبكي في (الدين الخالص) : « وأما ما يقع من متصوفة الزمان من وضع أيديهم في أيدي الرجال والنساء ، ومعاهدتهم على أن يكونوا تلامذة لهم ، ليمشيخوا عليهم ، ويشاركوهم في أموالهم تارة بالأكل في بيوتهم ، وتارة بضرب عوائد يدفعونها في وقت معين ، كأنها جزية تؤخذ بالجبروت ، فهو إجرام وإفساد خارج عن حد الشرع ولا يقره عقل ، نسأل الله لنا ولجميع الأمة كمال الهداية وقم التوفيق » (٢) .

(١) تنقيح الفتاوى الحامدية (٢ / ٣٣٤)

(٢) الدين الخالص (٦ / ٢٩٠) .

٢ - مبايعة أعضاء الجماعات لأمرائهم :

وهذا بات أمراً منتشرًا في كثير من البلدان ، حيث تكونت جماعات كثيرة ، منفصلة عن بعضها البعض ، وبدأت في الأصل رغبةً في التعاون على أمر الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم تطور الأمر ودبت الشحنة بين هذه الجماعات ، وصار كثير منها يطالب الناس من أعضاء الجماعة وغيرهم بمبايعة أميرها كبيعة الإمام الأعظم ، وقد أدى هذا إلى كثير من المفاسد التي يعرفها كثير من المطلعين على هذه الأمور .

قال الدكتور عبد المتعال محمد عبد الواحد : « وكان عدم وجود الإمام سبباً في ظهور فئات تدعى لنفسها حق البيعة والإمامة بغير حق ، ويمكن تقسيم هذه الفئات إلى ثلاث فرق أساسية :

١ - الفرقة الأولى : قالت : إن تارك البيعة كافر ، ونصبت لنفسها إماماً ، ومن لم يبايعه فهو كافر في نظرهم ، وهذا القول خاطئ . .

٢ - الفرقة الثانية : قالت : إن البيعة فرض ، من تركه فهو آثم ، ومن هنا نصبوا لأنفسهم أميراً ، حتى يسقط عنهم هذا الإثم عند مبايعته ، والحق أن إثم ترك البيعة لم يسقط بمبايعة هذا الأمير ، لأن البيعة الواجبة التي يأثم تاركها هي بيعة الإمام المسلم ، الممكن في الأرض القائم بالخلافة الإسلامية بشروطها الصحيحة .

٣ - الفرقة الثالثة : وهم المسلمون الذين لم يبايعوا أحداً ، حيث قالوا : إن ترك البيعة إثم ، لكنها من حق الإمام المسلم في الأرض ، وهذا ما لا وجود له الآن ، وفي اعتقادي أن الفئة الثالثة هي التي على الحق « (١) .

ولنا تحفظ على الفقرة الأخيرة ، فإنها وإن كانت تصح في عموم البلاد

(١) الفرقان بين الكفر والإيمان (ص ٦٤) .

الإسلامية ، غير أنها لا تنطبق على الديار السعودية ، ففيها الإمام المسلم الممكّن المبايع الذى تجب طاعته .

وجميع هذه البيعات الزائدة على بيعة أمير المؤمنين - حتى فى حال غيابه - باطلة ، فقد نقل القلقشندى عن أهل العلم النص على : « أن يجتمع أهل الحل والعقد ، ويعقدوا الإمامة لمن يستجمع شرائطها » ^(١) .

والحاصل أن هذه البيعات كلها باطلة ولا أصل لها ، ولا اثر لها شرعاً ، ومن زعم أن الواجب مبايعة أى من أمراء الجماعات هذه فإنه مخطئ من غير شك .

سادساً : بعض الآثار السلبية للبيعة غير الشرعية :

لما وقع الانحراف فى شأن البيعة ، واختلت مفاهيم البعض ، وتعددت البيعات لمن لا يستحقها ، نتج عن ذلك آثار سلبية خطيرة ، منها :

١ - وجود أكثر من بيعة فى العصر الواحد وفى البلد الواحد ، لأن كل جماعة ترى البيعة لأمرها ، مع أن الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى - يقول : « فأما إقامة إمامين أو ثلاثة فى عصر واحد وبلد واحد فلا يجوز إجماعاً » ^(٢) . هذا مع كون كل هذه البيعات باطلة لا أساس لها من الشرع .

٢ - وجود الشحناء والضغينة - بل والصراع أحياناً - بين هذه الجماعات على السبق فى البيعة والاستحواذ على الأتباع ، والتنافس فى ضمهم كل لجماعته .

٣ - المساعدة على انتشار فكر التكفير ، وذلك بسبب أن بعض هذه الجماعات يرى كفر تارك البيعة ، ولا يرى جماعة إلا جماعته ، ولا أميراً إلا أميرها ، فهو يكفر كل من لم يبايع ذلك الأمير .

(١) مآثر الإنافة فى معالم الخلافة (١/٣٩) .

(٢) الجامع لاحكام القرآن (١/٢٧٣) .

٤ - استباحة الدم الحرام : وهذا كذلك عند بعض الجماعات ، وفى بعض البلدان الإسلامية ، حيث وصل الأمر إلى حد قتل عضو الجماعة الذى ينشق عنها بحجة خروجه عن طاعة الإمام ، أو قتل كل من ينافسه على الزعامة ، أو قتل من يعارض إمارته وإمامته - بحد زعمهم - فاستباحوا بذلك الدم المحرم .

٥ - المواجهة بين هذه الجماعات والحكومات :

وذلك حيث وُجدت هذه الجماعات ، وعلمت بها حكومات بلدانها قرأت فى وجود هذا الفكر الخاطئ ، وهذه البيعة غير الشرعية ، بما لها من تبعات ، تهديداً لسلطان الدولة ، وتعارضاً مع قوانينها ، فواجهتها مواجهة اتسمت فى كثير من الأحيان بالعنف والقسوة ، وكذلك وجد من هذه الجماعات من يحمل السلاح ضد حكومته بزعم أنهم غير تابعين لإمامه أو أنهم لم يدخلوا فى بيعته ، فأدى ذلك إلى الفساد الكبير ، والشر المستطير .

* * *

المبحث التاسع

المظاهرات والاعتصامات والإضرابات ليست من أساليب الدعوة إلى الله

- ١ - معنى المظاهرات والاعتصامات والإضرابات .
- ٢ - كيف جاءت هذه الأمور إلى البلاد الإسلامية؟
- ٣ - أدلة المجوزين للمظاهرات وغيرها .
- ٤ - الآثار السلبية الناتجة عن المظاهرات ونحوها .
- ٥ - شبهات وجوابها .
- ٦ - الإسلام دعوة وليس ثورة .
- ٧ - عاقبة الخروج على السلطات .

لقد ذهب بعض الناس فى زماننا إلى اعتبار ما يأتينا من أخبار عن الغرب وما فيه من اعتصامات ومظاهرات وإضرابات ، عد ذلك من وسائل وأساليب الدعوة إلى الله تعالى ، وهذا فهم خاطئ ولا شك ، لذلك رأيت أن أكتب مختصراً حول هذا الموضوع ، فأقول :

أولاً : معنى المظاهرات والاعتصامات والإضرابات :

١ - المقصود بالمظاهرات :

خروج جمع من الناس مجتمعين فى الطريق أو نحو ذلك للمطالبة بشيء معين ، أو لإظهار القوة ، أو نحو ذلك ، فهم قد ظاهر - أى ساعد - بعضهم بعضاً على إظهار الشيء الذى قاموا لإظهاره ، أو للدعوة إليه ، فمن هنا سميت مظاهرة .

٢ - الاعتصامات :

أصل الاعتصام هو التمسك بشيء معين وعدم مفارقتة ، فإذا قلت : اعتصمت بالله أى تمسكت بحبل الله ولم أفارقه ، ولكن صار المقصود بالاعتصام فى زماننا هو الاعتكاف فى مكان معين ، كالمصانع والجامعات ومقرات الأحزاب ونحو ذلك ، والمكوث فيها وعدم مفارقتها وذلك اعتراضاً على أمر معين ، أو للمطالبة بشيء معين .

٣ - الإضرابات :

وأصل الإضراب الامتناع ، فإذا قلت : أضربت عن كذا أى امتنعت عنه ، وأصبح هذا اللفظ مستعملاً للدلالة على امتناع فئة من الناس عن شيء معين ، إظهاراً للاعتراض على أمر ما أو للمطالبة بأمر ما ، ومن هذا الجنس امتناع العمال عن العمل للمطالبة برفع الرواتب أو امتناع الطلاب عن الدراسة احتجاجاً على أمر ما ، وغير ذلك .

ثانياً : كيف جاءت هذه الأمور إلى البلاد الإسلامية ؟ :

وجدت هذه الأساليب في بلاد الغرب ، وهناك ظهرت أول ما ظهرت ، ثم انتقلت إلى بلاد المسلمين عن طريق الأحزاب السياسية العلمانية ، والتي استعملتها في ممارستها السياسية ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى بعض الجماعات الإسلامية والتي قلدت هؤلاء في طريقتهم ، وحاولت أن تأتي لها بسند من الشرع يؤيد مثل هذه الممارسات .

ثالثاً : أدلة المجوزين للمظاهرات وغيرها :

١ - يستدل الذين جوزوا المظاهرات والاعتصامات ونحوها بما ورد في بعض الكتب من أن النبي - ﷺ - خرج بعد إسلام عمر - رضى الله عنه - على رأس صفين من أصحابه وعلى الأول منهما عمر وعلى الثاني حمزة رغبة في إظهار قوة المسلمين ، فعلمت قریش أن لهم منعة .

وهذا الأثر رواه أبو نعیم في الحلیة (١/ ٤٠) وأورده ابن حجر في الإصابة (٢/ ٥١٢) ونسبه لمحمد بن عثمان في تاريخه ، وأورده في الفتح (٧/ ٥٩) ونسبه إليه وإلى البزار .

مناقشة هذا الدليل :

تدور طرق هذا الأثر حول إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، وهو منكر الحديث لا يحتج به ، فالرواية إذاً لا تثبت .

٢ - ويستدلون كذلك باجتماع المسلمين في الجمع والأعياد وغيرها من الاجتماعات الإسلامية الحاشدة ويرون فيها دليلاً على جواز التظاهر والاعتصام وإظهار القوة .

وهذا لا دليل عليه ، ولا تعلق لما ذكره من العبادات بما أرادوه من المظاهرات والإضرابات والاعتصامات وغيرها ، إنما هو إظهار الشعائر لله على النحو الذى أمر الله تعالى به ، لا يؤخذ منه أكثر من ذلك .

رابعاً : الآثار السلبية الناتجة عن المظاهرات ونحوها :

١ - إثارة نوع من الفوضى فى الشوارع أثناء المظاهرات بما تحدته من زحام ونحوه ، مما قد يعطل مصالح الناس ، بل وقد يعرض حياة الكثيرين للخطر ، إضافة إلى أن جو المظاهرات مناسب للغاية لوجود عمليات السطو والسرقة ونحو ذلك مما يكثر وقوعه فى أيام المظاهرات ، وقد تتعطل سيارات الإسعاف عن الوصول إلى المستشفيات لإنقاذ حياة بعض الناس .

٢ - تعطيل مصالح الناس بما تحدته من إغلاق للمحلات والمصالح وغيرها ، مما يسبب الإضرار بمصالح الكثيرين .

٣ - أن المظاهرات فرصة سانحة لاندساس مثيرى الشغب والفتنة بين الصفوف ، وقد يقوم البعض باستعمال الأسلحة لإثارة الفتنة والشغب أو تصعيد الأمور بين المتظاهرين ورجال الأمن الذين يردون على ذلك بالمثل .

٤ - إيقاع العداوة بين رجال الأمن والمواطنين ، حيث يحاول رجال الأمن فض المظاهرات مما يؤدى إلى سقوط قتلى وجرحى وتصبح المسألة عداوة وثأراً بين الجانبين .

٥ - تعطيل الإنتاج ومصالح البلاد بسبب الإضراب عن العمل وتوقف المصانع ونحو ذلك مما يكون سبباً فى الإضرار باقتصاد البلاد ، وهى أحوج ما تكون إلى التكاتف والتعاون بين أفرادها .

٦ - رزعمة أمن البلاد نتيجة لهذا التصارع والفوضى ، واستغلال المجرمين لهذه الفرصة مما يزيد عدد الجرائم المختلفة التى تحدث فى وقت الأزمات .

٧ - أنها تعبد لله بوسيلة غير مشروعة : وذلك عند الإسلاميين الذين يستعملون هذه الوسيلة ويرونها مشروعة للدعوة وإظهار القوة ، وهى لا أصل لها كما سبق . وهكذا يتعبدون لله بعمل لا يرضاه ، والإسلام لا يفرق بين العمل والنية ، بل يجعل شرطاً لصحة العمل إخلاص النية ومشروعية العمل ، وهؤلاء كما قال ابن مسعود : « كم من مريد للخير لم يبلغه » رواه الدارمي .

٨ - التعجيل بالصدام بين الجماعات والحكومات : حيث إن هذه الممارسات تظهر الجماعات القائمة عليها بحجم أكبر من حجمها الحقيقي مما يثير خوف حكوماتها فترى فيها تهديداً لأمنها ، ومن ثم تبادر بمبادأتها بالهجوم ، وتتعامل معها على ما ظهر منها ، مما يثير مشاكل وأحقاداً لا تنتهى .

٩ - أن القول بجواز هذه الممارسات أدى إلى ما رأيناه وسمعناه من مظاهرات الروافض وأشباعهم فى الحج ضد ما يسمى بالإمبريالية ، فكانت النتيجة سقوط الضحايا والأبرياء ، وإفساد العبادة على الحجيج بإخراجهم من الجو الروحاني الذى كانوا فيه إلى جو الصدام السياسى ، وما نتج عن ذلك من عداوة وأحقاد لا تبدو لها نهاية .

خامساً : شبهات وجوابها :

١ - قد يحتج شخص ما بأن بعض البلدان تقنن مثل هذه الممارسات وتسمح بها فى دساتيرها فما الضير فى استعمالها ؟ .

والجواب أن يقال :

إنه لو سمحت الحكومات بمثل هذه الأعمال فلا ينبغى اللجوء إليها لأنها لا دليل شرعى عليها ، والأصل ملازمة الشرع حتى لو حدث ما حدث ، ومهما سمحت بها حكومات فيجب على الإسلاميين اعتبار مشروعية الوسيلة الدعوية التى يلجئون إليها ، إذ إن الغاية لا تبرر الوسيلة فلا بد من مشروعية الغاية مع مشروعية الوسيلة .

٢ - قد يقول قائل : إن زيداً من العلماء قد أجاز هذه الوسائل للدعوة !

والجواب أن يقال :

إن هذه الوسائل لم تكن من هدى السلف ، ولو كانت خيراً لسبقونا إليه ، لكن لم يؤثر عنهم ذلك .

ثم لو فرضنا أن أحداً أفشى بذلك ، فالعبرة بالدليل ، إذ كل قول لا دليل عليه لا عبرة به ولو كان القائل أعلم الناس ، إذ لا يجب الاقتداء إلا بالنبي - ﷺ - وأصحابه الذين سبقوا إلى كل خير - رضی الله تعالى عنهم .

ورحم الله من قال :

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداء من خلف

فيبقى اتباع السلف الصالح في كل الأمور ، العقيدة والعبادات والمنهج وكل شئ .

٣ - قد يقول قائل :

إن هذه الوسائل قد نفعت في بعض الأزمات والبلدان ، وجاءت بنتائج إيجابية .

والجواب أن يقال :

إن نجاحها في بعض البلدان والأزمات لا يدل على مشروعيتها ، إذ إن العبرة بثبوت الدليل وبفعل السلف ، ثم إذا كانت نجحت حيناً فقد فشلت في أكثر الأحيان ، ولم يكن لها من نتائج سوى سقوط الضحايا وإثارة الأحقاد والتعجيل بضرب الحركات الإسلامية وإجهاد دعوتها ، وهذا معروف في أكثر البلدان الإسلامية .

* * *

المبحث العاشر

حقوق الراعى والرعية

فإن لكل إنسان حقوقاً على غيره ، وعليه حقوق لغيره يجب عليه أن يؤديها ، ومن أهم هذه الحقوق الواجبة حق الراعى على رعيته ، وحق الرعية على الراعى ، ونظراً لما يحيط بهذا الأمر من ملاحظات ، فقد رأيت أن أشير إليه باختصار فأقول وبالله التوفيق :

أولاً : حق الراعى على رعيته :

للراعى - وأقصد به هنا ولى الأمر ، الحاكم الذى يقوم على رعاية شئون المسلمين وإدارة شئون حياتهم - على رعيته حقوق ، منها :

١ - النصح له :

إذا رأوا منه عوجاً أو خطأ فعليهم أن ينصحوه ، ويسددوه كما قال عليه السلام : «الدين النصيحة . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ فقال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١) .

فهذا من أعظم الحقوق على الرعية للراعى ، ومن قصر منهم فى حق النصيحة فقد غش الراعى لأمر المسلمين ولم يصدقهُ .

٢ - عدم التشهير به :

فإذا رأوا منه شيئاً فلا يجوز التشهير به علناً على المنابر ونحوها ، بل يُنصح سراً ، حتى لا يتسبب ذلك فى فتح باب الشر والفساد والعصيان وإراقة الدماء ، سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - حفظه الله - : هل من منهج السلف نقد الولاة من فوق المنابر ؟ وما منهج السلف فى نصح الولاة ؟ .

(١) أخرجه مسلم وغيره .

فأجاب بقوله : ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر ، لأن ذلك يقضى إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة فى المعروف ، ويقضى إلى الخوض الذى يضر ولا ينفع ، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان والكتابة إليه أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير .

وإنكار المنكر يكون من دون ذكر الفاعل ، فينكر الزنا وينكر الخمر وينكر الربا من دون ذكر من فعله ، ويكفى إنكار المعاصى والتحذير منها من غير ذكر أن فلاناً يفعلها لا حاكم ولا غير حاكم .

ولما وقعت الفتنة فى عهد عثمان قال بعض الناس لأسامة بن زيد - رضى الله عنه - : ألا تنكر على عثمان !؟ قال : لا أنكر عليه عند الناس ، لكن أنكر عليه بينى وبينه ولا أفتح باب شر على الناس .

ولما فتحوا الشر فى زمن عثمان - رضى الله عنه - وأنكروا على عثمان جهرة تمت الفتنة والقتال والفساد الذى لا يزال الناس فى آثاره إلى اليوم ، حتى حصلت الفتنة بين على ومعاوية ، وقتل عثمان وعلى بأسباب ذلك ، وقتل جم كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلنى وذكر العيوب علناً ، حتى أبغض الناس ولى أمرهم وحتى قتلوه . نسأل الله العافية .

٣ - الدعاء له بالصلاح :

والأفضل أن يكون ذلك سرّاً فإنه أقرب للإخلاص وللقبول ، كما قال بعض السلف : لو علمت أن لى دعوة مستجابة لصرفتها للأمر . وذلك لأن صلاحه صلاح للرعية كلها .

٤ - الطاعة فى المعروف :

فإن طاعة ولاة الأمور فى المعروف وفى غير معصية الله - تعالى - فرض مؤكد على المسلم ، كما قال تعالى .

وأما إذا أمر بغير طاعة الله - تعالى - فإنه لا يجوز طاعته ، قال عليه السلام : « على المرء المسلم السَّمْعُ والطَّاعَةُ فيما أَحَبَّ وكرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ »^(١) وقال : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »^(٢) .

٥ - عدم الخروج عليه :

فإن من حق ولى الأمر المسلم على رعيته ألا يتزعوا يداً من الطاعة ، وألا يخرجوا عليه ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد بايع أصحابه على أن لا يتارعوا الأمر أهله ، إلا أن يروا كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان .

والخروج على الحكام هو أساس الفتن والبلايا فى هذه الأمة وإلى قيام الساعة .
لذا فإنه لا يجوز للرعية الخروج على الراعى المسلم ، ولا تفريق جماعة المسلمين ، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

قال الشيخ العلامة محمد بن عثيمين حفظه الله : أما حقوق الولاية على رعيتهم فهى : النصح والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة ، بسلوك أقرب الطرق إلى توجيههم وإرشادهم وأن لا يتخذ من خطيئهم - إذا أخطوا - وهم مُعْرَضُونَ للخطأ كغيرهم من بنى آدم ، لكن لا يتخذ من هذا الخطأ سلباً للقدح فيهم ونشر عيوبهم بين الناس ، فإن هذا يوجب التنفير عنهم وكراهيتهم وكراهية ما يقومون به من أعمال وإن كانت حقاً ويوجب بالتالى التمرد عليهم وعدم السمع والطاعة ، وفى ذلك تفكيك المجتمع وحدوث الفوضى والفساد .

ومن حقوق الولاية على رعيتهم السمع والطاعة بامثال ما أمروا به وترك ما نهوا عنه ، ما لم يكن فى ذلك مخالفة لشريعة الله ، فإن كان فى ذلك مخالفة لشريعة الله فلا سمع لهم ولا طاعة « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

وقال عليه السلام : « السَّمْعُ والطَّاعَةُ عَلَى المرءِ المسلمِ فيما أَحَبَّ وكرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ

(١) متفق عليه .

(٢) مستند الإمام أحمد .

بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» ، وقال عبادة بن الصامت رضي الله عنه : بايعنا رسول الله عليه السلام على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا وان لا ننازع الامر أهله ، قال : إلا أن تروا كفرةً بواحا عندكم فيه من الله برهان ^(١) .

أيها الاخ المسلم : إن من طاعة ولاة الامور التى أمر الله بها أن يتمشى المؤمن على أنظمة حكومته المرسومة إذا لم تخالف الشريعة ، فمتى تمشى على ذلك كان مطيعاً لله ورسوله ومثاباً على عمله ، ومن خالف ذلك كان عاصياً لله ورسوله وأثماً بذلك .

ثانياً : حقوق الرعية على الراعى :

إن للرعية على الراعى حقوقاً كثيرة جداً ، والله تعالى سائله عنها يوم القيامة ، فإن الولاية تكليف وإبتلاء وليست تشريعاً بحال ، فمن هذه الحقوق :

١ - أن يحكم فيهم بما أنزل الله تعالى :

فيقيم فيهم حدود الله ، ولا يستبدلها بغيرها ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ^(٢) .

وقال عز وجل : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ ^(٣) .

فمن حكم فى رعيته بغير ما أنزل الله - تعالى - فقد خان أمانة الله رسوله وخان المؤمنين .

٢ - أن يعدل بينهم :

فيجب على الراعى أن يعدل بين رعيته ، ولا يفضل منهم أحداً لقرابة أو غيرها بل يكون الكل سواء عنده ، قال عليه السلام : « لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » ^(٤) ومن لم يساو بين رعيته فقد خان الأمانة وغش الرعية .

(٢) المائدة : ٤٩ .

(٤) أخرجه البخارى .

(١) رواه مسلم .

(٣) المائدة : ٤٨ .

٣ - رحمتهم والشفقة عليهم :

فيجب عليه أن يرحمهم وأن يعطف عليهم ، ولا يشق عليهم ، فإن النبي ﷺ قال : « اللَّهُمَّ مَنْ وَلى مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَّقْ بَيْنَهُمْ فَارْقُ بِهِ ، وَمَنْ وَلى مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ » (١).

٤ - أن يحمى صورة الإسلام والمسلمين :

وهذا كذلك من حقوق الرعية على الراعى ، أن يحمى بلادهم ودينهم من مكائد عدوهم الكافر المنافق ، وأن يقيم حكم الجهاد ، ويباشر الغزو وانتداب المجاهدين للجهاد فى سبيل الله ، وإدخال الناس فى دين الله أفواجاً ، والدفاع عن أرض الإسلام ، وأعراض المسلمين .

٥ - إظهار شعائر الإسلام فيهم :

وهذا من حق الرعية على الراعى كذلك ، أن يظهر فيهم شعائر الإسلام ، من الحج والعمرة والأذان ، والجمعة والجماعة ، والعيدن ، والحجاب ، وغير ذلك من شعائر الإسلام الظاهرة ، والتي يجب المحافظة عليها حماية وصيانة لشعار الإسلام ، كما يجب عليه محاربة كل ما ينافى هذه الشعائر ، من شعارات وأفعال وغيرها .

أما حقوق الرعية على ولايتهم فالمسئولية كبيرة والأمر خطير ، فليس المقصود بالولاية بسط السلطة ونيل المرتبة ، وإنما المقصود بها تحمل مسئولية عظيمة تركز على إقامة الحق بين الخلق بنصر دين الله وإصلاح عباد الله دينياً ودنياً .

فيجب على الولاية صغاراً أو كباراً إخلاص النية لله سبحانه ، والاستعانة به فى جميع أمورهم على ما حملهم من هذه الأمانة ، وعليهم أن يطبقوا أحكامه - سبحانه وتعالى - بحسب استطاعتهم ، على الشريف والوضيع والقريب والبعيد ، لا يحابوا

شريفًا لشرفه ولا قريبًا لقربه ، متمشين فى ذلك على ما رسم لهم نبيهم ﷺ ، حيث قال معلنًا ومقسمًا ، وهو البار الصادق بدون قسم : « لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا »^(١) فمن قام بذلك من ولاية الامور ، الصغير أو الكبير كان مطيعًا لله ورسوله ، مؤديًا لامانته نائلاً ثواب الله ورضا الخلق عليه فإن الله يحب المقسطين قال النبى ﷺ : « إِنَّ الْمَقْسُطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَتَابَرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ مَا وُلُّوا »^(٢) . وقال : « أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثٌ : ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيبٌ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى مُسْلِمٍ ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ »^(٣) .

فاتقوا الله أيها المسلمون من ولاية ورعية ، وقوموا بما أوجب الله عليكم ليستتب الأمن ويحصل التألف ، فإن تفرطوا يسلط الله بعضكم على بعض ، فتسلط الولاية على الرعية بالظلم وإهمال الحقوق ، وتسلط الرعية على الولاية بالمخالفة والفضوى والاعتزاز بالرأى ، فلا ينضبط الناس ولا يصلح لهم حال .

فإذا قام كل من الراعى والرعية بأداء ما عليه من حقوق للطرف الآخر ، فحيث يتخذ ينصلح حال المسلمين وتتفى بوادر الشر والاختلاف والتفرق ، ويزداد ترابط الأمة على كافة المستويات ، أسأل الله أن يوفق كلاً إلى ما فيه رضاه ، وإلى ما فيه صالح الإسلام والمسلمين .

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) سبق تخريجه

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

1

2

3

4

5

6

الفصل الثالث

نظرات وتأملات في الدعوة إلى العقيدة

- المبحث الأول : المراد بأهل السنة والجماعة .
- المبحث الثاني : خصائص أهل السنة والجماعة .
- المبحث الثالث : السنة وسط بين الإفراط والتفريط .
- المبحث الرابع : وجوب اتباع عقيدة السلف ومنهجهم .
- المبحث الخامس : تبرئة السلف من عقائد الخلف .
- المبحث السادس : الأدب مع الرسول - ﷺ - .
- المبحث السابع : اتباع الرسول ﷺ علامة محبته .
- المبحث الثامن : نواقض العقيدة السلفية .

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100
101
102
103
104
105
106
107
108
109
110
111
112
113
114
115
116
117
118
119
120
121
122
123
124
125
126
127
128
129
130
131
132
133
134
135
136
137
138
139
140
141
142
143
144
145
146
147
148
149
150
151
152
153
154
155
156
157
158
159
160
161
162
163
164
165
166
167
168
169
170
171
172
173
174
175
176
177
178
179
180
181
182
183
184
185
186
187
188
189
190
191
192
193
194
195
196
197
198
199
200
201
202
203
204
205
206
207
208
209
210
211
212
213
214
215
216
217
218
219
220
221
222
223
224
225
226
227
228
229
230
231
232
233
234
235
236
237
238
239
240
241
242
243
244
245
246
247
248
249
250
251
252
253
254
255
256
257
258
259
260
261
262
263
264
265
266
267
268
269
270
271
272
273
274
275
276
277
278
279
280
281
282
283
284
285
286
287
288
289
290
291
292
293
294
295
296
297
298
299
300
301
302
303
304
305
306
307
308
309
310
311
312
313
314
315
316
317
318
319
320
321
322
323
324
325
326
327
328
329
330
331
332
333
334
335
336
337
338
339
340
341
342
343
344
345
346
347
348
349
350
351
352
353
354
355
356
357
358
359
360
361
362
363
364
365
366
367
368
369
370
371
372
373
374
375
376
377
378
379
380
381
382
383
384
385
386
387
388
389
390
391
392
393
394
395
396
397
398
399
400
401
402
403
404
405
406
407
408
409
410
411
412
413
414
415
416
417
418
419
420
421
422
423
424
425
426
427
428
429
430
431
432
433
434
435
436
437
438
439
440
441
442
443
444
445
446
447
448
449
450
451
452
453
454
455
456
457
458
459
460
461
462
463
464
465
466
467
468
469
470
471
472
473
474
475
476
477
478
479
480
481
482
483
484
485
486
487
488
489
490
491
492
493
494
495
496
497
498
499
500
501
502
503
504
505
506
507
508
509
510
511
512
513
514
515
516
517
518
519
520
521
522
523
524
525
526
527
528
529
530
531
532
533
534
535
536
537
538
539
540
541
542
543
544
545
546
547
548
549
550
551
552
553
554
555
556
557
558
559
560
561
562
563
564
565
566
567
568
569
570
571
572
573
574
575
576
577
578
579
580
581
582
583
584
585
586
587
588
589
590
591
592
593
594
595
596
597
598
599
600
601
602
603
604
605
606
607
608
609
610
611
612
613
614
615
616
617
618
619
620
621
622
623
624
625
626
627
628
629
630
631
632
633
634
635
636
637
638
639
640
641
642
643
644
645
646
647
648
649
650
651
652
653
654
655
656
657
658
659
660
661
662
663
664
665
666
667
668
669
670
671
672
673
674
675
676
677
678
679
680
681
682
683
684
685
686
687
688
689
690
691
692
693
694
695
696
697
698
699
700
701
702
703
704
705
706
707
708
709
710
711
712
713
714
715
716
717
718
719
720
721
722
723
724
725
726
727
728
729
730
731
732
733
734
735
736
737
738
739
740
741
742
743
744
745
746
747
748
749
750
751
752
753
754
755
756
757
758
759
760
761
762
763
764
765
766
767
768
769
770
771
772
773
774
775
776
777
778
779
780
781
782
783
784
785
786
787
788
789
790
791
792
793
794
795
796
797
798
799
800
801
802
803
804
805
806
807
808
809
810
811
812
813
814
815
816
817
818
819
820
821
822
823
824
825
826
827
828
829
830
831
832
833
834
835
836
837
838
839
840
841
842
843
844
845
846
847
848
849
850
851
852
853
854
855
856
857
858
859
860
861
862
863
864
865
866
867
868
869
870
871
872
873
874
875
876
877
878
879
880
881
882
883
884
885
886
887
888
889
890
891
892
893
894
895
896
897
898
899
900
901
902
903
904
905
906
907
908
909
910
911
912
913
914
915
916
917
918
919
920
921
922
923
924
925
926
927
928
929
930
931
932
933
934
935
936
937
938
939
940
941
942
943
944
945
946
947
948
949
950
951
952
953
954
955
956
957
958
959
960
961
962
963
964
965
966
967
968
969
970
971
972
973
974
975
976
977
978
979
980
981
982
983
984
985
986
987
988
989
990
991
992
993
994
995
996
997
998
999
1000

المبحث الأول

المراد بأهل السنة والجماعة وصفاتهم

من الواجب على المسلم أن يكون على مذهب أهل السنة ومنهجهم في كل الأمور ، وأنا أتكلم حول هذا الموضوع بإيجاز فأقول مستعيناً بالله :

أولاً : مصطلح أهل السنة والجماعة مصطلح قديم ، ويقصد به المتمسكون بسنة النبي - ﷺ - وأصحابه وتابعيه ، المتمسكون بما كان عليه جماعة المسلمين في الصدر الأول ، المجتنبون للشاذ من الآراء والأهواء ، الملازمون للجماعة البعيدون عن الفرقة .

ثانياً : أصل مصطلح عقيدة السلف :

جاء هذا المصطلح من خلال الأحاديث التي تحض على اتباع السنة والتمسك بها ، والأمر بلزوم الجماعة وترك التفرق والاختلاف ، فمن ذلك قوله ﷺ : «**افترقت اليهود والنصارى على إحدَى وسبعين أو ثنتين وسبعين فرقة ، كلها في النار ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة**» وفي لفظ : «**مَنْ كَانَ عَلَيَّ مِثْلَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»^(١) فهذا أصل هذه التسمية ، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله تعالى : ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾ قال : تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف ، وتسود وجوه أهل البدعة والاختلاف^(٢) .

وقد استعمل هذا المصطلح عند السلف حيث كانوا يدنون ما ينقلونه عن عقائد أهل السنة تحت اسم (السنة) كالإمام أحمد وابنه عبد الله وابن أبي عاصم والخلال وغيرهم كثير ، والحاصل أن هذا المصطلح (أهل السنة والجماعة) قد استعمله السلف كثيراً بعد ظهور أهل البدع ليتميزوا عن غيرهم ، وليعرفوا من بينهم .

(١) أخرجه الترمذي والطبراني .

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٧ - ٥ .

ثالثاً : أسماء أهل السنة وأصلها :

هناك أسماء أخرى لأهل السنة والجماعة ، ولكل منها دليله ، فمن ذلك مثلاً :

١ - الفرقة الناجية :

وذلك استنباطاً من قوله - ﷺ - : « وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة »^(١) فلهذا سميت بالفرقة الناجية .

٢ - الطائفة المنصورة :

وذلك استنباطاً من قوله - ﷺ - : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علي الحق - وفي لفظ : على الحق منصورين - لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك »^(٢) .

٣ - السلف الصالح :

وذلك لأنهم سلف لنا متقدمون علينا موسومون بالصلاح ، وذلك من قوله - ﷺ - : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »^(٣) وغير ذلك .

رابعاً : هل هناك ضرورة للتسمي باسم أهل السنة ؟

كان الناس أمة واحدة ، ثم فشا فيهم الشرك فأرسل الله - تعالى - الرسل مبشرين ومنذرين فمن أطاعهم واتبعهم استحق اسم الإسلام ، ومن عصاهم وخالفهم استحق اسم الكفر ، فمن هنا انقسم الناس إلى مسلم وكافر .

ثم بعد ذلك انقسم أهل الإسلام ما بين متبع للسنة قائل بها ، ومخالف لها معاند ، فكما تمايز أهل الإسلام عن أهل الأديان الأخرى ، كذلك تمايز أهل السنة عن غيرهم من أهل البدع والمذاهب الأخرى ، فأطلقوا على أنفسهم هذا الاسم ليتميزوا به عن غيرهم ، ولكي يعرفوا باتباعهم للسنة وأخذهم بها .

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه في الصحيحين .

(٣) رواه مسلم .

وأما الشق الثانى وهو أن إطلاق هذا الاسم قد يساعد على التفرق فالجواب هو : لا ، لأن هذا الاسم يدل على ما يجب أن يتجمع عليه الناس ويجمعوا حوله ويتألفوا على أساسه ، ألا وهو سنة النبى - ﷺ - فمن رضى بالسنة وقال بها واتبعها وقَبِلَ أن ينسب إليها فهو منا ونحن منه ، وكلنا إخوة فى الله وفى سنة النبى - ﷺ - مهما كان العدد قليلاً ، فالجماعة ما كان على الحق ولو كنت وحدك .

ومن لم يرض باسم السنة ولم يقبل أن ينسب إليها فليس منا ولسنا منه ، ولا حاجة لنا به ، مهما كان عددهم كبيراً عظيماً فإنهم لا خير فيهم .

خامساً : شروط كون الرجل من أهل السنة :

يقال للرجل : إنه من أهل السنة والجماعة إذا أخذ بأصول أهل السنة وقال بها ، ومنها :

١ - توحيد الله تعالى فى ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وصرف العبادة له دون غيره ظاهراً وباطناً .

٢ - تجريد الاتباع للنبى ﷺ وحده ، فى كل أحواله وأموره والأخذ بسنته ظاهراً وباطناً .

٣ - اتباع سبيل المؤمنين السابقين : من الصحابة والتابعين ، الذين قال فيهم ﷺ عليكم بستی وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى .

٤ - سلامة القلب لأصحاب النبى ﷺ : فلا يقدح فى أحد منهم ، أو يتقصه أو يذكره بسوء أو يكون فى قلبه غل لأحد منهم ، فإن ذلك ليس من سيماء المؤمنين .

٥ - الاعتراف بفضل الصحابة : وخصوصاً الخلفاء الأربعة ، وعدم القدح فى خلافة أى منهم وتقديهم على غيرهم ، والإقرار بما صح من فضائلهم ، ومن قدح فيهم أو غمزهم أو ذكرهم بسوء فهو أضل من حمار أهله .

٦ - محبة أزواج النبی - ﷺ - وآل بيته : وتوليهم ، وعدم الإساءة إليهم أو القدح فيهم ، وتبرئة أزواجه من كل عيب ونقص وتهمة ، فهن الطاهرات المؤمنات ، وخصوصاً عائشة وخديجة ، والإقرار بأنهم أزواجه - ﷺ - فى الجنة ، وكذلك محبة آل بيته ، وتعظيمهم لقرابتهم له - ﷺ - وذلك مع اعتقاد عدم عصمتهم ، فهم بشر أولاً وآخرًا .

٧ - عدم التكفير بالمعصية : سواء كانت كبيرة أو صغيرة ، فهم لا يكفرون أحداً من أهل الإسلام بذنب ما لم يستحله ، سواء كان كبيرة أو صغيرة ، ويسمون مرتكب الكبيرة فاسقاً ناقص الإيمان ، لكنهم يقولون : هو تحت مشيئة الله - تعالى - إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه بذنوبه ولم يخلد فى النار .

٨ - عدم الشهادة لمعين بالجنة أو النار : إلا من شهد له القرآن والسنة ، غير أنهم يفرحون للمحسن ويرجون له ، ويخافون على المسيء ولا يقنطونه من رحمة الله تعالى .

٩ - يقولون بأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية : كما قال تعالى : ﴿ وَيَزِدْهُمْ آيَاتِنَا إِيمَانًا ﴾^(١) فزيادته بالبر والطاعات ونقصانه بالسيئات والمعاصى ، ولا يقولون كالمرجئة : لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله ، بل يرون الذنوب تضر أصحابها ، فهم يخشون عليهم من ذنوبهم ، وهم يقولون : إن الإيمان قول وعمل .

١٠ - عدم الخروج على الولاة ولزوم الجماعة : وكذلك الصلاة والجهاد معهم والدعاء لهم ، وعدم شق عصا الطاعة وتفريق الجماعة ، إلا أن يكون كفر بواح عندنا من الله فيه برهان ، يرون طاعتهم فى المعروف وإن جاروا .

وغير ذلك من أصولهم وخصائصهم التى اختصوا بها عن سائر أهل البدع والأهواء .

(١) المائدة : ٣١ .

سادساً : وسطية أهل السنة بين سائر الفرق :

إن أهل السنة والجماعة وسط في كل أصولهم بين أهل الغلو والتطرف والإفراط ، وبين أهل التقصير والتحليل والتفريط ، فهم وسط بين طرفي نقيض ، ومن ذلك :

١ - في مسألة الصفات الإلهية :

هم وسط بين المعطلة الجهمية النفاة الذين نفوا صفات الله - عز وجل - أو أولوها بما يخرجها عن حقيقتها ، وبين أهل التشبيه الذين غلوا في الإثبات حتى شبهوا الله تعالى بخلقه ، أما أهل السنة والجماعة فإنهم أثبتوا لله كل ما ثبت من الأسماء والصفات مع التنزيه عن المشابهة لخلقه ، وتفويض علم كيفية ذلك إليه تعالى ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) .

٢ - في مسألة الإيمان :

هم وسط بين الذين قالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب وهم المرجئة ، وبين الوعيدية الذين نفوا اسم الإيمان بفعل المعاصي ، لكنهم - أى أهل السنة - جعلوا الإيمان قولاً وعملاً ، ولا ينتفى الإيمان إلا بانتفاء جميع أعماله ، ولا يرتفع اسم الإيمان الواجب بالمعاصي ما لم يستحلها ، بل ينقص من كماله بحسب ذلك .

٣ - في مسألة القدر :

هم وسط بين الجبرية الذين يرون أن العبد لا مشيئة له أصلاً وأنه مجبور على أعماله وبين أهل القدر الذين جعلوا العبد خالقاً لفعل نفسه ، أما أهل السنة فقد جعلوا للعبد مشيئة واختياراً وإرادة ، لكنها داخلية في مشيئة الله تعالى وإرادته ، ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (٢) .

٤ - في مسألة الصحابة :

هم وسط بين الذين غلوا في شأن بعض الصحابة ورفعوهم إلى مرتبة الألوهية كما فعلت الباطنية مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وبين الناصبة الذين كفروهم وحطوا

من شأنهم ، بل إن أهل السنة يحبونهم جميعاً ويتولونهم ، ولا يرون عصمة أحد منهم أو يرفعونه فوق منزلته التي يستحق .

٥ - فى مسألة حب النبى صلى الله عليه وسلم :

يحبون النبى - ﷺ - ويعظمونه ويرون ذلك ديناً وإيماناً لكنهم لا يؤلهونه ولا يعبدونه من دون الله ، فهم وسط بين أهل الغلو الذين أسبغوا عليه - ﷺ - صفات الألوهية كالصوفية ونحوهم وبين أولئك الذين أعرضوا عن سنته وحطوا من شأنها وقدموا على حبه حب الدنيا وأهلها ، بل إن أهل السنة يقدمون محبته على كل محبة واتباعه على كل اتباع ويرون اتباع سنته ديناً واجباً عليهم .

سابقاً : من محاسن الأعمال والأخلاق عند أهل السنة :

إن أهل السنة والجماعة - رحمهم الله تعالى - عون إلى كل خير ، فمن ذلك : الأمر بالصدق وحفظ الأمانة وغيض البصر وبر الوالدين وصلة الأرحام وحفظ الفرج ، وأكل الحلال ، والتعفف عن الحرام ، وحفظ اللسان والجوارح كلها ، ويرون الإحسان إلى اليتامى والجار والضيف ، والرفق بالضعفاء والمساكين والأرواح والأولاد .

ويرون سلامة الصدر للمؤمنين والنصح لهم ، وعلى رأسهم الأئمة والولاة ، ولزوم الجماعة والمحافظة على الصلوات الخمس وصوم رمضان والحج وأداء الزكاة والجهاد فى سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وهم كذلك ينهاون عن كل منكر وشر ، ومن ذلك الكذب والخيانة والعقوق والسرقة وشرب الخمر والزنا والحلف الكاذب ، والغش فى البيع والشراء ، والغيبة والنميمة ، وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام وإيذاء المسلمين ، والغل فى الصدور لهم ، وترك النصيحة لهم ، والغلظة على المؤمنين ، وإطلاق البصر فى الحرام وغير ذلك مما حرمه الله تعالى ورسوله - ﷺ - ونهى عنه .

وفى الختام نسأل الله - تعالى - أن يوفقنا جميعاً لتكون من أهل السنة والجماعة ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، والحمد لله رب العالمين .

المبحث الثاني

خصائص أهل السنة

لقد اقتضت سنة الله تعالى في خلقه ، أن بعث الرسل مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وقضى أن من أطاعهم دخل الجنة . وأحرز نفسه عذاب الله تعالى وغضبه ، ومن عصاهم فقد استوجب دخول النار ، وعرض نفسه الله وعقابه ، وجعل خاتمهم وآخرهم وأفضلهم محمداً ﷺ ، وأنزل عليه خير كتاب وأفضله ، وجعل طاعته سبيل النجاة ، ومعصيته طريق الخذلان والبوار وما قبضه إليه حتى أقام به الملة العوجاء ، وشرح له صدره ، ورفع له ذكره ، وبصر به من العمى ، وكان فيما أوحى إليه التحذير من الاختلاف في الدين ، فقال - تعالى - في كتابه الكريم : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « تبييض وجوه أهل السنة والاتلاف ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة » (٢) .

وقد دب الخلاف في الأمة بعد وفاة النبي ﷺ ، وتطور الأمر حتى ظهرت طوائف خالفت في مسائل من أصول الدين ، وهلك في ذلك الكثير من الناس حيث اتبعوا الشيطان ، واتبعوا الأهواء والآراء الباطلة ، وأعرضوا عن هدى الله ورسوله ﷺ .

غير أن حكمة الله - تعالى - قد اقتضت أن يظل الحق واضحاً جلياً ، فبقيت طائفة من هذه الأمة متمسكة بالنبع الصافي ، بالكتاب والسنة ، تنهل منهما ، وتقتبس

(٢) أخرجه ابن كثير ج ١ / ص ٥٠٧ . .

(١) آل عمران : ١٠٥-١٠٧ .

منهما فى كل أمور حياتها فاستحقت هذه الطائفة إطلاق كل اسم محمود عليها ، وأحب هذه الأسماء وأشهرها اسم أهل السنة والجماعة ، لأنهم هم المتمسكون بسنة النبى ﷺ ، وهم الجماعة المعتصمون بحبل الله تعالى ، البعيدون عن التفرق فى أودية الأهواء .

ولهذا فقد كان أكثر السلف إذا صنفوا فى بيان عقائد السلف الصالح وما هم عليه فى مسائل أصول الدين ، أطلقوا على مصنفاتهم اسم السنة ، كالإمام أحمد وابنه عبد الله ، والحلال ابن أبى عاصم ، واللالكائى ، وغيرهم :

من أسمائهم أيضاً الفرقة الناجية، وهى المذكورة فى قوله ﷺ : « إِنْ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ قَدْ اْتَرَقُوا عَلَى نِسْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَإِنِّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، كُلُّهَا فِي السَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ، قِيلَ : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي . وَفِي لَفْظٍ : وَهِيَ الْجَمَاعَةُ » (١) ، أو كما قال .

أيضا هم الطائفة المنصورة المذكورة فى قوله - ﷺ - : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ » (٢) .

ولاهل السنة والجماعة صفات وخصائص تميزوا بها عن غيرهم ، يجدر بكل مسلم أن يتعرف عليها وأن يتصف بها حتى يكون منهم إن شاء الله تعالى ، فمن هذه الخصائص .

١ - أنهم يقدمون النقل على العقل :

فهم يعتمدون النقل ، أى الكتاب والسنة أساساً فى التلقى والاستدلال ، فكل العقائد الصحيحة السليمة الصافية يتلقونها من الكتاب والسنة ، ويستدلون على صحتها بالكتاب والسنة ، وأما العقل والفطرة وغير ذلك ، فكله تابع للكتاب والسنة ،

(٢) سبق تخريجه

(١) سبق تخريجه

شاهد على صدقهما ، لا يعارضهما بحال ، وإن بدا تعارض بين نص شرعى وبين مقتضى العقل ، فإما أن يكون النص غير ثابت ، أو إن ثبت النص فإنهم يهتمون العقل ويرون أن النقل فوق مستوى النقد ، ما دام قد ثبت عن الصادق المصدوق - عليه السلام - ويرون أن صحيح المنقول لا يعارض صريح المعقول أبداً ، وهما بهذا يختلفون عن أهل البدع الذين يقدمون العقل على النقل ، وإما أن يردوا النص الشرعى إذا خالف عقولهم وأهواءهم ، وإما أن يؤولوه بخلاف حقيقته ، ويجعلون العقل حاكماً على الشرع الكريم ، وهذه بدعة خطيرة جداً أدت بطوائف من أهلها إلى المروق من الإسلام بالكلية .

٢ - أنهم وسط فى كل الأمور بين أهل الضلال من أهل الإفراط أو التفريط ،
فمثلاً :

١ - فى مسائل الأسماء والصفات الإلهية :

هم وسط بين النفاة ، الذين نفوا أسماء الله وصفاته بالكلية ، أو أثبتوا بعضها ونفوا بعضها ، أو أثبتوها لكنهم نفوا معانيها ، وأولوها بما يخرجها عن حقيقة معانيها اللاتقة بها ، وبين أهل التشبيه الذين أثبتوا الأسماء والصفات لكنهم شبهوها بصفات المخلوقين ، فجعلوا الخالق كالمخلوق ، لهذا كانوا أشبه باليهود الذين شبهوا الخالق بالمخلوق ونسبوا صفات النقص إلى الله تعالى ، أما أهل السنة والجماعة فإنهم أثبتوا لله - تعالى - كل ما جاء فى الكتاب والسنة الصحيحة من الأسماء والصفات الإلهية ، وأثبتوا بها جميع المعانى الحقيقية اللاتقة بها ، مع تنزيه الله - تعالى - عن مشابهة الخلق ، وعدم تصور كيفية معينة لهذه الصفات ، بل فوضوا علم الكيفية إلى الله تعالى ، ورائدهم فى ذلك قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ^(١) فأول الآية نفى للمثلية والمشابهة ، وآخرها إثبات لحقيقة الأسماء والصفات .

ب - فى مسألة القدر :

هم وسط بين القدرية الذين قالوا بأن الله لا يعلم الجزئيات ، وأنه لا يخلق أفعال العباد ، ولا يعلمها حتى تكون ، وأن الإنسان خالق فعل نفسه ، وبين الجبرية الذين قالوا بأن العبد كالريشة فى مهب الريح ، وأنه مجبور على فعل الشر ولا اختيار له فى ذلك ، أما أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون للعبد مشيئة واختياراً وإرادة ، لكنها مخلوقة لله - تعالى - داخلية فى إرادته ، فلا مشيئة للعبد إلا ما شاء الله له ، ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) ويقولون بأن الله - تعالى - هو خالق أفعال العباد من خير وشر ، لحكمة بالغة قضاها ، كما قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾^(٢) لكنه - تعالى - يحب الخير ويرضاه ويأمر به ، ويكره الشر ولا يرضاه ولا يأمر به شرعاً .

ج - فى مسألة الإيمان :

هم وسط بين الوعيدية الخوارج الذين يخرجون مرتكب الكبيرة بل والمعاصى من الإيمان ، ويحكمون له بالخلود فى النار ، وبين المرجئة الذين يقولون : لا يضر مع الإيمان ذنب ولا معصية ، ويقول بعضهم بأن الإيمان مجرد الإقرار باللسان فقط ، بل وذهب الغلاة منهم ، إلى أن الإيمان هو مجرد معرفة الرب تعالى حتى من غير إقرار به ، أما أهل السنة والجماعة فالإيمان عندهم تصديق بالقلب وقول باللسان ، وعمل بالجوارح والأركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصى ، ومرتكب الكبيرة عندهم فاسق ناقص الإيمان لكنه ما زال مسلماً ، ما لم يستحل المعصية ، وأمره فى الآخرة إلى الله - تعالى - إن شاء عاقبه ، وإن شاء غفر له وتجاوز عنه .

د - فى مسألة الصحابة :

هم وسط بين الذين غلوا فى بعض الصحابة حتى رفعوهم إلى منزلة الألوهية بل والربوبية كما فعلت الروافض مع على بن أبى طالب رضي الله عنه وبين الذين حطوا من شأنه وشأن بعض الصحابة وانتقصوا منهم كالتواصب وغيرهم ، لكن أهل السنة والجماعة

عرفوا قدر الصحابة فاحترمواهم وأحبواهم ووالوهم ، لكنهم لم يغفلوا فى أحد منهم ولم يرفعوهم فوق المنزلة التى يستحقونها ، والتى أنزلهم الله تعالى إياها .

هـ - فى مسألة كرامات الأولياء :

هم وسط بين الذين أنكروها ونفوها بالكلية ، وبين الذين بالغوا فيها وفى شأن الصالحين حتى رفعوا بعضهم إلى منزلة الربوبية والعياذ بالله ، لكن أهل السنة والجماعة أثبتوا هذه الكرامات للصالحين الاتقياء ، على ما ورد فى الكتاب والسنة ، من غير أن يرفعوا أحداً منهم فوق المنزلة التى يستحقها .

و - فى مسألة تعظيم النبى - ﷺ - :

هم وسط بين الذين غلوا فى شأنه - ﷺ - حتى أسبغوا عليه صفات الألوهية والربوبية ، وبين أهل الجفاء الذين لم يعرفوا له - ﷺ - منزله ، فردوا كلامه وسنته ، وقدموا عليهما الأهواء والآراء ، وتقليد أهل الشرق والغرب فضلوا ضلالاً مبيئاً ، أما أهل السنة والجماعة فإنهم أحبوهم - ﷺ - وعظموه فلبوا أمره واجتنبوا نهيه وصدقوا خبره ، من غير أن يرفعوه فوق المنزلة التى أنزله الله - تعالى - إياها .

٣ - ليس لهم إمام معظم إلا النبى - ﷺ - :

فهو الوحيد الذى يؤخذ بأمره ولا يرد شىء من كلامه ، فأمره معظم ، ونهيه معظم ، وخبره مصدق ، وأما غيره - ﷺ - فإنه يؤخذ من قوله ويترك ، كما قال الإمام مالك - رحمه الله تعالى - : « كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر » يعنى النبى - ﷺ - فكل شخص غير النبى - ﷺ - إذا وافق قوله قول النبى ﷺ ساغ الأخذ به ، وإن خالفه رددناه ولا كرامة .

٤ - عصمة الله - تعالى - لهم من تكفير بعضهم بعضاً :

فأهل السنة والجماعة لا يكفر بعضهم بعضاً ، ولا يتبرأ بعضهم من بعض ، وهذا من فضل الله تعالى عليهم ، وأما أهل البدع فإنهم يتبرأ بعضهم من بعض ، ويكفر بعضهم بعضاً ، ويلعن بعضهم بعضاً .

٥ - رفضهم للتأويل :

فإن التأويل قد يراد به حقيقة ما يثول إليه الشيء ، وقد يراد به تفسير الشيء وقد يراد به صرف اللفظ عن حقيقة معناه إلى معنى آخر بدون قرينة موجبة لذلك ، ولما انتشر هذا النوع من التأويل بين أهل البدع من المتكلمين وغيرهم ، رفضه أهل السنة ، لأنه جَوْرٌ على نصوص الكتاب والسنة ، وصرف لهما عن حقائقهما ، وقول على الله تعالى بغير علم ، وبغير الحق .

٦ - اتباع آثار رسول الله - ﷺ - وأصحابه ظاهراً وباطناً :

فأهل السنة والجماعة متبعون لرسول الله - ﷺ - وأصحابه السابقين الأولين ظاهراً وباطناً ، ويرون ذلك ديناً يتبعون به لله عز وجل ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) وكما قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢) .

٧ - إنهم يفهمون الدين فهماً شاملاً ويرون أنه صالح لكل زمان ومكان :

فالدين عند أهل السنة والجماعة هو ذلك المنهج الرباني الذي ينظم أمور الحياة كلها ، فهو الذي ينظم العلاقة بين العبد وربّه وبين للعبد ما يجب عليه لله تعالى ، وما يحرم ، وبه يعرف كيف يؤدي حق الله - تعالى - بالعبادة ، وهو ذلك المنهج الذي ينظم علاقة العبد بأهله وأقاربه وجيرانه والناس أجمعين ، فيحدد حقوقهم بعضهم على بعض ، والواجب على بعضهم تجاه الآخرين من غير أن يهمل في شيء

(١) الأعراف : ١٥٧ .

(٢) التوبة : ١٠٠ .

من ذلك ، وهو ذلك المنهج الذى ينظم علاقة الحاكم بالمحكوم والمحكوم بالحاكم ، ويحدد الأسس التى ينبغى أن يقام عليها الحكم ، ومبادئ القضاء ، وأصول السياسة الداخلية والخارجية ، وهو المنهج الذى يهدف إلى تنظيم حياة الناس فى كل مجالاتها فهو نظام شامل لكل نواحي الحياة ، وهو صالح لكل زمان ومكان منذ أن بعث الله نبيه - ﷺ - وحتى تقوم الساعة .

٨ - إنهم يرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضاً واجباً عليهم :

باليد واللسان والقلب ، كل على حسب طاقته ويرون ذلك فرضاً ماضياً إلى يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

٩ - الحج والجهاد مع أولياء الأمور وترك الخروج عليهم :

فأهل السنة يرون الحج والجهاد مع الأمراء ، البر منهم والفاجر ، ولا يخرجون عليهم ، ولا يتزعون يداً من طاعتهم ، ما لم يؤمروا بمعصية الله تعالى ، فحيث لا سمع ولا طاعة ، وكذلك فهم يرون ملازمة الجمعة والجماعة فى المساجد ، ويحذرون من مفارقة الجماعة .

ولهم خصائص أخرى غير ما ذكر ، وإن كانت هذه هى أبرز الخصائص ، والتى ينبغى أن يتعرف عليها كل مسلم ، حتى يميز بين الحق والباطل ، وحتى يعرف أهل السنة بوضوح ويقستدى بهم ليلحق بركب الصالحين ، من الصحابة والتابعين ، وأتباعهم ، أهل القرون الثلاثة المفضلة ، فهذا هو سبيل النجاة ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

(١) آل عمران : ١٠٤ .

المبحث الثالث

السنة النبوية

وسط بين الإفراط والتفريط

فإن سنة النبي ﷺ إنما هي وحى من الله تعالى ، وهي شقيقة القرآن ، وقد أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾^(١) وقال عز من قائل : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾^(٢) ورتب الهداية على طاعة النبي ﷺ فقال : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾^(٣) ، وجعل طاعته ﷺ من محبة الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾^(٤) وبين ﷺ أن طاعته هي طريق الجنة فقال : « كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى ! قَالُوا : وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى »^(٥) ، وغيره ، والنصوص في فضل السنة ووجوب اتباعها لا تكاد تحصى من الكتاب والسنة ، وأما من أقوال السلف والأئمة فهي كثيرة أيضاً ، وتكاد تجل عن الحصر ، وسيأتي سياق بعضها إن شاء الله - تعالى - فيما يأتي .

هذا وقد انقسم المسلمون في زماننا هذا تجاه سنة النبي ﷺ إلى ثلاثة أقسام :

(٣) التور: ٥٤ .

(٢) آل عمران : ٣٢ .

(٥) رواه البخارى .

(١) النساء : ٥٩ .

(٤) آل عمران : ٣١ .

الأول : أهل التفريط والجفاء .

والثاني : أهل الغلو والإفراط .

والثالث : أهل الوسطية والاستقامة على السنة النبوية الصحيحة ، وهم أهل

الحق حقاً .

وستتكلّم عن هذه الأقسام الثلاثة بشيء من التفصيل ، فنقول وبالله التوفيق :

القسم الأول

أهل التفريط والجفاء

وقبل أن نشرح في الكلام عنهم ، نذكر حقيقة معنى التفريط ، والتفريط لغةً هو :

التقصير وإزالة الشيء عن مكانه .

قال ابن فارس : « وكذلك التفريط وهو التقصير ، لأنه إذا قصر فيه فقد قعد به

عن رتبته التي هي له » (١) .

وقال الجوهري : « فرط في الأمر فرطاً : أي قصر فيه ، وضيعه حتى فات ،

وكذلك التفريط » (٢) .

وقال ابن منظور : « وفرط في الشيء وفرطه : ضيعه وقدم العجز فيه » (٣) .

وأما الجفاء ، فقد قال ابن فارس : « الجيم والفاء والحرف المعتل (جَفَو) يدل على

أصل واحد : نُبو الشيء عن الشيء ، ومن ذلك جفوت الرجل أجفوه ، وجفا السرجُ

عن ظهر الفرس ، وأجفيته أنا ، وكذلك كل شيء إذا لم يلزم شيئاً يقال : جفا عنه

يجفو ، والجفاء خلاف البر .. » (٤) .

فمن هذا يتضح لنا أن هناك تلازماً بين معنى التفريط والجفاء ، فإنهما سويّاً

يقصد بهما البعد عن الشيء وتضييعه والإعراض عنه ، وهذا هو فعلاً معنى التفريط

في السنة والجفاء فيها ، فإن أهل الجفاء والتفريط قومٌ فرطوا في اتباع السنة ، ولم

(٢) الصحاح (٣/١١٤٨) .

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/٤٩٠) .

(٤) معجم مقاييس اللغة (١/٤٦٥ ، ٤٦٦) .

(٣) لسان العرب (٧/٣٧٠) .

يروا بأساً بمخالفتها والإعراض عنها وتركها فضيعوا هذه السنة ، سواء ما كان منها فى أبواب العقائد وأصول الدين ، أو ما كان منها فى باب المعاملات ، أو ما كان فى باب الأحكام ، أو ما كان فى باب العبادات والشعائر أو ما كان فى باب الأدب والتهذيب .

وهكذا اندرست عندهم معالم السنة ، وسلكوا طريق الضالين المضلين من المتقدمين مخالفى السنة ومن المتكلمين ، ومقلدة الفقهاء ، وغيرهم .

فإن المتكلمين قد ردوا من السنة ما كان من أحاديث الآحاد ، بزعم أنه ظنى لا يفيد العلم القطعى ، وكذا ردوا من السنة ما كان يخالف العقل - بزعمهم - حتى ولو كان صحيحاً ثابتاً ، ولم يتهموا عقولهم حيث عجزت عن إدراك معانى النصوص على حقيقتها لما طبع الله على قلوبهم وأصله على علم ، فضلوا بذلك وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل . وبعض مقلدة الفقهاء كان جافياً فى حق سنة النبى ﷺ ، فقدّم عليها آراء الرجال وأقوال أئمتهم حتى قال بعضهم : « كل حديث يخالف قول إمامنا ، فهو إما منسوخ أو مؤول » فجعلوا أقوال الأئمة حاكمة على سنة النبى ﷺ ، مع أن السنة حاكمة على قول كل أحد غير النبى ﷺ ، ونعرف مدى اتباع الرجل للحق وموافقته له بمدى اتباعه للسنة ، وملازمته لها .

وهؤلاء الأئمة الذين تعصبت لهم أتباعهم ، وقدموا كلامهم على كلام النبى ﷺ ، كلهم قد صرح بأن مذهبه هو اتباع السنة ، وكلهم قال : « ما صح من الحديث فهو مذهبى » ، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : « يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول لكم : قال رسول الله ﷺ وتقولون : قال أبو بكر ، قال عمر؟! » .

وغاب عن هؤلاء أن الله - عز وجل - قد أوجب عليهم طاعة رسوله ﷺ فيما يأمر به وينهى عنه ، وجعل ذلك من طاعته سبحانه فقال : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ وهؤلاء المفرطون المجانبون للسنة أضروا بالإسلام وبدعوته إضراراً بالغاً ، وشوهوا تعاليمه ، وظلموا أنفسهم بتقديم العقل والرأى والهوى على السنة المطهرة .

وقد وقعوا فى خطأ خطير ، وشر مستطير حيث أعطوا لأنفسهم هذا الحق فى مخالفة السنة . وقد قال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، لما سُئِلَ عن الفتننة فى الآية قال : « أتدرى ما الفتننة ؟ الفتننة الشرك ، لعله إذا ردَّ بعض قول النبى ﷺ أن يقع فى قلبه شىء من الزيف فيهلك » .

وقال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى : « أجمع المسلمون على أنه لا يحل لمسلم استبانة له سنة من سنن النبى ﷺ أن يدعها لقول أحد من الناس » .
وقال الإمام مالك رحمه الله : « كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر » وأشار إلى قبر النبى ﷺ .

فهذا القسم الأول من أقسام الناس تجاه سنة النبى ﷺ ، قسم المفرطين المضيعين للسنة ، ويستوى فى ذلك تضييعها اتباعاً للشهوات أو اتباعاً للشبهات ، مع أن النوع الثانى أخطر ولا شك .

وكل من فرط فى السنة وجفاها ، فإنه على شفا خطر جسيم ، سواء كان تفريطه ناتجاً عن خلل فى التصور ، أو عن خلل فى السلوك .

وينبغى الحذرُ كل الحذر من هذا القسم من الناس . والبعد عنهم ، وهجرانهم إذا أصرروا على ما هم عليه ، ويجبُ كذلك مجادلتهم بالتي هى أحسن إذا أمكنه ذلك ، فإن رجعوا إلى الحق فيها ونعمت ، وإلا فهم أعداءُ السنة ، وينبغى معاداتهم لله وفى الله .

* * *

القسم الثانى أهل الغلو والإفراط

ونبتدئ كذلك بتعريف الغلو والإفراط .

أما الغلو فإنه لغةً : مجاوزة الحد .

قال ابن فارس : « الغين واللام والحرف المعتل (غلو) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ارتفاعٍ ومجاوزةٍ قدر . يقال : غلا السعر يغلو غلاءً . وذلك ارتفاعه . وغلا الرجل فى الأمر غلوًا ، إذا جاوز حدّه ، وغلا بسهمه غلوًا . إذا رمى به سهمًا أقصى غايته » (١) .

وقال الجوهري : « وغلا فى الأمر يغلو علوًا ، أى : جاوز فيه الحدَّ » (٢) .

وقال ابن منظور : « وغلا فى الدين والأمر يغلو غلوًا : جاوز حدّه ، وفى التنزيل : ﴿ لا تَغْلُوا فى دِينِكُمْ ﴾ (٣) .

ولقد ورد الغلو فى الشرع بنفس معنى مجاوزة الحد ، فقال تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فى دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا على الله إِلا الْحَقَّ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فى دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ (٥)

فنهاهم عن تجاوز الحد فى اتباع الحق وتعظيم عيسى - عليه السلام - حتى يرفعهوا إلى منزلة فوق التى أنزلها الله إياها .

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٨٧ ، ٣٨٨) .

(٢) الصحاح (٦/ ٢٤٤٨) .

(٣) لسان العرب (١٥/ ١٣٢) .

(٤) النساء : ١٧١ .

(٥) المائدة : ٧٧ .

وقد حذر النبي ﷺ من الغلو في الدين وتجاوز الحد فقال ﷺ : « يا أيها الناس إياكم والغلو فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين »^(١) ، والغلو في الدين هو التشدد ومجاورة الحد .

وقريبٌ من معنى الغلو معنى الإفراط ، فإنه أيضاً بمعنى التقدم ومجاورة الحد في الأمر .

قال ابن فارس : « الساء والراء والطاء أصلٌ صحيحٌ يدل على إزالة الشيء عن مكانه وتنتحيته عنه . . . إلى أن قال : ثم يقال : أفرط إذا تجاوز الحد في الأمر ، يقولون : إياك والفرط : أى لا تجاوز القدر وهذا هو القياس ، لأنه إذا جاوز القدر فقد أزال الشيء عن وجهته »^(٢) .

وقال الجوهري : « وأفرط في الأمر : أى جاوز فيه الحد »^(٣) .

وقال ابن منظور : « والإفراط : الإعجالُ والتقدم ، وأفرط في الأمر ، أسرف . والإفراط : الزيادة على ما أمرت »^(٤) .

من هنا يتضح لنا الموافقة بين لفظي الغلو والإفراط ، فكلاهما هو مجاوزة الحد ، والزيادة على الأمر بما يصرف الشيء عن وجهته ، وهذا نفس المعنى الشرعى لهما .

وكما قلنا فإن أهل الغلو والإفراط هم الطرف الذى يقابل أهل التفريط والجفاء ، فأولئك هم المقصرون فى اتباع الأمر المنحرفون عنه ، وهؤلاء المذكورون هم الزائدون على ما أمروا به من شرع الله تعالى .

وكما سبق الحديثُ والآيتان فى التحذير من الغلو والنهى عنه ، وكذلك فإن النبي

(١) صحيح ابن ماجه (١٧٧ / ٢) .

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤٩٠ / ٤) .

(٣) الصحاح (١١٤٨ / ٣) .

(٤) لسان العرب (٣٦٩ / ٧) .

عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : « هَلَكَ الْمُنْتَطَعُونَ » ثلاثاً (١) . قال العلماء : هم المتشددون فى غير موضع التشدد .

فكما أن أهل التفریط والجفاء على شفا الهلكة ، فكذلك أهلُ الغلو والإفراط على شفا الهلكة أيضاً .

فالأولون لم يفعلوا ما أمروا به ، والآخرون زادوا عما أمروا به ، وكلا الفريقين بجانب لسنة المصطفى ﷺ ، وكثيرٌ من الطوائف أهل الضلال قد ضلوا من جهة الغلو ، فالسبئية الذين غلّوا فى على بن أبى طالب - رضى الله عنه - وزعموا فيه الألوهية ، كانوا من أهل الغلو ولاشك ، وكذلك الوعيدية الخوارج فإنهم أهل غلو ولا شك ، هذا مع العلم أن الخوارج هم أول فرق الضلالة ظهوراً فى الإسلام .

والنبي ﷺ قد حرص على إبعاد أى مظهر للغلو والقضاء عليه ، فإنه لما أتى إلى بيته ثلاثة نفر من أصحابه وسألوا عن عبادته ، فكأنهم تقالّوها - أى رأوها قليلة- فقال الأول : أما أنا فأصومُ الدهر لا أفطر ، وقال الثانى : وأما أنا فأقومُ الدهر لا أفتر ، وقال الثالث : وأما أنا فلا أكل اللحم ولا أتزوج النساء . فلما أخبر النبي ﷺ بخبرهم دعاهم فقال : « أما أنا فأصومُ وأفطرُ ، وأقومُ وأناُمُ ، وأكلُ اللحمِ وأتزوجُ النساءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » (٢) .

فهذا تحذير شديد منه ﷺ لأهل الغلو بأنه ﷺ برىءٌ من طريقتهم ومنهجهم ، ويستوى فى ذلك الغلو فى الاعتقادات والغلو فى الأعمال ، مع خطورة الأول ، وهذا الغلو يؤدى إلى تبديل شرع الله تعالى ، واتباع الهوى ، واتخاذهُ مشروعاً من دون الله تعالى .

لهذا فالواجب على كل أحد أن يحذر من الإفراط والتفریط ، والغلو والجفاء ، فكل ذلك من أسباب دخول النار ، والواجب على المسلم أن يتجنب كل ما يؤدى به إلى النار ، أو يفسد عمله وأخرته .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(١) رواه مسلم

القسم الثالث

أهل السنة والطريقة الوسط

وبين هذين الفريقين وذئبك الطرفين يأتي الفريق الثالث من الناس ، وهم أهل السنة والجماعة ، الوسط بين هذه الطرق ، وهذا يجزئنا إلى الكلام عن هذا الصنف ، وعن معنى الوسط ، فأقول ومن الله تعالى العون والتوفيق .

وأبتدىء بالكلام عن معنى الوسط فأقول :

الوسطية في اللغة من (وَسَطَ) ومادة وسط تدل على معانٍ متقاربة .

قال ابن فارس : « الواو والسين والطاء بناءً صحيح يدل على العدل والنصف ، وأعدلُ الشيء أو سطره ووسطه » (١) .

وأما الوَسَطُ بسكون السين فإنه ظرف بمعنى بين ، يقال : جلست وسط القوم ، أي : بينهم .

وتأتى كذلك لمعان متقاربة ، فهي بمعنى الأفضل والخيار والأجود ، وهي اسم لما بين طرفي الشيء وهو منه ، وتأتى بمعنى العدل ، والشيء بين الجيد والردىء ، وكل هذه المعانى متقاربة ، ويستفاد منها أن الوسطية ، هي العدالة والخيرة والتوسط بين الإفراط والتفريط .

وهذه المعانى هي التي يدور حولها وبينها معنى الوسطية في لسان الشرع .

قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٢) . ومعنى الوسط هنا ، أي العدل ، كما ورد في البخارى . وقيل : الخيار والأجود .

وفسرها ابن جرير بأنها الوسط بن الإفراط والتفريط

(٢) البقرة : ١٤٣ .

(١) مقاييس اللغة (٦/١٠٨) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ (١) ، ومعناه هنا عدلهم وأخيرهم .

وقال النبي ﷺ في شأن الفردوس من الجنة . قال : « فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ .. » (٢) .

قال ابن حجر في شرح الحديث : المراد بالأوسط هنا الأعدل والأفضل .

وقال أبو بكر - رضى الله عنه - يوم السقيفة في تفضيل قريش : « هم أوسط

العرب نسباً وداراً » (٣) ، أى خيرهم ، فمن كل هذا يتضح أن خير الطرق وأعدلها هى طريقة أهل السنة والجماعة ، فهم خير الفرق وأعدلها ، وهم شامة فى أهل الإسلام ، كأهل الإسلام فى الأديان وأكثر .

بل قال بعض السلف : « أهل السنة فى أهل الإسلام أعزُّ من أهل الإسلام فى سائر الأديان » .

فأهل السنة قد هداهم الله - تعالى - إلى المنهج الوسط لما اختلف الناس فيه ، كما قال تعالى : ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤) .

والسنة تطلق ويراد بها معان كثيرة ، فقد يراد بها مجرد الطريق والمنهاج ، وقد يقصد بها طريقة النبي ﷺ ، وقد يراد بها المندوب دون الواجب كما هو إطلاق الفقهاء ، وغير ذلك . لكننا نعنى تلك الطائفة التى تمسكت بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وتابعوهم بإحسان فوقفهم الله - تعالى - إلى إصابة الحق والسداد ، فصاروا خير فرق أهل الإسلام وأعدلهم وأشرفهم ، بل هم الفرقة الناجية التى ثبتت فى شأنها الأحاديث عن رسول الله ﷺ ، ومن عداهم فإنما هم فرق الضلالة ، والدعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ، كما ثبت وصفهم بذلك فى حديث حذيفة رضى الله عنه عند البخارى وغيره ، وأهل السنة شهداء على فرق الإسلام كما أن أهل الإسلام شهداء على غيرهم من الفرق .

(١) القلم : ٢٨ .

(٢) رواه البخارى (٢٧٩٠) .

(٤) البقرة : ١١٣ .

(٣) رواه البخارى (٦٨٣٠) .

وأهل السنة وسط بين أهل الإسلام في كل شيء كما سنرى :

١ - فهم في باب أسماء الله وصفاته وسط بين الجهمية النفاة ، والمشبهة الغلاة ، لم ينفوا عن الله ما سمي أو وصف به نفسه ، أو أثبت له رسوله ﷺ ، ولم يشبهوا الله تعالى بخلقه ، بل جمعوا بين الإثبات والتتزيه فهم وسط في هذا الباب ، بل هم خير الفرق وأعدلها وأتبعها للحق .

٢ - وهم وسط في باب الإيمان بين المرجئة الذين يؤخرون العمل عن الإيمان ، ويرون أن المعاصي لا تضر مع الإيمان ، وبين الوعيدية من الخوارج ونحوهم الذين يكفرون المسلم بالمعاصي ، ويحكمون له بالخلود في النار ، وللأسف فما زالت لهم بقية في زماننا ، وما زال هناك من يحسى سنتهم ، ويسير على منوالهم في بلاد المسلمين في زماننا ، فهذه البدع لم تندثر كما يظن البعض ، وإنما هي موجودة ولها أذيات ودعاة في كل زمان ومكان .

٣ - وهم وسط في باب الصحابة بين الروافض الذين عكفوا في حب علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - وآل البيت ، وكفروا عامة الصحابة إلا قليلاً ، وبين النواصب الذين يتبرءون من آل البيت ، ويسبونهم .

٤ - وهم وسط في باب القدر بين الجبرية الذين نفوا إرادة العبد بالكلية ، وجعلوه مكرهاً على المعصية ، فنسبوا الله - تعالى - إلى الظلم ، وبين القدرية الذين جعلوا للعبد إرادة مستقلة عن إرادة الله وجعلوه خالق فعل نفسه ، لكن أهل السنة هدوا للحق وكانوا وسطاً فأثبتوا للعبد إرادة واختياراً غير أنها داخلَةٌ في إرادة الله تعالى .

٥ - وهم وسط كذلك في باب الأولياء بين أهل الغلو من المتصوفة ونحوهم الذين عكفوا في الأولياء ورفعوهم إلى منزلة الألوهية ، بل والربوبية ، وبين من يتقصونهم ويحقرونهم ويستطيون عليهم .

أعود وأقول : إن سنة النبي ﷺ كانت وسطاً في كل شيء ، في الاعتقادات والأفعال ، فالنبي ﷺ كان بشراً ، عبداً رسولاً ، يأكل كما يأكل العبد ، ويشرب

كما يشرب العبد وينام كما ينام العبد ، يتبلغ من الطعام باليسير ، ويعيش الشهرين لا يتزود إلا بالتمر والماء .

وكان يتزوج ويتسرى وينجب ويمزح أصحابه ويجالسهم ، ومع هذا كان بالليل يقوم حتى تتفطر قدماه من طول القيام ، يبكي حتى تخضل لحيته وتقطر دموعه على الأرض ، وكان عند الجهاد فى أول الصفوف ، يحتمى به أصحابه من الأعداء ، ويتسرون به ﷺ ، وكان يذكر الله على كل أحيانه .

وكان يأمر أصحابه بالتيسير على الناس ، والتبشير ، ويغضب أشد الغضب إذا رأى منهم التعسير على الناس وفتنتهم فى دينهم ، ومع كل هذا فقد كان لا يتهاون فى حدود الله تعالى ، بل يغضب أشد الغضب إذا انتهكت حرمان الله تعالى ، فيتقم لله عز وجل ، ويحذرُ الناس من التهاون فى أمور الدين والتساهل فيها .

فقد كان ﷺ وسطاً فى كل شىء ، تجلت فيه عظمة الرسول الإنسان ، الذى عرف باع الناس ، وطاقتهم ، وأتامهم بشرية سمحة ، ليس فيها تشديد ولا غلو ، ولا يكلفون فيها فوق طاقتهم ، كما قال تعالى .

وهكذا كان أصحابه ﷺ اقتفوا أثره ﷺ ، واقتدوا بستته ، ثم التابعون من بعدهم ، وهكذا تابعوهم بإحسان إلى يوم القيامة ، عصمهم الله - تعالى - من الوقوع فى الغواية ، وسلوك طرق الضلالة ، فكانوا حقاً الفرقة الناجية ، والجماعة الوسط التى قامت بالسنة ودعت إليها .

فالواجب على كل مسلم قرأ هذه المقالة ، أن يوطن نفسه على لزوم السنة دائماً ، والبعد عن البدع وأهلها واجتنابهم والتحذير منهم ، وأن يحذرَ الوقوع فى البدع والضلالات سواء كانت من جهة الإفراط والغلو ، والتشدد فى الدين ، أم كانت من جهة التفريط والجفاء والتهاون بأمور الدين ، فكل هذا من طرق الضلالة ، ومهما كثر الدعاء إلى البدع ، وتسلبوا بالشبهات والحجج فإن الحق واضح ، وحجتهم داحضة عند ربهم .

فلاستمسك عبادَ الله بالسنة ، ويهدى السلف الصالح فى الاعتقادات والعمل

والسلوك والأخلاق ، فقد كان خير القرون وأفضل الأجيال ، وكانوا على الطريقة الوسط ، وعلى الصراط المستقيم ، والحذر الحذر من كل ناعق وداع إلى خلاف السنة ، من أهل الغلو أو أهل الجفاء .

وتذكروا دائماً قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١) .

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى : « عليك بأثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال ، وإن زخرفوه لك بالقول » .

وقال أيضاً : « عليك بطرق الهدى ولا يضرنك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ولا يغرّنك كثرة الهالكين » .

وفى الختام أسأل الله - تعالى - أن يجعلني وإياكم من الأمة الوسط ، أهل السنة والجماعة ، وأن يلهمني وإياكم رشدنا ، ويجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

المبحث الرابع

وجوب اتباع عقيدة السلف ومذهبهم

فإن السلف الصالح هم أسبق الناس إلى الخير ، وأقلهم تكلفاً ، وأعمقهم فهماً ، وأعلمهم بالكتاب والسنة ، هم الذين ساسوا الدنيا بالدين ، رضى الله عنهم ، وأمرنا باتباعهم ، ومن المعلوم أن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها ، وهم سلفنا الصالح ، لذلك كان هذا الموضوع ، فأقول مستعينا بالله :

أولاً : من هم السلف ؟

السلف : هم الصحابة والتابعون ومن بعدهم من أهل القرون الثلاثة المفضلة والذين اتبعوا طريقهم ، كالأئمة الأربعة : أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وغيرهم من أئمة الدين والهدى .

ثانياً : السلف كانوا على عقيدة واحدة :

لم يكن بين السلف - والله الحمد - نزاع فى مسائل أصول الدين ، بل هم متفقون فى منهج التلقى ، والإيمان بكل ما ورد فى الكتاب والسنة الصحيحة من مسائل العقيدة ، فهم متبعون لأصحاب النبى ﷺ حيث لم يسأل أحد منهم عن كيفية أسماء الله وصفاته ، وهم الذين سألوا عن اليتامى والأيتام والأهله والخمر والميسر والخيصر ، وغيرها من الأمور التى لا تدنو مرتبة العلم بها من مرتبة العلم بأصول الدين وهو معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ، ولو أنهم جهلوا معانيها أو مستهم ربية فى شأنها لسألوا رسول الله ﷺ ، ولا يسوغ أن نتصور أنهم سألوا عن الفروع كما سبق ولم يسألوا عن الأصول التى لا يفقهون معناها ، ولكنهم فى الحقيقة قد فهموا هذه المعانى على وجهها الصحيح لكنهم فهموا كذلك التنزيه ، تنزيه الله تعالى عن الشبيه والمثيل ، ولم يروا تعارضاً بين إثبات معنى الاسم والصفة وبين تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه .

ثالثاً : لماذا عقيدة السلف ؟

لقد ذهبت الأهواء بالناس كل مذهب ، وتفرقوا في دينهم ، ودخل عليهم كثير من البدع والعقائد الفاسدة ، ولكن لا يعصم من هذا كله إلا التمسك بعقيدة الكتاب والسنة ، عقيدة السلف الصالح ، من الصحابة والتابعين ، أهل السنة والجماعة ، الفرقة الناجية ، والطائفة المنصورة ، وذلك لما يلي :

الأول : أن الله تعالى شهد لهم برضوانه هم ومن اتبعهم فقال : ﴿ وَالسَّابِقُونَ
الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ ﴾ (١) فدل بذلك على صحة عقيدتهم ومنهجهم .

الثاني : أن الله تعالى توعد بالعذاب من اتبع غير سبيل السلف الصالح فقال :
﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ
وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٢) فدل بذلك على أنهم كانوا على الحق .

الثالث : أن النبي ﷺ أمر بالأخذ بسنة أصحابه فقال : « فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّةِ
الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْتَدِينَ مِنْ بَعْدِي ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُخَدَّنَاتِ
الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » (٣) .

وقد كان الصحابة والتابعون أسبق الناس إلى كل خير ، وأشدهم اتباعاً للسنة
وأبعدهم عن التكلف والابتداع في الدين ، فلذا وجب على مرید الحق أن يسلك
سبيلهم ، وينهج منهجهم ، حتى يلحق بهم .

لذلك فإننا نقول : إن العقيدة السلفية هي الحق ، وكل ما خالفها ، فهو باطل ،
نعوذ بالله من الخذلان واتباع الهوى ، ونسأله التوفيق لما يحب ويرضى .

(١) التوبة : ١٠٠ .

(٢) النساء : ١١٥ .

(٣) رواه أبو نوارذ وغيره

رابعاً : القرآن والسنة بيان لكل شيء :

ولقد قال تعالى في حق رسوله ﷺ : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (١) فدلّت هذه الآية على أن الله تعالى بين للناس على لسان رسوله ﷺ كل ما يحتاجون إلى بيانه من مسائل أصول الدين وفروعه في الأحكام والشرائع والآداب وغيرها ، ولم يتركهم - سبحانه وتعالى - لأهوائهم وآرائهم أو لأقيستهم وتوهماتهم ، بل بين لهم كل ذلك بياناً لا يسع أحداً جهله وذلك تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (٢) .

خامساً : شبهات لبعض المخالفين لعقيدة السلف :

وقد زعم بعض الناس أن أدلة القرآن خطابية تشير العاطفة ، ولكن لا تقنع العقل ، وأنها لا تفيد يقيناً ، ولا تفيد حصول الطمأنينة ، فابتدعوا لذلك استدلالات أخرى تخالف طريقة القرآن ، فلذلك قدموا العقل على النقل ، لأن أدلة النقل - بزعمهم - ظنية ، وأما أدلة العقل فإنها - بزعمهم - قطعية ، وهذا يلزم منه الكفر الصريح بكثير من الآيات القرآنية ، والكفر بأن محمداً ﷺ بين الآيات وعلم الحكمة والكتاب ، وأن ما جاء به يزكى القلب والنفس والعقل ، وكل هذا أدى بهم إلى هجر القرآن ، ونبذ السنة وتمجيد البدعة ، ولاشك أن هذا من أشد البدع فتنه ، وفتكاً باليقين ، وزعم الذين ابتدعوا ذلك المنهج ، أن تعلم هذه الطريقة هو أول واجب على المكلف ، فقالوا بأن أول واجب على المكلف القصد إلى النظر أو الشك ، وزعموا أن من لم ينتهج هذه الطريقة فليس بمؤمن ، وهذا ما حدا ببعض غلاتهم إلى أن كفروا عوام المسلمين لعدم سلوكهم هذه الطريقة في الاستدلال .

===== وجوب اتباع عقيدة السلف ومذهبهم

واستطاعوا أن يسيطروا على عقول الكثير من الناس بسحر دعواهم ، التي يزعمون فيها أنهم على عقيدة أهل السنة والجماعة ، واستطاعت كتب متأخرى أهل الكلام أن تستحوذ على عقول كثير من المنتسبين إلى العلم ، حتى ساد القول : (إن العدول عن مذهب الأشعرى ولو فى قيد شبر كُفّر ، ومباينته ولو فى شىء نزر ضلال وخسر) .

فجثم على صدور وقلوب أجيال ، خلال قرون متطاولة ، وحرّم على طلبة العلم أن يستقوا عقائدهم من القرآن والسنة ، وبلغت الصفاقة والوقاحة بأولئك إلى أن قالوا : (طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم) ويكفينا مقولتهم هذه دليلاً على مبايئتهم لمنهج السلف وعدولهم عنه .

والحقيقة أننى أعجب من أولئك الذين يدعون الإسلام ، وهم يزعمون أن فن الكلام أسلم وأحكم وأعلى من كلام الله تعالى .

بل إنهم جعلوا من كلام الرازى والآمدى والغزالى والنفسى والإيجى والماتريدى وغيرهم من أساطين الكلام ، جعلوا من كلام هؤلاء حاكماً على كلام الله ، بل لا أدرى كيف ساغ لهم أن يجعلوا العقل وهو المخلوق القاصر ، جعلوه قيماً على الله تعالى وأسمائه وصفاته ؟ .

سادساً : نصيحة باتباع منهج السلف :

فى الحقيقة فأنا أوجه هنا سؤالاً لكل من سوّغوا الانحراف عن عقيدة السلف ومنهجهم وهو : هل من الله علينا بنعمة العقل لكى ننتخذه وسيلة إلى سبب الله تعالى وشتمه والتطاول على مقامه الجليل ، ثم أى فرق بين ما دعا إليه هؤلاء وبين ما عليه إبليس حينما دعاه الله إلى السجود لآدم فأبى واستكبر وكان من الكافرين ؟ .

نظرات وتأملات من واقع الحياة

لقد آن الأوان لأولئك كسى يرجعوا إلى الطريق القويم ، ويسلكوا الصراط المستقيم ، الذى سلكه سلفنا الصالح فى الدعوة إلى الله ، فهدوا بالقرآن العرب والعجم ، ووجدوا له آلاف الانتصار المؤمنين به ، المقاتلين فى سبيل إعلائه ، وذلك من بين أهل الملل المختلفة ، والثقافات المتباينة .

فإن السلف الصالح قد لجحوا فى الدعوة إلى القرآن ، ليس بين العرب فقط ، ولكن بين غيرهم كذلك من أهل اللغات والثقافات الأخرى ، بما أصبح مثلاً يحتذى ، ونموذجاً لا يدرك ، وأساساً لكل انتصار ، ولا يقولن أحد : إن طريقة السلف لا تصلح لهذا الزمان ، زمان الحضارة والتقدم ، ولا تهدى إلى الغاية ، إن من يقول بهذا القول يجب عليه أن يقر بالحقيقة التى حاول هو خنقها حتى لا تنفضح ، ولكنها تقهره ، وهذه الحقيقة مضمونها أنه لا يؤمن بالقرآن ، ولا بمن أنزل القرآن .

آن الأوان لكى تقاوم التيار الجارف من أمواج البدع والإلحاد ، تقاومه بجيش مدرع ومسلح بأسلحة القرآن ، من عقائده وبراهينه واستدلالاته ، فبهذا الجيش القوى نستطيع أن نفتك بكل بدعة وخرافة ، بل سوف تفتح قلوب الخلق جميعاً للإسلام ، على اختلاف أماكنهم ولغاتهم وثقافتهم .

إننا غداً موقوفون بين يدى الله - سبحانه وتعالى - وإنه - سبحانه وتعالى - سائلنا عما قضينا به لأنفسنا وللناس فى أمور العقائد والإيمان ، وهل اتبعنا طريقة الرسول وأهل الإيمان ، أم سلكنا طريقة إبليس وأهل الشك والنكران والظغيان من أهل هذه البدع .

إن الأمر جد خطير ، وإن وراةنا يوم عظيم الهول ، فالبدار البدار ، والرجوع

~~~~~ وجوب اتباع عقيدة السلف ومذهبهم

الرجوع إلى الله قبل فوات الأوان ، وقبل أن يقول القائل : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي  
أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾<sup>(١)</sup> فيقال له : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم  
بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> وحتى لا يذاد المبتدع عن حوض النبی - ﷺ -  
ويقال له : « سَحَقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي » .

وفق الله الجميع لما فيه رضاه وجعلنا دعاة إلى الخير هادين مهديين وصلى الله  
وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

---

(١) المؤمنون : ٤٩ .

(٢) المؤمنون : ١٠٠

## المبحث الخامس

### تبوئة السلف من عقائد الخلف

فقد ظهر عند المتأخرين كلام غريب مدموم ، انتقصوا فيه من مقادير السلف الصالح رضى الله عنهم واشتهرت عندهم مقالات يفضلون فيها مذهب الخلف على مذهب السلف ، ويرمون السلف بالتقصير والقصور ، أو ينسبون إليهم عقائد ، هم منها براء ، كعقيدة التفويض وغيره . لذا فقد رأيت أن أتناول بالكلام هذا الجانب ، فأقول وبالله التوفيق :

#### أولاً : من هم السلف ؟

السلف لغةً : كل من تقدم غيره ، فهو له سلف .

واصطلاحاً : هم أهل القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، الذين قال فيهم النبي ﷺ : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » (١) ، وهم خير القرون على الإطلاق بشهادة النبي ﷺ لهم بذلك .

#### ثانياً : من هم الخلف ؟

لغة : هم من خلفوا غيرهم ، فكل من خلف غيره فهو له خلف .

واصطلاحاً : هم من أتى بعد أهل القرون الثلاثة المفضلة .

#### ثالثاً : من هم السلفيون ؟

لقد شاع مصطلح ( السلفية والسلفيون ) في زماننا وانتشر ، حتى صار يرمز إلى فئة معينة من الناس ، وطائفة من الطوائف ، وهم المنتسبون في مسائل أصول الدين وفروعه إلى السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم .

(١) في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه .

فكل من عُرفَ باتباع الكتاب والسنة ، والأخذ بمذهب السلف الصالح رضى الله عنهم ، من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين ، ولم يعرف عنه تظاهر ببدعة فى الدين ، أو مخالفة لمنهج السلف فهو ملىً مستحق لهذا الاسم .

### رابعاً : من هم الخلف ؟

تقدم بيان معنى الخلف بفتح اللام ، وأما الخلف بسكونها فإنهم فئة من الخلف انحرفوا عن مذهب السلف وخالفوه ، فهم خلف لأنهم جاءوا من بعد السلف ولم يتبعوه وخالفوه فى المنهج والمعتقد وهم خلف لأنهم اقتصروا على الانحراف عن منهج السلف .

وكلمة الخلف بسكون اللام لم تأت فى القرآن إلا فى معرض الذم ، قال تعالى :

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ ﴾ (١)

وقال عز وجل : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى ﴾ (٢)

لذا فقد تبين أن الخلف بسكون اللام لا يقصد بها إلا الخلف باعتبار المعنى السىء .

### خامساً : فضل السلف :

كان السلف - رحمهم الله تعالى - سباقين إلى كل خير ، متفهمين فى دين الله ، حافظين لكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، عاملين بهما ، وقد مدحهم الله تعالى بقوله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (١)

(١) مريم : ٥٩ .

(٢) الاحزاب : ١٦٩ .

(٣) الفتح : ٢٩ .

وقد أمر ﷺ باتباع سنة الخلفاء من أصحابه فقال : « .... فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّةِ وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْتَدِينَ مِنْ بَعْدِي ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » (١) .

فتبين بهذا المدح لهم والامر باتباعهم أنهم كانوا على الحق المبين ، وأن طريقهم هو الصراط المستقيم ، وأن الانحراف عن منهجهم هو السبيل إلى دركات الجحيم ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٢) .

سادساً : دعاوى باطلة عند الخلف :

انتشر بين الخلف مقالات باطلة عن السلف ، منها قولهم : « طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم » وهذه كلمة باطلة أريد بها باطل ، ويلزم منها أمور خطيرة ، منها :

- ١ - أن النبي ﷺ قد قصر في بلاغ الرسالة لأنه لم يعلم أصحابه .
  - ٢ - القدح في الصحابة ورميهم بأنهم حملة أسفار ليس عندهم علم ولا استنباط .
  - ٣ - تفضيل الخلف على السلف بأنهم أعلم منهم .
- وغير ذلك من اللوازم الخطيرة لهذه المقالة السيئة .

أضف إلى ذلك أنها مقالة متناقضة في نفسها ، فكيف يكون منهج السلف أسلم وهم أقل علماً من الخلف - على حد زعم هؤلاء - بينما السلامة تستلزم العلم والحكمة ، وكيف يسلم الإنسان بغير العلم ؟ .

والذى دفعهم إلى هذه المقالة هو ظنهم أن السلف قد انتهجوا منهج التضييق في أسماء الله تعالى وصفاته ، بمعنى رد العلم إلى الله تعالى فيها ، وعدم اعتقاد شيء

(٢) النساء : ١١٥ .

(١) أخرجه النسائي وغيره بسند صحيح .

معين فيها ، ولا حتى الظاهر منها ، ونسبوا هذا الاعتقاد إلى السلف فجزموا بأنهم مفوضة ، حتى قال الرازى فى بيان مذهب التفويض :

« حاصل هذا المذهب : أن هذه المتشابهات - يعنى نصوص الصفات - يجب القطع فيها بأن مراد الله تعالى منها شىء غير ظواهرها ، ثم يجب تفويض معناها إلى الله تعالى ، ولا يجوز الخوض فى تفسيرها ... » (١) هـ .

ثم إنه نسب هذا المذهب إلى السلف ، وسيأتى بيان بطلان هذه النسبة .

قال الغزالى : اعلم أن الحق الصحيح الذى لا مرأى فيه عند أهل البصائر ، هو مذهب السلف ، أعنى الصحابة والتابعين - رضى الله عنهم أجمعين - ثم قال : حقيقة مذهب السلف - وهو الحق عندنا - أن كل من بلغه حديث من هذه الأخبار من عوام الخلف يجب عليه سبعة أمور ، التقديس ، ثم التصديق ، ثم الاعتراف بالعجز ، ثم السكوت ، ثم الكف ، ثم الإمساك ، ثم التسليم لأهل المعرفة ، إلى أن قال : « والاعتراف بالعجز : أن يقر أن معرفة مراده ليس على قدر طاقته ، وأن ذلك ليس من شأنه ، وحرفته ... » (٢) إلى آخر ما قال .

فأنت ترى أنه قرر أن المراد من نصوص الصفات غير معلوم ، وهذا هو التفويض ، افترى فنسبه إلى السلف ، وأنت على موعد ببيان بطلان هذه النسبة ، كما سيأتى قريباً .

ومن قرر هذا المذهب أيضاً ابن الجوزى ، كما فى صيد الخاطر له (٣) ، ونسبه إلى السلف أيضاً الشهرستانى (٤) .

(١) أساس التقديس (ص ٢٣٦) ، بتصرف يسير .

(٢) من كتابه : إجماع العوام بواسطة نقل السفارنى فى لواعى الأنوار (ص ٢٦٢ ج ١) .

(٣) انظر : صيد الخاطر (ص ٩٦ - ٩٧) .

(٤) علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين (ص ٧٥) .

وأهل التفويض هم أهل التجهيل ، وإنما سموهم ذلك لنسبتهم السلف إلى الجهل بمعاني نصوص الصفات ، بل نسبوا الرسول ﷺ إلى ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم فى هذا الباب على سبيل الاستقامة ، وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف ، أهل التخييل ، وأهل التأويل ، وأهل التجهيل . . . إلى أن قال :

وأما الصنف الثالث ، وهم أهل التجهيل ، فهم كثير من المتسبين إلى السنة وأتباع السلف يقولون : إن الرسول ﷺ لم يعرف معانى ما أنزل الله إليه من آيات الصفات ولا جبريل يعرف معانى الآيات ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك ، وكذلك قولهم فى أحاديث الصفات : إن معناها لا يعلمه إلا الله ، مع أن الرسول تكلم بها ابتداء . . .<sup>(١)</sup> إلى آخر ما قاله - رحمه الله - .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « والصنف الثالث أصحاب التجهيل ، الذين قالوا : نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ، ولا يدري ما أراد الله ورسوله منها ، لكن نقرؤها ألفاظاً لا معانى لها ، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله ، وهى عندنا بمنزلة ﴿ كهيعص ﴾ [مريم: ١١] . و ﴿ حم عسق ﴾ [الشورى: ١ ، ٢] ، و ﴿ المص ﴾ [الاعراف: ١] . فلو ورد علينا منها ما ورد ، لم نعتقد فيها تمثيلاً ، ولا تشبيهاً ، ولم نعرف معناها ، وننكر على من تأوله ، ونكل علمه إلى الله تعالى . وظن هؤلاء أن هذه طريقة السلف ، وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات ، ولا يفهمون معنى قوله : ﴿ لَمَّا خَلَّقتُ بِيَدِي ﴾ [ص: ٧٥] ، وقوله : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الزمر: ٦٧] ، وقوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥] ، وأمثال ذلك من نصوص الصفات »<sup>(٢)</sup> اهـ . وهو كلام نفيس فى شرح مذهب المقوضة ، واضح كل الوضوح .

(١) مجموع الفتاوى (٥/٣١ - ٣٤) .

(٢) مختصر الصواعق (١/٨١ ، ٨٢) .

وما نقل عن بعض السلف كمالك بن أنس - رحمه الله تعالى - وغيره من قولهم : « الاستواء معلوم والكيف مجهول » فإنه لا يفهم منه تفويض العلم معنى الاستواء ، فإن الاستواء معلوم فى لغة العرب وعند السلف ، وهو العلو والاستقرار والارتفاع ، وإنما التفويض فى العلم بالكيفية فقط ، إذ لا تدرك حقيقتها بالرأى والعقل ، وأما حقيقة المعنى فالعلم به ممكن بمقتضى اللغة العربية ، التى نزل بها القرآن ، والقول بعقيدة التفويض ونسبته إلى السلف كذب وافتراء ، وهو مصادم لبيان القرآن كما فى قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾<sup>(١)</sup> وقدح فى تبليغ الرسول ﷺ الدين ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَيَّ رَسُولُنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

من هنا يتبين أن نسبة التفويض إلى السلف باطلة لا أساس لها من الصحة ، وكذلك فإن السلف أبرياء من مذهب التأويل الذى سلكه المتأخرون وقصدوه من خلال كلمتهم ( وطريقة الخلف أعلم وأحكم ) وهى فى الحقيقة أجهل وأضل .

فإن التأويل عند السلف يقصد به أحد أمرين :

الأول : عاقبة الشئ وما يتول إليه .

الثانى : التفسير وبيان معنى الكلام ، ولهذا سمي الطبرى تفسيره المشهور : ( جامع البيان فى تأويل آى القرآن ) .

أما معنى التأويل عند المتأخرين ، وهو صرف اللفظ عن المعنى الحقيقى الراجح لمعنى مرجوح لقرينة ، فهذا اصطلاح بعض المتأخرين لم يكن معروفاً عند السلف ، بل نشأ بين المتأخرين من بعض أهل الفقه والأصول وتسرب منهم إلى القواميس اللغوية المتأخرة ، فنقله ابن منظور ( ت ٧١١ ) حكى هذا المعنى عن ابن الأثير والزيدي فى تاج العروس يحكى هذا عن ابن الكمال وابن الجوزى ، كما وجد هذا الكلام مستعملاً بكثرة فى كتب المتأخرين من علماء أهل الكلام ، كما استعمله الغزالي

(٢) المائة : ٩٢ .

(١) التخص : ٢ .

فى ( إجمام العوام ) وابن رشد فى ( فصل المقال فىما بىن الحكمة والشريعة من الاتصال) ولم يذكر ذلك أحد من القدماء من المفسرين وغيرهم .

وانظر لسان العرب (٣٤/١٣) وتاج العروس (٣١٥/٧) والنهاية فى غريب الحديث (٢٨٠/١) وإجمام العوام (ص ٧٣) وفصل المقال (ص ١٩-٢٠) وابن تيمية وقضية التأويل (ص ٤٥-٤٦) مما سبق يتبين براءة السلف من كل من التفويض والتأويل .

ومما ينبغى التنبه له أن أهل التأويل المذموم لم يقتصروا على تأويل الصفات فقط ، بل وامتد هذا التأويل إلى مسائل فى الأحكام ، وإلى أمور اليوم الآخر وغيرها ، فثبت بذلك أن أهل التأويل أهل ضلال وتضليل .

نسأل الله تعالى أن يحفظنا وجميع المسلمين على عقيدة السلف الصالح عقيدة ، العلم بالله وأسمائه وصفاته ، وتفويض علم الكيفية إليه عز وجل . والحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

## المبحث السادس

### الأدب مع رسول الله ﷺ

فإن من السوجب على كل مسلم أن يتأدب مع رسول الله ﷺ ، فإن هذا مما أوجبه الله تعالى على أهل الإسلام وافترضه عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١).

وكما قال تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۗ ﴾ (٢).

وهناك صور للأدب مع رسول الله ﷺ أوجزها فيما يلي لكي يعلمها المسلم ويلزمها ، فتكون برهاناً على صدق محبته وصحة اتباعه للنبي ﷺ ، فأقول وبالله التوفيق : إن صور الأدب معه ﷺ كثيرة جداً ، منها :

**أولاً : محبته - ﷺ - :**

وهذا من أعظم الأدب معه - عليه الصلاة والسلام - فمحبته واجبة على كل مسلم ، وقد قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه لما قال له : « يا رسول الله لأنت أحبُّ إلىَّ من كلِّ شيءٍ إلا من نفسي . فقال له : لا يا عمر ! حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك . فقال عمر : فوالله لأنت أحبُّ إلىَّ من نفسي . فقال له : الآن يا عمر » (٣) ولهذا

(٣) رواه البخاري وغيره

(٢) التور : ٦٣ .

(١) الحجرات : ١ - ٥

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

قال : « لا يُؤْمِنَنَّ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَاَلِدِهِ وَوَالِدِهِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ » (١).

فلا بد من تمكن محبته ﷺ في القلب ، وهذا من مقتضيات الإيمان بالله تعالى ونبيه ﷺ ، غير أنه لا يجوز الغلو في هذه المحبة بحيث تحمل على الوقوع في مخالفة أمره ﷺ كما سيأتى الكلام عن ذلك إن شاء الله .

**ثانياً : عدم الغلو فيه ﷺ :**

وذلك لأن بعض الناس يغلو في محبة النبي ﷺ ، فيحمله هذا الغلو على رفع النبي ﷺ إلى فوقة المستزلة التي أنزله الله إياها بل ورفعه إلى مصاف الألوهية ، بل والربوبية ، كما قال القائل :

يا أكرم الخلق ما لى من ألؤدبه      سواك عند نزول الحادث العمم

إلى أن قال :

فإن من جودك الدنيا وضرتها      ومن علومك علم اللوح والقلم

فإن هذا الغلو في محبته - ﷺ - والذي أوقع فى إشراكه - ﷺ - مع

الله تعالى فى علم الغيب ، وفى الملك والتصرف فى الكون وغير ذلك ، أقول :  
أين هذا من قوله : « لا تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » (٢) . فينبغى التفطن لهذا الأمر ، وهو الموازنة بين المحبة وبين عدم الغلو ، فإن الغلو فى الحقيقة يتعارض مع المحبة ، وهذا لمن تفتن لهذا الأمر والله المستعان .

(١) رواه البخاري وغيره .

(٢) أخرجه فى الصحيحين

### ثالثاً : محبة الصحابة وآل البيت :

فإن من الأدب مع النبي ﷺ محبة أصحابه وآل بيته ، فمن أحبهم فبحب رسول الله ﷺ أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضه أبغضهم ، وكذا الترضى عنهم والترحم عليهم وعدم سب أحد منهم أو الوقوع فيه ، فهذا من محبته ﷺ .

### رابعاً : الصلاة عليه ﷺ :

وهذا من أعظم الأدب معه - عليه الصلاة والسلام - أن يصلى المرء عليه كلما ذُكر أمامه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) والبخيل فعلاً من ذُكر عنده النبي ﷺ فلم يُصلِّ عليه ، وهو مستحق للخيرية والخسران ، كما فى الحديث أن جبريل - عليه السلام - قال للنبي ﷺ : « خَابَ وَخَسِرَ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ ، قُلْ آمِينَ ، فَقَالَ - عليه الصلاة والسلام - : آمين » .

### خامساً : اتباعه ﷺ :

والتأسى بستره وعدم الإعراض عنها ، فإن الإعراض عن طاعته عليه الصلاة والسلام سوء أدب معه ، واتباعه وطاعته فرض حتم على المسلم كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

وجعل تعالى اتباع نبيه ﷺ عنوان الهداية وسببها فقال عز وجل : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ويدخل فى اتباعه طاعته فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع .

(١) الأحزاب : ٥٦

(٢) آل عمران : ٣١

سادساً : تصديقه ﷺ فيما أخير :

وهذا من أعظم الأدب معه ، أن يصدق المرء بأنه رسول من عند الله حقاً ، وهذا من لوازم شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ وقد أمّنه الله تعالى على خبير السماء ، فوجب علينا تصديقه فيما يخبر به عن الله تعالى ، وهذا من شروط الإيمان ، وأما تكذيبه عمداً مع العلم ، فإنه كفر ناقل عن الملة ولا شك .

وهناك كلام مهم لابن القيم - رحمه الله تعالى - حول الأدب مع النبي - ﷺ - رأيت أن أنقله بكامله لما له من قيمة عالية ، ومعان جميلة ، قال - رحمه الله تعالى - في مدارج السالكين (٢/٣٨٧) :

« وأما الأدب مع الرسول ﷺ فالقرآن مملوء به .

فأرس الأدب معه : كمال التسليم له ، والانقياد له ولا أمره ، وتلقى خبره بالقبول والتصديق ، دون أن يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولاً ، أو يحمله شبهة أو شكاً ، أو يقدم عليه آراء الرجال ، وزبالات أذهانهم ، فيوحده بالتحكيم والتسليم ، والانقياد والإذعان ، كما وحد المرسل - سبحانه وتعالى - بالعبادة والخضوع ، والذل والإنابة والتوكل .

فهما توحيدان : لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما : توحيد المرسل ، وتوحيد متابعة الرسول ﷺ . فلا يحاكم إلى غيره ، ولا يرضى بحكم غيره ، ولا يوقف تنفذ أمره ، وتصديق خبره ، على عرضة قول شيخه وإمامه وذوى مذهبه وطائفته ومن يعظمه فإن أذنوا له نفضه وقبل خبره ، وإلا فإن طلب السلامة : أعرض عن أمره وخبره وفوضه إليهم وإلا حرفة عن مواضعه ، وسمى تحريفه تأويلاً وحماً ، فقال : نؤونه ونحمله .

فلأن يلقي العبد ربه بكل ذنب على الإطلاق - ما خلا الشرك بالله - خير له من أن يلقاه بهذه الحال .

ولقد خاطبت يوماً بعض أكابر هؤلاء فقلت له : سألتك بالله : لو قدر أن الرسول ﷺ حتى بين أظهرنا ، وقد واجهنا بكلامه وخطابه أكان فرضاً علينا أن نتبعه من غير أن نعرضه على رأى غيره وكلامه ومذهبه ، أم لا نتبعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس وعقولهم ؟ فقال : بل كان الغرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفات إلى سواه ، فقلت : فما الذى نسخ هذا الغرض عنا ؟ وبأى شىء نُسخ ؟ فوضع أصبعه فى فيه ، وبقي باهتاً ومتحيراً ما نطق بكلمة .

هذا أدب الخواص معه لا مخالفة أمره والشرك به ، ورفع الأصوات وإزعاج الأعضاء بالصلاة عليه والتسليم وعزل كلامه عن اليقين وأن يستفاد منه معرفة الله أو يتلقى منه أحكامه ، بل المعول فى باب معرفة الله على العقول المنهوكة المشحيرة المتناقضة ، وفى الأحكام على تقليد الرجال وآرائها ، والقرآن والسنة إنما نقرؤهما تبركاً ، لا أنا نتلقى منهما أصول الدين وفروعه ، ومن طلب ذلك ورامه عاديناه وسعينا فى قطع دابره ، واستئصال شافته ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾ حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون \* لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون \* قد كانت آياتي تنلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون \* مستكبرين به سامراً تهجرون \* أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين \* أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون \* أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون \* ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون \* أم تسألهم خرجاً فخرجاً ربك خيرٌ وهو خير الرازقين \* وإنك لتدعوهم إلى صراطٍ مستقيم \* وإن الدين لا يؤمنون بالأخرة عن الصراط لتناكبون <sup>(١)</sup> .

والناصح لنفسه العامل على نجاتها يتدبر هذه الآيات حق تدبرها ويتأملها حق

(١) المؤمنون : ٦٣-٦٤ .

تأملها ، وينزلها على الواقع فيرى العجب ، ولا يظنها اختصت بقوم كانوا فبانوا ، وإياك أعنى واسمعى يا جارة ، والله المستعان .

ومن الأدب مع الرسول ﷺ أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهى ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهى ويأذن ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾<sup>(١)</sup> وهذا باق إلى يوم القيامة ولا ينسخ ، والتقدم بين يدي سته بعد وفاته كالتقدم بين يديه فى حياته ، ولا فرق بينهما عند ذى عقل سليم . . . ومن الأدب معه : أن لا ترفع الأصوات فوق صوته ، فإنه سبب لحبوط الأعمال ، فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به ؟ أتسرى ذلك موجبا لقبول الأعمال ، ورفع الصوت فوق صوته موجب لحبطهما ؟

ومن الأدب معه : أن لا يجعل دعاءه كدعاء غيره قال تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾<sup>(٢)</sup> وفيه قولان للمفسرين .

الأول منهما : أنكم لا تدعونه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً بل قولوا : يا رسول الله ، يا نبي الله ، فعلى هذا المصدر مضاف إلى المفعول ، أى دعاءكم الرسول .  
الثانى أن المعنى : لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضاً ، إن شاء أجاب وإن شاء ترك ، بل إذا دعاكم لم يكن لكم بُد من إجابته ولم يسعكم التخلف عنها البتة ، فعلى هذا المصدر مضاف إلى الفاعل : أى دعاءه إياكم .

ومن الأدب معه : أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع ، من خطبة أو جهاد ، أو رباط - لم يذهب أحد منهم مذهبا فى حاجته حتى يستأذنه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾<sup>(٣)</sup> فإذا كان هذا مذهبا مقيدا بحاجة عارضة ، لم يوسع لهم فيه إلا بإذنه

(١) الحجرات : ١

(٢) النور : ٦٣

(٣) النور : ٦٣

فكيف بمذهب مطلق فى تفاصيل الدين : أصوله وفروعه ، دقيقه ، وجليله ؟ هل يشرع الذهاب إليه بدون استئذانه ؟ ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .  
 ومن الأدب معه : أن لا يستشكل قوله بل تستشكل الآراء لقوله ، ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الأقيسة وتبقى نصوصه ، ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولاً . نعم هو مجهول ، وعن الصواب معزول ، ولا يوقف قبول ما جاء به ﷺ على موافقة أحد ، فكل هذا من قلة الأدب معه ﷺ وهو عين الجرأة « اهـ .  
 وفى الختام فإننى أذكر كل المسلمين بوجوب التأدب معه ﷺ ومراعاة حرمة ، وحفظ حقوقه ، وأن يقدم التأدب معه على التآدب مع سواه . وفق الله الجميع لما فيه رضاه وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

\* \* \*

(١) الآيات : ٧ .

## المبحث السابع

### اتباع الرسول ﷺ علامة على صحبته

فإن كثيراً من المسلمين قد غلب عليهم الجهل بدينهم ، وبحقيقة الإيمان الذي هو أوجب ما أوجب الله عليهم ، وهو سبب نجاتهم في الدنيا والآخرة ، فجهلوا بمقتضيات هذا الإيمان والتي من أهمها وأخطرها شأنًا اتباع النبي - ﷺ - وتقديم قوله على قول كل أحد .

لذلك فقد رأيت أن أشير إلى هذا الموضوع باختصار ، فأقول وبالله التوفيق :

#### أولاً - طاعة الرسول - ﷺ - من طاعة الله تعالى :

لقد بين - سبحانه وتعالى - في كتابه الكريم وجوب طاعة نبيه - ﷺ - وأمر بهذا ، وجعل طاعته - ﷺ - من طاعته تعالى ، وتوعد من عصى أمره ﷺ بالخزى والعقوبة والعذاب ، فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾<sup>(٢)</sup> وقال - عز وجل - : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا السَّبَآغُ الْمَبِينُ ﴾<sup>(٣)</sup> وبين ﷺ أن طاعته سبب في دخول الجنة ، وأن معصيته سبب في دخول النار ، فقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى . قَالُوا : وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة آل عمران الآية (٣٢)

(٢) سورة النساء الآية (٨٠) .

(٣) سورة النور الآية (٥٤) .

(٤) رواه البخاري وغيره .

وبهذا يتضح أن طاعة الرسول ﷺ واجبة أعظم الوجوب ، وأنها من طاعة الله - تعالى - وأن معصيته محرمة ، بل هي سبيل الفتنة والشرك ، قال تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) .

**ثانياً : وجوب تقديم قوله - ﷺ - على قول غيره :**

من المعلوم بدهة من الدين أنه يجب تقديم قول الله ورسوله على كل قول ، وعدم معارضة قول الله ورسوله بقول أحد كائناً من كان لهذا قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢) .

فهذه الآيات توضح أن تقديم قول الله ورسوله على كل قول واجب على المسلم ، بل هو من أعظم الواجبات المتحتمة عليه ، كذلك تبين حرمة تقديم قول غير الله ورسوله على قول الله ورسوله ، فإن هذا في معنى رفع الصوت على النبي ﷺ ، وتبين الآيات وجوب الاستسلام لأمره ﷺ وحكمه .

أما الذين يقدمون قول فلان وفلان ورأى فلان وفلان على قوله ﷺ وحكمه ، فإنهم جديرون باسم الضلالة ومستحقون للخسران المين ، بل هم على شفا جرف هار يخشى عليهم أن ينهار بهم في نار جهنم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول لكم : قال رسول الله ﷺ وتقولون : قال أبو بكر وقال عمر» .

يقصد رحمه الله - أنه لا يجوز معارضة قوله ﷺ بقول غيره كائناً من كان ،

(١) سورة النور الآية (٦٣) .

(٢) سورة الحجرات الآيات (١ - ٣) .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

ولو كان أجل أصحاب النبي ﷺ ، وإلا فأصحاب النبي ﷺ لا يتصور منهم معارضة قوله ﷺ عمداً وعن قصد .

لذلك فإن من الواجب على المسلم ألا يقدم على قول رسول الله ﷺ قول أحد ، فإن قوله ﷺ إنما هو نقل عن الله تعالى ، فهو لا يأتي بشيء من عنده ، بل هو مبلغ عن الله - تعالى - كما قال - عز وجل - فى وصفه : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (١) .

### ثالثاً : محبته ﷺ تقتضى طاعته :

لقد بين الله - سبحانه وتعالى - أن محبة الله ومحبة رسوله ﷺ ، تقتضى ضرورة طاعة الله ورسوله ، واتباع أمر الله ورسوله ، وبيان أن هذا الاتباع وهذه الطاعة من لوازم المحبة ، فقال - سبحانه وتعالى - مخاطباً نبيه ﷺ أمراً بإياه أن يخاطب الناس بهذا الخطاب : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢) .

فبينت هذه الآية الكريمة أن اتباع النبي ﷺ هو عنوان محبته ، ودليلها وبرهانها ، قال الحسن رحمه الله : «زعم قوم أنهم يحبون الله - تعالى - فابتلاهم الله بهذه الآية» يعنى أنهم إذا كانوا صادقين فى دعوى المحبة لله ورسوله فإنهم سيأدرون إلى اتباع أمر الله ورسوله ، فيكون هذا الاتباع منهم دليلاً على المحبة ، وأما إذا عصوا الله ورسوله ، ولم يتبعوا أمره فسوف يتبين مدى كذبهم فى دعواهم هذه المحبة .

وقد قال الشاعر :

تعصى الإله وأنت تزعم حبه      هذا لعمري فى القياس بدع  
لو كان حبك صادقاً لأطعته      إن المحب لمن يحب مطيع

(١) سورة النجم الأيات ( ٣ ، ٤ )

(٢) سورة آل عمران الآية (٣١) .

فطاعة المحبوب ، والسعى فى طلب رضاه ، عنوان الصدق فى المحبة ، وصدق من قال :

وكل يدعى وصلاً ليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا  
وذلك لأنه لا يتصور بمن يحب الله ورسوله أن يستديم على معصية أمر الله  
ورسوله ﷺ .  
فهذه مسألة مهمة جداً يجب على كل من يحب الله ورسوله أن يتفطن إليها  
ويتنبه إليها .

#### رابعاً : مظاهر انحراف عند بعض مدعى محبة الرسول - ﷺ - :

لقد ذهب كل المنتسبين إلى الإسلام إلى ادعاء محبة النبي ﷺ ، والتمسح  
بهذه الدعوى ، لكن الكثيرين منهم لم يقدموا برهاناً على هذه الدعوى ، فاكتمى  
الكثيرون منهم بمجرد ادعاء هذه المحبة باللسان ، أو كتابة المقالات حول محبته ﷺ ،  
وعمل القصائد والمدائح فى مدحه ﷺ ، وذكر مناقبه وصفاته ومغازيه ، فمن ذلك  
ما مدح به البوصيرى النبي ﷺ فى برده المعروفة حيث قال :

يا أكرم الخلق ما لى من ألوذ به  
سواك عند نزول الحادث العمم  
وقوله :

فإن من جودك الدنيا وضررتها  
وكيف تستقيم دعوى محبته ﷺ مع هذا الغلو فى شأنه ﷺ ورفع فوق  
متزلته التى أنزله الله إياها .

ومن المظاهر الكاذبة لمحبه ﷺ ما يفعله كثير من المتصوفة وغيرهم من  
الاحتفال بمولد النبي ﷺ ، وبإقامة الحفلات لذلك ، لكنهم بالمقابل لا يعرفون شيئاً  
من سنته ﷺ ، ولا يقتدون به فى ما كان عليه ﷺ ، فهم لو كانوا صادقين فى

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

محبتة ﷺ لا تبعوه واهتدوا بسننه ، أما عمل القصاصد فى مدحه ﷺ ، أو الاحتفال بمولده ، ثم مخالفة أمره وهجر سننه ، والإعراض عن شريعته ، فإن هذا من التناقض الغريب ، ولذا فإن دعوى هؤلاء أنهم يحبونه ﷺ هى دعوى كاذبة ليس عليها دليل وبرهان ، بل إن واقع حالهم يكذبها ويشهد بضدها .

وفى الختام فإننى أوصى نفسى وجميع المسلمين ، ولا سيما العاملين فى مجال الدعوة الإسلامية وطلب العلم بأن يجتهدوا فى اتباع سنة النبى ﷺ والعمل على إحياؤها بين الناس والتأسى به ﷺ ، فهذا فعلاً هو التعبير العملى والبرهان على صدق محبته ﷺ ، وهو الدليل على محبة الله تعالى ، وعلى تمكنها من القلب ، والله الموفق ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

## المبحث الثامن

### نواقض العقيدة السلفية

فهذه قوادح للعقيدة تذهب بأصل العقيدة أو كمالها .  
فكما أن للصلاة والوضوء والصوم وغيرها من العبادات نواقض تبطلها ، فكذلك  
للعقيدة مبطلات تنقضها أو تنقص من كمالها ، وهي الآتى :

### الناقض الأول

#### الكفر

( أ ) تعريفه .

(ب) أنواعه .

(ج) أمثلة على الفاظ وأفعال ، هي من الكفر .

( أ ) تعريفه :

الكفر لغة : التغطية والستر .

الكفر شرعاً : ضد الإيمان - فإن الكفر عدم الإيمان .

(ب) أنواعه :

الكفر نوعان :

النوع الأول : كفر أكبر يخرج من الملة وهو موجب للخلود فى النار ، وهو خمسة  
أقسام :

القسم الأول : كفر التكذيب :

وهو الإخبار عن الحق بخلاف الواقع أو ادعاء أن الرسول ﷺ جاء بخلاف  
الحق ، ويدل عليه قوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ  
لَمَّا جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (١)

(١) العنكبوت : ٦٨ .

القسم الثاني : كفر إباء واستكبار مع التصديق :

ذلك بأن يقر بما جاء به الرسول لكنه يرفض اتباعه استكباراً ويطرد واحتماراً للحق وأهله ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١) .

القسم الثالث : كفر الشك :

وهو التردد في اتباع الحق أو التردد في الجزم بأنه حق ، فمن تردد في اتباع ما جاء به الرسول أو جور أن يكون الحق خلافه ، فقد كفر كفر شك وظن . والدليل قوله تعالى : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا . وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِّدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا . قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا . لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٢) .

القسم الرابع : كفر الإعراض :

وهو ترك الحق لا يتعلمه ولا يعمل به ، سواء كان أقوالاً أو أفعالاً أو اعتقاداً جملة وتفصيلاً . يقول تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ (٣) .  
فمن أعرض عما جاء به الرسول ﷺ من ربه بالقول ، كأن يقول : لا أتبع ولا حاجة لي في ذلك ، فهو كافر كفر إعراض .

القسم الخامس : كفر نفاق :

وهو إظهار متابعة ما جاء به الرسول ﷺ مع رفضه وجحده بالقلب ، قال سبحانه : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٤) .

(٢) الكهف : ٣٥-٣٨

(١) البقرة : ٣٤ .

(٤) المناقرون : ٣ .

(٣) الأحقاف : ٣ .

النوع الثاني : كفر أصغر لا يخرج من الملة ، وهي الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفراً ، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر ، مثل كفر النعمة المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ ﴾ (١) .

ومثل الحلف بغير الله ، قال ﷺ : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ » رواه الترمذى وحسنه وصححه الحاكم .

(ج) أمثلة على ألفاظ وأفعال ، هي من الكفر :

أولاً : أمثلة على ألفاظ الكفر :

- ١ - سب الله تعالى ، أو سب دين الإسلام ، أو سب الملائكة أو أحدهم .
- ٢ - سب النبي ﷺ أو سب أحد الرسل .
- ٣ - الاستهزاء والسخرية بالله وملائكته أو رسله أو الدين .
- ٤ - من قال : أنا لا أخاف الله ، أو : أنا لا أحب الله تعالى .
- ٥ - من قال : إن بعض الناس يمكنه التصرف في الكون كله أو بعضه .

ثانياً : أمثلة على أفعال الكفر :

- ١ - السجود لغير الله .
- ٢ - الذبح لغير الله من صنم أو ولي صالح تعظيماً له .
- ٣ - إلقاء المصحف وما فيه ذكر الله في أماكن القذارة عمداً وهو يعلم .
- ٤ - الحكم بغير ما أنزل الله تعالى معتقداً جواز ذلك .
- ٥ - عمل السحر وتعلمه وتعليمه معتقداً جوازه .

\* \* \*

## الناقض الثاني

### النفاق

(أ) تعريفه .

(ب) أنواعه .

(ج) أمثلة على النفاق الاعتقادي والعملي .

(د) أثر النفاق على الفرد والمجتمع .

(أ) تعريفه :

النفاق هو إظهار الإسلام والخير وإبطال الكفر والشر ، وعلى ذلك نبه الله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(١)</sup> .

أى الخارجون من الشرع ، وجعل الله المنافقين أشراً من الكافرين فقال : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾<sup>(٢)</sup> .

(ب) أنواع النفاق :

النفاق نوعان :

النوع الأول : النفاق الاعتقادي :

وهو النفاق الأكبر الذى يظهر صاحبه الإسلام ويطن الكفر ، وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية وصاحبه فى الدرك الأسفل من النار .

النوع الثانى : النفاق العملى :

وهو عمل شىء من أعمال المنافقين التى لا تصل إلى الكفر ، مع بقاء الإيمان فى القلب ، وهذا لا يخرج من الملة ، ولكنه وسيلة إلى ذلك ، وصاحبه يكون فيه إيمان مع بعض من خصال النفاق .

(١) التوبة : ٦٧ .

(٢) النساء : ١٤٥ .

### (ج) أمثلة على النفاق الاعتقادي والعملی :

أولاً : أمثلة على النفاق الاعتقادي :

١ - أن يقول قائل : أنا لا أصدق ما أخبر به الرسول عن كذا وكذا من أمور الدين .

٢ - أن يكره الإنسان شيئاً مما جاء به الرسول - عليه الصلاة والسلام - كالصيام أو الصلاة أو الحج أو زكاة المال .

٣ - أن يفرح الشخص بهزيمة المسلمين من المشركين في معركة معينة .

٤ - أن يحزن الشخص عند انتصار المسلمين على المشركين .

ثانياً : أمثلة على النفاق العملی :

١ - أن يعد الإنسان بشيء وفي نيته عدم الوفاء بهذا الوعد .

٢ - أن يحدث الإنسان ويكذب في حديثه .

٣ - أن يؤتمن الإنسان على شيء فيخون الأمانة، والدليل على ذلك قوله ﷺ : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ » (١) .

### (د) أثر النفاق على الفرد والمجتمع :

إن للنفاق بنوعيه آثار سيئة وخطيرة جداً على الفرد والمجتمع ، فمن هذه الآثار :

١ - خروج الإنسان من الإسلام إذا كان نفاقه اعتقادياً ، ودخوله النار مع ثبوت أشد العذاب في حقه ، كما قال تعالى : ﴿ إِن الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (٢) .

٢ - انتشار العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع .

٣ - ضعف المجتمع وتفسخه ، وعدم قدرته على مقاومة الأخطار المحيطة به .

\* \* \*

## الناقص الثالث

### الشرك

- (أ) تعريفه .
  - (ب) لماذا ندرس الشرك ؟ .
  - (ج) سبب وقوع الشرك .
  - (د) هل يقع الشرك فى هذه الأمة ؟ .
  - (هـ) أنواع الشرك .
  - (و) النوع الأول : الشرك الأكبر .
  - (ز) النوع الثانى : الشرك الأصغر .
  - (ح) الآثار السيئة للشرك على الفرد والمجتمع .
- ( أ ) تعريفه :

الشرك هو مساواة المخلوق بالخالق فى ربوبيته أو صفاته ، أو صرف العبادة إلى غيره .

### (ب) لماذا ندرس الشرك ؟

ندرس الشرك ونتعرف عليه لعدة أسباب هى كما يلى :

- ١ - أن الشرك هو أعظم ذنب يقع من الإنسان وسبب للخلود فى النار .
- ٢ - أن التوحيد هو حق الله تعالى الواجب له ، ولهذا كان الشرك ظلماً ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> .

### (ج) سبب وقوع الشرك :

سبب وقوع الشرك فى بنى آدم عموماً هو الغلو فى الصالحين ، كما قال تعالى :  
﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾<sup>(٢)</sup> .

(٢) نوح: ٢٣ .

(١) لقمان: ١٣ .

من هذا يتضح أن من أخطر الأمور على التوحيد الغلو في شأن الصالحين من الموتى .

#### ( د ) هل يقع الشرك في هذه الأمة ؟

من غير شك أنه قد وقع بالفعل في هذه الأمة أنواع من الشرك ، منها ما وقع منذ قرون وما زال موجوداً كالإشراك بالصالحين ، وصرف العبادة لهم والتذر والعكوف عند قبورهم من دون الله .

وقد ثبت عن النبي ﷺ الخبر بأن الشرك يقع في هذه الأمة ، حتى في أوضح صوره ، وهي عبادة الأصنام ، فقد ورد عنه ﷺ قوله : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قِبَائِلُ مَنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ ، وَحَتَّى تَعْبُدَ الْأَوْثَانَ ... » (١) .

#### ( هـ ) أنواع الشرك :

ينقسم الشرك إلى نوعين : أكبر ، وأصغر :

##### ١ - الشرك الأكبر :

وهو الذى لا يغفره الله تعالى أبداً كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾ (٢) .

##### ٢ - الشرك الأصغر :

وهو دون الشرك الأكبر ، كالرياء ونحوه ، وسيأتى الكلام عنه .

#### ( و ) النوع الأول من الشرك ، وهو الشرك الأكبر :

معناه : صرف شيء من العبادة لغير الله ، كالخوف من غير الله واعتقاد أنه مالك للنفع والضر ، ومحبة كمحبة الله تعالى ، والذبح له وتعظيمه كتعظيم الله ، أو دعاء غير الله مع الله ، أو طاعته كطاعة الله تعالى ، أو قصد غير الله بأصل العمل .

(١) أخرجه الترمذى وأبو داود وابن ماجه والحاكم

(٢) المائدة : ٧٢ .

(ز) النوع الثانى من أنواع الشرك :

شرك أصغر لا يخرج من الملة لكنه ينقض التوحيد وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وذلك مثل دخول الرياء على العبادة أو الحلف بغير الله من غير تعظيم له ، أو تعليق التمام ونحو ذلك .

(ح) الآثار السيئة للشرك على الفرد والمجتمع كثيرة ، منها :

- ١ - تعييد الناس بعضهم لبعض من دون الله .
  - ٢ - انتشار البدع والخرافات بين الناس .
  - ٣ - أن الإنسان المشرك يتسبب بشركه هذا فى إحباط جميع عمله ، واستحقاقه للخلود فى النار .
  - ٤ - أن المجتمع الذى يتشرف فيه الشرك يمتلئ بالفواحش والمعاصى ويشيع فيه الوهن والضعف النفسى والروحى نتيجة للتوكل على غير الله - تعالى - وطلب العون منه إلى غير ذلك من الآثار الكثيرة السيئة .
- الكلام على صور من الأعمال الشركية الموجودة فى بعض المجتمعات :

- ١ - الرقى .
- ٢ - التمام .
- ٣ - التبرك بالشجر والحجر ونحوهما .
- ٤ - ادعاء علم الغيب .
- ٥ - السحر .
- ٦ - الكهانة والعرافة .
- ٧ - التنجيم .
- ٨ - تعظيم الأضرحة والمزارات والتقرب إليها بالقرابين والندور .

## ١ - الرقى :

(أ) معنى الرقية :

الرقى : جمع رقية ، وهى العوذة التى يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات ، وتسمى العزائم .

(ب) أنواعها وحكم كل نوع :

النوع الأول : الرقى المشروعة :

وهى ما كانت خالية من الشرك بأن يقرأ على المريض شىء من القرآن أو يعود بأسماء الله وصفاته فهذا مباح ، لأن النبى ﷺ قد رقى وأمر بالرقى وأجازها .  
شروط الرقية الشرعية :

إن للرقية المشروعة شروطاً ذكرها أهل العلم ينبغى العلم بها والاهتمام والعمل على توفيرها عند الرقية . وهى أن تكون بالكتاب والسنة وباللغة العربية مع اعتقاد أن الله هو المؤثر .

كيفيتها :

أن يقرأ الآيات القرآنية أو الأدعية النبوية الواردة وينث على المريض كما جاء فى حديث عائشة رضي الله عنها : « أن النبى ﷺ كان يقول للمريض : « بِسْمِ اللَّهِ تَرْبَةً أَرْضِنَا بِرِيقَةٍ بَعْضُنَا يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا » (١) .

النوع الثانى : الرقى الممنوعة :

وهى ما اشتملت على الشرك ، والتى يستعان فيها بغير الله من دعاء غير الله ، كالرقى بأسماء الجن أو بأسماء الملائكة والأنبياء والصالحين ، فهذا دعاء لغير الله وهو شرك أكبر .

(١) متفق عليه .

## ٢ - التماثم :

(أ) معناها : هى جمع تيممة وهى : ما يعلق بأعناق الصبيان لدفع العين ، وقد يعلق على الكبار من الرجال والنساء .

(ب) أنواعها وحكم كل نوع :

### النوع الأول :

ما كان من القرآن ، بأن يكتب آيات من القرآن ، ويعلقها للاستشفاء بها ، فهذا النوع قد اختلف العلماء فى حكم تعليقه على قولين ، والصحيح المنع لعموم قوله عليه السلام : «إِنَّ الرُّقِيَّ وَالتَّمَاثِمَ وَالتَّوَلَّةَ شُرُكٌ»<sup>(١)</sup> والتولة : شئء يصنعونه يزعمون أنه يجيب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته .

### النوع الثانى :

وهو ما كان من غير القرآن مما يعلق على الأشخاص ، كاخترز والعظام والودع والخيوط والنعال والمسامير وأسماء الشياطين والجن والطلاسم ، فهذا محرم قطعاً وهو من الشرك ، وقد يكون من الشرك الأصغر ، وقد يكون من الشرك الأكبر ، وفى الحديث : «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكُلَّ إِلَيْهِ»<sup>(٢)</sup> .

### (ج) موقف المسلم من الرقى والتماثم الشركية :

بعد أن أوضحنا أن من الرقى والتماثم ما هو شرك ، يجب علينا أن نعرف موقف المسلم من هذه الأشياء ، لأنه من الواجب على المسلم المحافظة على عقيدته مما يفسدها أو يخل بها ، فلا يتعاطى ما لا يجوز من الأدوية ، ولا يذهب إلى المخرفين والمشعوذين ليتعالج عندهم من الأمراض . لأنهم يرضون قلبه وعقيدته ، ومن توكل على الله كفاء ، فيجب التحذير منهم .

(١) حديث صحيح ، رواه أبو داود وابن مساجه والحاكم ، والبيهقى فى شرح السنة ، وانظر كلام الالبانى فى الصحيحة ج ١ حديث ٣٣١ .

(٢) حديث حسن ، رواه أحمد والترمذى والحاكم .

### ٣ - التبرك بالشجر والحجر ونحوهما :

(أ) معنى التبرك :

هو طلب البركة ، وهى ثبوت الخير فى الشيء وزيادته ، ويكون عن يملك ذلك ويقدر عليه ، وهو الله سبحانه .

(ب) حكم التبرك :

التبرك بالأماكن والآثار والأحجار والأشخاص أحياء وأمواتا لا يجوز .

وذلك لأن الصحابة لما مروا بشجرة يتبرك بها الكفار ويعلقون عليها أسلحتهم يسمونها ذات أنواط قالوا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . قال : «الله أكبر ! إنها السنن» ، قلت - والذي نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهًا كما لهم إلهة» (١) .

### ٤ - ادعاء علم الغيب :

(أ) المراد بالغيب :

هو ما غاب عن الناس من الأمور المستقبلية والماضية وما لا يروونه ، وقد اختص الله بعلمه ، قال تعالى : «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ» (٢) .

(ب) حكم ادعاء علم الغيب :

من ادعى علم الغيب بأى وسيلة من الوسائل غير من استثناه الله من رسله فهو كاذب كافر .

(ج) صور ادعاء علم الغيب :

ادعاء الغيب قد يكون بواسطة صور متنوعة منها :

(١) رواه الترمذى وعبد الرزاق وغيرهما من حديث أبى واقد الليثى ، وهو حديث صحيح .

(٢) سورة النمل : ٦٥ .

- ١ - قراءة الكف أو الفنجان بعد الشرب منه .
  - ٢ - الكهانة ، وهى ادعاء علم الغيب وسيأتى الكلام عنها .
  - ٣ - السَّحْر .
  - ٤ - التنجيم .
- وادعاء علم الغيب له صور أخرى .
- ٥ - السحسر :

(١) تعريف السحر :

هو عزائم وعقود ينفث فيها ، ورقى وكلام يتكلم به وأدوية وتدخينات . وله حقيقة . ومنه ما يؤثر فى القلب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه ، وتأثيره بإذن الله الكونى القدرى .

ولهذا قرنه الشارع بالشرك، حيث يقول النبى ﷺ : «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ، قَالُوا : وما هن ؟ قال : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ... وَالسَّحْرُ»<sup>(١)</sup> .

(ب) حكم السحر :

السحر كفر وشرك يناقض العقيدة ويجب قتل متعاطيه ، كما قتل جماعة من أكابر الصحابة رضي الله عنهم السحرة .

وما يدل على أن السحر كفر قول الله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ﴾<sup>(٢)</sup> .

٦ - الكهانة والعرافة :

(أ) تعريف الكهانة والعرافة :

هما ادعاء علم الغيب ومعرفة الأمور الغائبة ، كالإخبار بما سيقع فى الأرض وما

(١) رواه البخارى ومسلم

(٢) البقرة: ١٠٢ .

سيحصل ، وعن مكان الشيء المفقود ، وذلك عن طريق استخدام الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ . نَزَّلُوا عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .  
(ب) حكم الكهانة والعرافة :

تعاطى الكهانة والعرافة وإتيان الكاهن والعراف حرام جداً وتصديقهم كفر ، وذلك لأن الله - سبحانه وتعالى - هو المفرد بعلم الغيب ، فمن ادعى مشاركته فى شيء من ذلك بكهانة أو غيرها أو صدقاً من يدعى ذلك فقد جعل لله شريكاً فيما هو من خصائصه ، فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم »<sup>(٢)</sup> .

#### ٧ - التنجيم :

(أ) تعريف التنجيم :

هو الاستدلال بأحوال النجوم على الحوادث الأرضية ، فيقولون : من تزوج فى نجم كذا وكذا حصل له كذا وكذا .

(ب) حكم المنجمين ومن يأتهم :

قد يذهب بعض الجهال وضعاف الإيمان إلى هؤلاء المنجمين فيسالونهم عن مستقبل حياتهم وما يجرى عليهم فيه وعن زواجهم وغير ذلك ، ومن ادعى علم الغيب أو صدقاً من يدعيه فهو مشرك كافر ، وذلك للحديث السابق فى التحذير من إتيان الكهنة والعرافين ، وكذلك الحديث القدسى : « أصبح من عبادى مؤمن بى وكافرٌ فأمّا من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافرٌ بالكواكب ، وأمّا من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافرٌ بى مؤمنٌ بالكواكب »<sup>(٣)</sup> .

(٢) حديث صحيح ، رواه أحمد والحاكم .

(١) الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٣ .

(٣) البخارى ومسلم .

## ٨ - تعظيم الأضرحة والمزارات والتقرب إليها بالقرابين والندور :

تمهيد :

إن زيارة القبور قد تكون مشروعة وقد تكون محرمة ممنوعة ، فمن زار القبور بغرض الدعاء والاستغفار للموتى المسلمين أو الاعتبار بذكر الموت فهذه زيارة محمودة مشروعة ، وقد أذن النبي ﷺ للمسلمين فيها ، بل وكان يفعلها كثيراً ﷺ .

وأما الزيارة الممنوعة فهي أن يشد المسلم الرحال لأجل زيارة القبور ، لورود النهى عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة .

وكذلك زيارة القبور بغرض التبرك بها والدعاء للنفس عندها والطواف بها وغير ذلك من ذرائع الشرك .

(أ) معنى الأضرحة والمزارات والقرابين والندور :

الأضرحة : هي القبور التي يعظمها الجهال .

المزارات : هي ما يزار من القبور والامكنة والآثار ونحو ذلك بقصد التعبد .

القرابين : جمع قربان ، وهو ما يتقرب به من الندور والذبائح والأطعمة .

الندور : جمع نذر ، وهو ما يلزم الإنسان به نفسه من أنواع القربان .

(ب) حكم تعظيم الأضرحة والمزارات والتقرب إليها :

إن هذا الفعل محرم غاية التحريم ، وهو إشراك بالله تعالى ، لأنه صرف للعبادة لغير الله ، فلا ينبغي التقرب بشيء من العبادة لغيره .

ولهذا فقد نهى ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور ، فقال ﷺ : «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»<sup>(١)</sup> ، يحذر مما صنعوا .

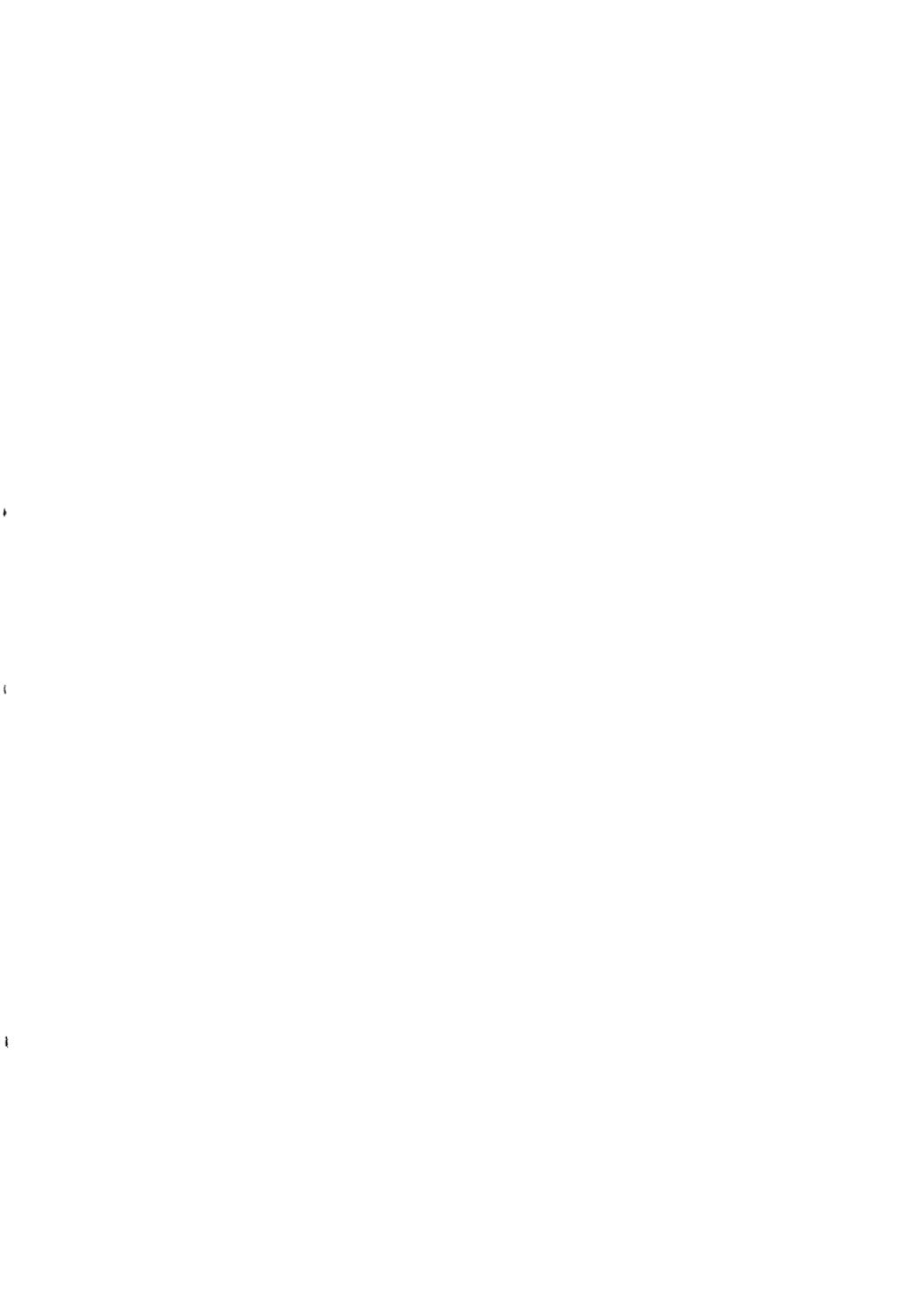
(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

وقد وقع كثير من المسلمين فى أكثر البلدان الإسلامية فى هذه المخالفة الخطيرة ، فعظموا الأضرحة وقبور الصالحين ، فوقعوا فى الشرك الأكبر حيث أشركوا مع الله آلهة أخرى ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

### (ج) بعض الآثار الخطيرة لهذه البدع :

- ١ - شيوع الخزعبلات والخرافات والأفكار الرديئة .
  - ٢ - انتشار الشرك بالله تعالى .
  - ٣ - أكل أموال الناس بالباطل ، وذلك من جهة السدنة والحجبة القائمين على خدمة الأضرحة ونحوهم .
  - ٤ - صد الناس عن سبيل الله تعالى .
- هذا من أهم ما يقدح فى التوحيد ويناقضه ، والله أسأل أن يجنبنا ما يقدح ويذهب بعقيدة التوحيد ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

\* \* \*



## الفصل الرابع تأملات ونظرات في أعمال أهل البدع

- المبحث الأول : البدعة تناقض عقيدة التوحيد .
- المبحث الثاني : أثر البدعة في الانحراف العقدي والانحطاط الاجتماعي .
- المبحث الثالث : بدعة الاحتفال بلبلة النصف من شعبان .
- المبحث الرابع : بدع تقع في شهر رمضان .
- المبحث الخامس : بدع في صلاة التراويح .
- المبحث السادس : بيان السنن والمبتدعات المتعلقة بعيد الفطر وشهر شوال .
- المبحث السابع : البدع في يوم الجمعة .
- المبحث الثامن : مفاهيم خاطئة حول الأولياء .
- المبحث التاسع : هل للأولياء تصرف في الكون ؟ .
- المبحث العاشر : دعاة التصوف .



## المبحث الأول

### البدع فس الدين تناقض عقيدة التوحيد

فإن النبي ﷺ قد بلغ أمته كل ما أوحاه الله تعالى إليه ، فأكمل الله لهم الدين ، وأتم عليهم النعمة ، ولم تعد بالناس حاجة إلى الابتداع في دين الله تعالى ، ولهذا فقد حذر النبي ﷺ من البدع في الدين بكل صورها ، فقال ﷺ مقررًا حكمًا عامًا مطلقًا : «فإنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» فثبت بهذا النص أنه ليست هناك بدعة غير ضلالة ، بل كل ما كان بدعة فهو ضلالة ، والمقصود هنا البدعة الدينية ، سواء كانت في العقائد ، أم في العبادات ، أم في غيرها .

وليس المقصود البدع في العادات وغيرها مما يشمل الاختراعات التي جدت في حياة الناس ، فإنها لا ينطبق عليها ذلك الحكم ، بل منها النافع ومنها الضار ، وإنما الكلام عن البدع الدينية .

وللاسف فإن كثيرًا من أهل الأهواء ، أو الجهال من العامة وغيرهم ، يزعمون أنه ليست كل بدعة ضلالة ، وأن هناك بدعًا حسنة ، ويستدلون بقول عمر رضي الله عنه لما رأى الصحابة اجتمعوا على إمام واحد في قيام رمضان ، فقال : «نعمت البدعة هذه» فقالوا: إن هذا صريح من عمر في أن هناك بدعًا حسنة ، وغاب عنهم أمور حول هذا الموضوع ، تكفي للرد عليهم ، وهأنذا أسوق تلك الأمور التي تكفي للدلالة على أن كل بدعة في الدين سيئة وضلالة ، وأنه ليست هناك بدعة حسنة ، وأنه لا يجوز الابتداع في الدين أبدًا فأقول :

١ - ورد النهي عن البدع عامًا لا يستثنى منه شيء ، والتحذير منها مطلقًا لا يخرج منه شيء فقال ﷺ : «فإنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» وقال مبطلاً جميع ما ابتدعه الناس في دينهم : «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» وقال : «مَنْ عَمِلَ

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» وليس من الأدب مع رسول الله ﷺ أن يقال بعد هذا الكلام : إن هناك بدعاً شرعية حسنة .

٢ - حذّر السلف من البدع تحذيراً عاماً كذلك ، فقال ابن مسعود رضي الله عنه : «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم» وقال ابن عباس رضي الله عنهما : «عليكم بالاستقامة والأثر ، وإياكم والبدع» وقال ابن عمر رضي الله عنهما : «كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة» وقال الإمام مالك بن أنس : «من ابتدع في الإسلام بدعة ، ويراها حسنة ، فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ؛ لأن الله يقول : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»<sup>(١)</sup> فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها» وقال الشافعي رحمه الله : «من استحسن فقد شرع» فاستحسان البدعة تشريع من النفس والهوى وليس من عند الله تعالى ، وقد قال عز وجل : «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ»<sup>(٢)</sup> .

فهذا قليل من كثير مما ورد عن السلف في التحذير من البدع ووجوب ردها ، ولم تظهر بدعة دينية في عهد السلف إلا قامت طائفة منهم تردّها وتدفعها ، وتوضح سنة النبي ﷺ للناس ، ولم نسمع أحداً منهم يجادل ويقول : هذه بدعة حسنة فلا يجب ردها .

٣ - البدعة لا تقوم إلا على حساب سنة تركت مكانها ، أي هجرها الناس واستبدلوا بها تلك البدعة ، ولنا أن تنخيل ماذا يحدث لو كثرت البدع وطغت على السنن ، ألا يصبح الدين والشرع ديناً وشرعاً غير ما جاء به الرسول ﷺ .

٤ - إن الابتداع في الدين معناه أن المبتدع قد وجد خللاً في الدين ، من نقصر يستدعى الزيادة ، أو زيادة تستوجب الحذف ، وهذا أمر خطير جداً ، فإنه استدراك

(٢) الثوري : ٢١ .

(١) المائة : ٣ .

على الله تعالى فى شرعه ، ومن اعتقد جواز ذلك فهو كافر بالله تعالى ، والدين كامل لا يحتاج إلى تعديل بحال من الأحوال ، كما قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup> وإلا فلو كان المبتدع لا يعتقد ذلك فكيف يسوغ لنفسه الابتداء فى الدين ؟ .

٥ - قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «نعمت البدعة هذه» لا يقصد بها البدعة الشرعية وإنما اللغوية ، ولم يستحسن عمر بدعة دينية ، ويدل على ذلك أن عمر رضي الله عنه كان من أبعد الناس عن البدع ، بل كان شديداً جداً على أى مبتدع ، شديداً فى إنكاره عليهم ، فلا يتصور مع ذلك أن يستحسن عمر بدعة فيها مخالفة لسنة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذلك فإن الاجتماع فى قيام رمضان على إمام واحد ، ليس بدعة ، بل قد ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم ، فإنه صلى الله عليه وسلم قد صلى بالناس جماعة فى قيام رمضان ، ثم لما كثر عددهم واجتمعوا خشى أن تفرض عليهم ، أو أن يظنوا وجوبها ، وذلك لأن زمانه كان زمان تشريع ، فلما توفى صلى الله عليه وسلم وزال الخوف من ذلك اللبس رجع الحال إلى الجواز الذى دل عليه فعل النبى صلى الله عليه وسلم أولاً ، وليس هناك نسخ .

فإن قيل : كيف سماها عمر بدعة ولها أصل فى الدين ؟ قيل : سماها بدعة باعتبار اللغة ، فإنها لغة : ما وقع على غير مثال سابق ، لكنها هكذا تشمل المحمود والمذموم ، وأما باعتبار الشرع فكلها مذمومة ، فقصد عمر المعنى اللغوى ، لأن المداومة عليها لم تقع من فعله صلى الله عليه وسلم ، لكن لم ينكر عمر على الصحابة ؛ لأن لهذا القيام الجماعى أصلاً فى الدين ، وهو فعله صلى الله عليه وسلم ، وهكذا يزول الإشكال حول موضوع هذه الحادثة ، وكلمة عمر المذكورة .

٦ - رد العلماء على من قسم البدع إلى واجبة ومستحبة وجائزة ومكروهة ومحرمة ، فقال الشاطبى رحمه الله : «هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعى ، بل هو فى نفسه متدافع ، لأنه من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

شرعى لا من نصوص الشرع ولا من قواعده ، إذ لو كان هناك ما يدل من الشرع على وجوب أو نذب أو إباحة لما كان ثم بدعة ، ولكان العمل داخلاً فى عموم الأعمال المأمور بها شرعاً أو المخير فيها» وقال الهيثمى : «البدعة الشرعية هى ما لم يقم دليل شرعى على أنه واجب أو مستحب ، فإن قام عليه دليل لا يسمى بدعة شرعية سواء أفعِلَ فى عهده ﷺ أم لا . . . إلى أن قال : وقول عمر رضي الله عنه فى صلاة التراويح : (نعمت البدعة هى) أراد البدعة اللغوية وهو ما فُعل على غير مثال كما قال تعالى ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾<sup>(١)</sup> وليست بدعة شرعية ، فإن البدعة الشرعية ضلالة كما قال رسول الله ﷺ ، ومن قسمها من العلماء إلى حسن وغير حسن فإنما قسم البدعة اللغوية ، ومن قال : بدعة ضلالة فمعناه ، البدعة الشرعية» اهـ .

والحاصل أن كل بدعة فى الدين ضلالة وسيئة ، وأنه لا خير إلا فى اتباع سنة النبى المعصوم ﷺ الذى ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(٢)</sup> وأنه يجب الحذر من البدع فى الدين والتحذير منها ، ولزوم السنة كما جاءت من غير تعديل ولا تبديل ولا استحسان ، وأسأل الله العصمة من الغى والزيف والضلالات والبدع ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

\* \* \*

(٢) النجم : ٣ - ٤ .

(١) الأحقاف : ٩ .

## المبحث الثاني أثر البدعة فى الانحراف العقدي والانحطاط الاجتماعى

فإن الابتداع فى الدين من أخطر الأمور ، وأشدّها ضرراً على الفرد والمجتمع فى كل النواحي ، ولا سيما فى الانحراف العقدي والانحطاط الاجتماعى ، وسأحاول بإذن الله - تعالى - تناول هذا الموضوع بإيجاز ، فأقول وبالله التوفيق :

### أولاً - تعريف البدعة :

البدعة لغة مأخوذة من البدع ، وهو الاختراع على غير مثال سابق ، ومنه قوله تعالى : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup> أى مخترعها على غير مثال سابق ، وقوله تعالى : ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾<sup>(٢)</sup> أى لست أول من جاء برسالة للبشر من عند الله تعالى ، بل سبقنى رسل كثيرون .

يقال : ابتدع فلان بدعة يعنى ابتداء طريقة لم يسبق إليها .  
وأما البدعة اصطلاحاً فهى : طريقة فى الدين مخترعة تضاهى المشروعة يقصد بها التقرب إلى الله تعالى :

ومن هنا يتضح أن البدعة هى كل ما ليس له أصل فى دين الله عز وجل

### ثانياً - أنواع البدعة وحكمها :

البدع نوعان - الأول : ابتداع فى العادات ، كالمخترعات الحديثة ونحوها ، فهذا أصله الإباحة ؛ لأن الأصل فى العادات الإباحة إلا بنص .

والثانى : ابتداع فى الدين ، سواء فى العقائد أو فى العبادات أو غيرها ، وهذا

(١) سورة البقرة ، الآية (١١٣) .

(٢) سورة الاحقاف ، الآية (٩) .

النوع أصله المنع وحكمه التحريم ؛ لأن العبادات مبناهما على التوقيف ، ولهذا فقد حكم عليه السلام بأن كل البدع ضلالات ، وبين أن الإحداث في الدين يترقب عليه بطلان العمل كلية فقال : «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(١)</sup> وفي رواية : «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(٢)</sup> .

### ثالثاً - أنواع الابتداع في الدين :

الأول: بدعة قولية اعتقادية ، وذلك من جنس بدع الجهمية والمعتزلة والمتكلمين وغيرهم .

الثاني : بدعة في العبادات ، وهذا النوع أقسام :

١ - ما يكون في أصل العبادة ، وذلك بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع من صلاة وصيام وغيره ، وكذلك الأعياد غير المشروعة كالموالد ونحوها .

٢ - ما يكون زائداً على العبادة المشروعة، كما لو زاد شيئاً في الصلوات المشروعة.

٣ - ما يكون في صفة العبادة ، وذلك بأدائها على وجه مخالف للشرع ، كأداء الأذكار بشكل جماعي ونحو ذلك .

٤ - ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصه الشرع ، كتخصيص النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام ، فأصل الصيام والقيام مشروع ولكن تخصيصه بهذا الوقت ليس عليه دليل من الشرع .

رابعاً - بعض مظاهر البدع الدينية وأثرها في الانحراف العقدي والانحطاط الاجتماعي :

إن البدع قد كثرت وتعددت صورها في حياة المسلمين ، بل وفي كل مجالات حياتهم تقريباً ، وتسربت إلى غالب الأمور الدينية بدع كثيرة كان لها أبلغ الأثر في

(١) البخارى ومسلم عن عائشة .

(٢) مسلم عن عائشة .

انحراف عقائد كثير من المسلمين ، كما كان لها أثر واضح فى الانحطاط الاجتماعى والسلوكى ، وهذه أمثلة توضح هذا الكلام ، فمنها :

### ١ - بدعة الجهمية وغيرهم من الفرق الضالة :

لقد ظهر فى أواخر عهد الصحابة أناس تكلموا فى مسائل من مسائل أصول الدين كالقدر وغيره ، وذلك بخلاف مقتضى نصوص الكتاب والسنة التى حددت ما يجب على المسلم اعتقاده فى مثل هذه المسائل ، لذلك ترتب على هذه البدع انحراف فى التصور العقدى ، كظهور القول بالقدر ، وبأن الإنسان خالق فعل نفسه ، والقول بالجبر ، وهو أن الإنسان ليس له إرادة ولا اختيار ، بل هو كالريشة فى مهب الريح ، وظهور بدع القدح فى الصحابة وانتقاصهم والطعن فيهم ، كذلك بدعة تمجيد العقل واعتباره حاكماً على نصوص الشرع ، ورد النصوص الشرعية التى تخالف العقل من وجهة نظر هؤلاء أصحاب العقول السقيمة المريضة ، وكذلك إنكار عذاب القبر ونعيمه ، وإنكار الشفاعة وغير ذلك ، وبدعة الخوارج الذين كفروا المسلمين بالذنوب وقتلهم واستحلوا دماءهم وأموالهم ، وكذلك ظهور بدع الروافض ، وادعاء وجود قرآن خفى غير القرآن الموجود بين أيدينا ، بل ووجد من يسبغ صفات الألوهية والربوبية على عليٍّ عليه السلام وغيره ، إلى غير ذلك من البدع الشنيعة التى ظهرت فى حياة المسلمين ، وقد كان لها أبلغ الأثر كما ذكرنا فى الانحراف العقدى حيث ابتعدت طوائف من المنتسبين للإسلام عن العقيدة الصحيحة السلفية إلى ما يضادها من هذه البدع المنكرة الضالة ، وكان هذا الانحراف العقدى سبباً مباشراً فى تردى أحوال المسلمين وتسلط الأعداء عليهم وتشرذمهم إلى جماعات متناحرة متنافسة ، وضعف شوكتهم ، وتسلط أعدائهم عليهم كما حدث فى أواخر عهد الأمويين وفى عصر العباسيين ومن بعدهم ، وكذلك فى العصر العثمانى مما أدى إلى سقوط الخلافة الإسلامية فى نهاية الأمر .

وقد كان من نتائج هذا الانحراف العقدى كذلك انحطاط اجتماعى واضح ، فقد

مرًا بالمسلمين عصور وراء عصور ، وهم فى اختلاف وتناحر ، وتفككت الروابط الاجتماعية ، وانتشر التحلل الأخلاقى نتيجة لهذه البدع التى كما ذكرنا ساهمت فى تشجيع ذلك الانحطاط والتحلل من تعاليم الدين ، فمثلا بدعة القول بالجبر فتحت الباب على مصراعيه لمن أرادوا التحلل من التكاليف الشرعية ومن الحلال والحرام ، كما ورد أن كثيرًا من القائلين بالجبر استحلوا الزنا والخمر وغير ذلك ، بحجة أن إرادة الله - تعالى - قد اقتضت ذلك وأنهم ليس لهم إرادة ولا اختيار ، وأنهم مجبورون على ما يفعلون ، وصاروا أشبه بالبهائم فى استحلالهم للحرمات ، وعكوفهم على الشهوات بحجة الجبر

### ٢ - بدعة القاديانية والبهائية والنصيرية :

وهذه من البدع المكفرة التى ظهرت بين المسلمين ووجدت لها أنصارًا فى أماكن عدة من العالم الإسلامى ، وقد ترتب على ظهور هذه البدع انحرافات عقديّة خطيرة، منها القول بالوهية ميرزا غلام أحمد القاديانى ، وعبد البهاء ، ومنها ادعاء كتاب مقدس غير القرآن واتخاذ قبلة غير الكعبة ، والحج إلى حيفا أو قاديان بدلًا من مكة المكرمة ، وتقديس رقم (١٩) وغير ذلك ، ومنها القول بأن النساء مشاع ، وبأن البنت والأخت لا تحرم ، وترتب على هذا انحطاط خطير، حيث استحل هؤلاء نكاح الأخت والبنت ، والزنا بالمحارم ، وشرب الخمر والحشيش ، واستحلال المحرمات بأنواعها المختلفة فكان فى هذا من الفساد ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

### ٣ - بدع الصوفية :

وهذه من أخطر البدع التى ظهرت فى المسلمين وشاعت وباضت وفرخت شرقًا وغربًا ، فانتشرت الصوفية فى عامة بلاد المسلمين ، وتعددت طرقها حتى رادت على السبعين طريقة مختلفة ، وكثير منها يضل الآخرين ، بل وقد يكفرهم ، وظهر فيهم القول بالوهية الحسين ، والسيدة زينب ، والبدوى ، والرفاعى ، والجيلانى ، والدسوقى ، والقناوى ، وغيرهم ، وانتشرت عادة تقديم القرابين لهم والنذور والذبح

لهم ، وإتيان أضرحتهم للطواف بها وطلبت قضاء الحوائج منهم ، من جلب نفع ودفع ضرر وشفاء المرضى ، وغير ذلك ، وظهر كذلك عند الصوفية القول بالحلول والاتحاد ، وذلك عند بعض فرقهم وطرقهم ، والقول بالتصرف فى الكون للسلادة المشايخ من رعماء الطريقة ، وظهرت بدعة القول برفع التكليف عن الشيخ ، حتى كان من جراء ذلك انحطاط اجتماعى خطير ، إذ وصل الأمر فى بعض البلاد ببعض أتباع هذه الطرق إلى أن يلبى رغبة شيخه فى كل شىء ، حتى ولو طلب الشيخ أن يزنى بزوجة المرید ، بل ووجد من يتبرك بذلك ، ويجبر امرأته على معاشرة الشيخ التماساً للبركة ، وانتشر فيهم شرب الدخان والحشيش ، بل والخمر ، والاختلاط فى حفلات الزار وغيرها وما يكون فيها من حركات عجيبة وأشياء لا تمت للدين بصلة ، وكذلك فقد كان للصوفية أكبر الأثر فى إخماد روح الجهاد عند الأمة والاستسلام للمستعمر الأجنبى ، ولا سيما فى زمن التتار والصليبيين ، فقد دعا الصوفية إلى الاستسلام للواقع وعدم الجهاد وذلك بحجج عجيبة ، مثل القول بأن هؤلاء الأعداء انتقام من الله تعالى من المسلمين ، وبأن السلطان الذى تولى لا يجوز مقاومته حتى ولو كان من التتار أو الصليبيين وغيرهم .

أضف إلى ذلك بدعة الموالد وما يكون فيها ، فقد كانت حركة التصوف والباطنية وراء اختراع وابتداع موالد والاحتفال بها ، بدءاً من الاحتفال بمولد النبى ﷺ ، وحتى الاحتفال بموالد مشايخ الصوفية ، وما أدراك ما يحدث فى هذه الموالد من شرب للخمر والحشيش ، ولعب للميسر واختلاط وتبرج ، ورنا وفجور ، وغير ذلك من مظاهر الانحطاط الخطيرة والحيوانية البهيمية ، فكل هذا من آثار هذه البدع الخطيرة كما ذكرنا ، وكذلك التصديق بالخرافات الخطيرة التى أسبغت على المشايخ ومحاوله تبرير انحرافاتهم الخلقية .

وهناك صور أخرى للبدع التى أثرت فى حياة المسلمين وكانت سبباً فى انحرافهم العقدى وانحطاطهم الاجتماعى ، وليس المقصود الاستيعاب ، إنما المقصود ضرب أمثلة لا الحصر .

وفى الختام فإننى أدعو جميع المسلمين إلى مقاومة ومكافحة البدع فى الدين مهما كان اسمها ونوعها ، وحجمها وتأثيرها ، فكلها ليس لها نتيجة إلا الهزيمة والضعف ، والتفكك والانحلال ، والتفكك والخراب والضياع فى نهاية المطاف ، فإنه لا صلاح لهذه الأمة إلا بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ والرجوع إلى النبع الصافى الذى فيه خير الدنيا والآخرة ، فهذا تستعيد الأمة مجدها وتنال رضى ربها ، وتقمع أعداءها ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

\* \* \*

## المبحث الثالث

### بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان

فإن المسلمين لما بعدوا عن دينهم ، وأعرضوا عن سنة نبيهم ﷺ ، ساءت حالهم وشاعت بينهم البدع والخرافات ، التي شملت كثيراً من أحوالهم ومظاهر حياتهم ، فعبدوا الله تعالى على جهل ، وابتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله تعالى ، من العبادات وغيرها مما لم يشرعه الله تعالى ، ومن ذلك الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، وما أحدثه الناس من البدع والخرافات المتعلقة بهذه الليلة ، مما هو شائع في كثير من بلاد المسلمين ، واعتمادهم على أحاديث لا تصح في ذلك الباب اعتمدوا عليها ، وشرعوا منها ديناً لم يأذن به الله تعالى ، ونحن ناقش هذه الأدلة مع بيان بعض البدع والأخطاء التي تتعلق بهذه الليلة مما أحدثه الناس في دين الله تعالى ، فأقول مستعيناً بالله تعالى :

### أولاً - حكم الاحتفال بهذه الليلة وما ورد فيها :

اعتمد المجوزون للاحتفال بهذه الليلة على أحاديث وردت في فضلها منها :

(أ) حديث : «إن الله - عزَّ وجلَّ - ينزلُ إلى سماءِ الدنيا ليلةَ النِّصفِ من شعبانَ فيغفرُ لأكثرَ من سبعِ غنمِ بني كلبٍ»<sup>(١)</sup>.

(ب) حديث : «إن الله - عزَّ وجلَّ - يطلعُ إلى عباده في ليلةِ النِّصفِ فيغفرُ للمؤمنينَ ويملي للكافرينَ ويدعُ أهلَ الحقدِ لحقدِهِم حتى يدعوه»<sup>(٢)</sup>.

(ج) حديث : «إذا كانت ليلةُ النِّصفِ من شعبانَ فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فإن الله ينزلُ فيها لغروبِ الشمسِ إلى سماءِ الدنيا فيقولُ ألا من مُستغفرٍ

(١) وهذا الحديث أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والدارقطني وغيرهم ، وضعفه الالباني كـ في ضعيف الجامع الصغير برقم (١٧٦١) .

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب وضعفه الالباني في ضعيف الجامع الصغير برقم (١٧٣٩) .

فَاغْفِرْ لَهُ؟ أَلَا مِنْ مُسْتَرْزِقٍ فَارْزُقْهُ؟ أَلَا مِنْ مُتْبَلًى فَأَعْفِ بِهِ؟ أَلَا كَذَا أَلَا كَذَا ،  
حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ» (١)

وهكذا يثبت أن الاحتفال بهذه الليلة وتعظيمها مبنى على أحاديث موضوعة أو ضعيفة ، وأنه لا أصل له في شرع النبي محمد ﷺ ، وإن استحسنه بعض الناس من التابعين أو من بعدهم فكلهم محجوجون بشرع النبي ﷺ ، ولا مستند لهم في دعواهم ، وقد أنكر ذلك كثير من أهل العلم من التابعين ومن بعدهم ، وقد قال ابن العربي رحمه الله : «ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يساوى سماعه» .

ومعلوم أنه لا يجوز الابتداع في الدين والتشريع بغير إذن الله تعالى ، فإن هذا من أخطر الأمور ، وهو مصادمة لشرع الله تعالى ، واعتداء على حقه - عز وجل - في التشريع .

### ثانياً - صور من البدع والأخطاء في تلك الليلة :

١ - احتفال الناس في المساجد بإحياء ليلة النصف من شعبان بالصلاة والدعاء عقب صلاة المغرب ، يقرءونه بأصوات مرتفعة بتلقين الإمام ، وإحداثهم أدعية مبتدعة مثل : اللهم يا ذا المن ولا يمن عليه . . . إلخ ، وهذا كله بدعة ضلالة ، لم تكن معروفة على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه ، إنما حدث الاجتهاد في العبادة تلك الليلة في أيام التابعين ، حيث أقره بعضهم وإن خالفهم الأكثرون .

٢ - إحداث صلاة مبتدعة مخصوصة يسمونها : (صلاة الخير) ، وقد أنكرها الأئمة ، قال النووي - رحمه الله تعالى - : «الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب وهي اثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب ، وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة ، هاتان الصلاتان بدعتان منكرتان ، ولا يغتر بذكرهما في قوت

(١) أخرجه البيهقي في الشعب وابن ماجه ، وهو في ضعيف الجامع برقم (٦٥٢) وحكم عليه بالوضع

القلوب وإحياء علوم الدين ، ولا بالحديث المذكور فيهما ، فإن كل ذلك باطل ولا يغتر ببعض من أشبه عليه حكمهما من الأئمة فصنف ورقات في استحبابهما فإنه غالب في ذلك ... إلخ ، وأنكرهما كذلك الطرطوشي والحافظ العراقي وابن تيمية وأبو شامة وغيرهم .

فثبت بذلك أن هذه الصلاة كذلك بدعة ضلالة ، ولا أصل لها في دين الله تعالى .

قال الطرطوشي عن أبي محمد المقدسى : قال : « لم يكن عندنا بيت المقدس صلاة الرغائب هذه التي تصلى في رجب ولا صلاة شعبان ، وأول ما حدثت عندنا (صلاة شعبان) في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، قدم علينا رجل في بيت المقدس من نابلس يعرف بابن أبي الحمراء ، وكان حسن التلاوة ، فقام فصلى في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان ، فأحرم خلفه رجل ثم انضاف إليهما ثالث ورابع فما ختمها إلا وهو في جماعة كبيرة ، ثم جاء في العام القابل فصلى معه خلق كثير ، وشاعت في المسجد وانتشرت في المسجد الأقصى وبيوت الناس ومنازلهم ثم استمرت كأنها سنة إلى يومنا هذا » اهـ .

٣ - إيقاد المشاعل والسرّج في المساجد في تلك الليلة ، وهي بدعة ضلالة كذلك أحدثها بعض المتسبين للإسلام من ذوى الأصول المجوسية في العصر العباسى ، ويرى بعض العلماء أنهم كان قصدهم تعويد المسلمين على الصلاة في معابد النار التي يعبدها المجوس .

وهكذا نرى أن كل هذه الأمور لا أساس لها في دين الإسلام ولا أصل لها في الشريعة ، والعجب كل العجب من الناس الذين زين لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل ، يجتهدون في البدعة ويضيعون السنة ، وهى خير لهم ، وفيها الكفاية والغناء فيأتون بأشياء لا تزيدهم إلا بعداً من الله - عز وجل - وما دروا أن الخير كله والفلاح كله في اتباع سنة النبى - ﷺ - الذى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

ورضى به للسناس الإسلام دينًا ، فنسأل الله العصمة لنا وجميع المسلمين من البدع وشرها ، ونعوذ بالله من تزيين الشيطان للبدع والضلالات وأن يستحوذ علينا الشيطان بذنوبنا ، إنه جواد كريم ، وأوصى نفسى وجميع المسلمين بلزوم السنة فهى خير سبيل إلى الله - عز وجل - ونيل رضاه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

\* \* \*

## المبحث الرابع

### بدع تقع فى شهر رمضان

إن شهر رمضان هو شهر القرآن ، وهو أعظم شهور العام وأفضلها على الإطلاق ، وهو الشهر الذى نزل فيه القرآن ، وفيه ليلة القدر ، وقد كان الواجب على الناس الاستفادة من كل لحظات هذا الشهر ، غير أن أكثر الناس بجهلهم يقعون فى كثير من المنكرات والبدع فى هذا الشهر ، مما قد يفسد صومهم أو يضعف من ثوابهم ، بل قد يحبطه ، فمن ذلك :

● ما يكون فى بعض البلدان الإسلامية من تعليق الزينات ، والمصاييح الملونة ، وحمل الصغار للمصاييح الملونة ، وطوافهم بها فى الشوارع وهم يغنون ، ويسمونها «فوانيس رمضان» .

● اردحام المساجد بالمصلين ، وخصوصاً فى أول الشهر ، ثم يدهون فى التناقص تدريجياً وقد يزيدون مرة أخرى فى آخر الشهر ، وهذا الاردحام وارتداد المساجد ، وإن كان شيئاً محموداً ، لكنه يكون فى رمضان فقط ، ثم ينقص هذا الجمع بعد رمضان ، ويعود الناس إلى سيرتهم الأولى .

● تضييع الأوقات الثمينة ، والتى كان ينبغى استثمارها فى طاعة الله - تعالى - واكتساب مرضاته ، فتجد الأوقات مضيعة فى مشاهدة التلفاز وسماع الإذاعات ، واللغو الذى لا طائل من ورائه والتهاون فى قراءة القرآن ، وفى أداء العبادات ، كل ذلك بحجة الضعف عن العبادة بسبب الصيام .

● ظهور المسابقات الرمضانية فى أجهزة الإعلام ، وكثير منها تكون المواد المقدمة فيها ليس فيها منفعة على الإطلاق .

● الإفراط فى شراء الأطعمة والأشربة ، ووضعها على المائدة ، وبعد ذلك يضيع حرم كبير منها ويكون مصيره سلة القمامة .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

- التهاون فى أداء صلاة القيام (التراويح) وتضييعها وما يترتب على ذلك من ضياع الأجر العظيم الذى رصده الله - تعالى - لمن قام رمضان إيماناً واحتساباً حيث يغفر الله - تعالى - له ما تقدم من ذنبه .
- ما يحدث من بعض الأئمة بالإسراع فى القرآن فى الصلاة ، وفى أداء الأركان بما لا يتناسب مع فضيلة الصلاة ، وذلك رغبة فى الانتهاء من الصلاة بسرعة ، ولعدم تفسير العامة والجهال ، فينقرون الصلاة نقرأ ، مما يعرض صلاتهم للبطلان ، بل ويعرض صلاة من خلفهم كذلك ، أو على الأقل ينقص من أجرهم ويحرمهم من الثواب الموعود على تلك الصلاة .
- قضاء جزء كبير من الوقت فى تراخ وكسل ، وترك للعمل ، وذلك بحجة أن الصيام قد أضعف الجسم وأن قلة الطعام تسببت فى ذلك ، وليس شهر رمضان أبداً وقتاً للكسل ، بل هو وقت الجهد والاجتهاد والتشمير .
- تخصيص ليلة معينة بأنها ليلة القدر ، على الرغم من أنها لم تعين فى الشرع ، ثم تخصيص تلك الليلة بصلاة معينة دون غيرها من الليالى ، وهذا من البدع المنكرة التى لا أصل لها .
- تسمية الجمعة الأخيرة من رمضان (الجمعة اليتيمة) وتخصيها بصلاة الفروض الخمسة جملة واحدة ، والبعض يزعم أنها تنوب عن الصلوات التى تركها الإنسان فى حياته ، وتكفر ذنوبه .
- ما يفعله العامة فى بعض البلدان الإسلامية من الأذكار المبتدعة التى يحدثونها فى صلاة التراويح ، فإنهم قد يقولون - جماعة - بعد الركعتين : الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله ، ويرضون عن الصحابة يظنون ذلك حسناً ، والترضى عن الصحابة وإن كان حسناً ، لكن الجهال يجعلونه شعاراً لصلاة القيام ، ويخصصونها به ، ومن هنا كان ذلك هو وجه الابتداع فى المسألة .

- تخصيص ليلة العيد بصلاة مائة ركعة يحدثونها معتمدين فى ذلك على حديث موضوع .
- شغل ليلة العيد بشراء الملابس ومشاهدة التلفاز وسماع الأغاني ، أو الذهاب إلى المقابر وكل هذا ليس من السنة فى شيء ، بل هو من المنكرات والبدع .
- تهاون كثير من الناس فى سماع الخطبتين يوم العيد ، فإذا صلى الإمام بادروا بالخروج فوراً ، ولم ينتظروا لسماع الخطبتين اللتين هما المقصود الأعظم من ذلك الجمع ، لما فيهما من الوعظ والتذكير .
- اشتغال بعض الجهال بالذهاب إلى قبور الأولياء والأقارب وغيرهم بعد صلاة العيد ، قبل الرجوع إلى أهلهم ، وهذا كذلك من البدع المنكرة جداً فى دين الإسلام ، وهذا كله من تلبس الشيطان عليهم بدعوى أن هذه الزيارة من البر والمودة والصلة .
- بدعة ما يسمى حفيفة رمضان ، حيث يكتب بعض الجهال أثناء خطبة الجمعة فى آخر رمضان (لا آلاء إلا الآؤك محيط علمك كعسبون وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) ويدعون أنها تحفظ من الغرق والحرق والسرقة والعيث ، وهذه بدعة منكرة أصلاً أنكرها كثير من العلماء كابن حجر وغيره ، وكذلك فإنه لا يجوز الدعاء والذكر بشيء وكلام غير مفهوم لاحتمال أن يشتمل على كفر وشرك .
- توحيش الخطباء على المنابر حيث يقول بعضهم - وذلك فى بعض البلدان - : لا أوحش الله منك يا رمضان ، لا أوحش الله منك يا شهر القرآن ، يا شهر المفاتيح ، يا شهر التراويح . . . إلخ ، وهذا كله بدعة وضلالة منكرة .
- وفى الختام ، فإنه لا بد من إظهار سنة النبى - ﷺ - وإنكار هذه البدع والرد على أهلها ، فإن البدع تبديل فى دين الله تعالى ، ولا تقوم البدعة إلا بتضييع السنة ،

ولا يجوز أبداً التهاون فيها ، لأنها مما يجلب غضب الله - تعالى - وسخطه ، ويحق بركة الشهر وبركة العبادة . وهذه البدع تشريع فى دين الله بغير إذنه ، كما قال تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup> وحذر منها النبى ﷺ بقوله : «وَلِيَاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»<sup>(٢)</sup> .

فعلى كل مسلم لزوم السنة ، واجتناب البدعة حتى ينال رضا الله - تعالى - وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

\* \* \*

(١) الشورى : ٢١ .

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما .

## المبحث الخامس

### بدع وأخطاء في صلاة التراويح

فإن صلاة التراويح في رمضان مما شرعه الله تعالى ، ووعد عليه الأجر الجزيل ، وهى من العبادات التى كثرت البدع فيها ، فرأيت التحذير من تلك البدع والأخطاء ، وبيان السنة فيها ، فأقول مستعيناً بالله تعالى :

١ - صلاة التراويح - قيام رمضان سنة مستحبة مؤكدة ، لقول النبي ﷺ : «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» وكذلك فإنه ﷺ قام هذا الشهر ، وقامه أصحابه في عهده ومن بعده فرادى وجماعات ، ولم يزل المسلمون عليه وسيظلون إن شاء الله تعالى .

٢ - الاجتماع على إمام واحد - أى القيام جماعة سنة ، لأن النبي ﷺ صلاها بأصحابه جماعة غير أنه لما خشى من أن تفرض عليهم صلى وحده ولم يجمع بهم ، غير أن فعله الأول يدل على الجواز ، ولهذا اجتمع أصحابه من بعده على إمام واحد ولم يروا بذلك بأساً ، بل جمعهم عمر على إمام واحد وأقرهم على ذلك .

٣ - فيما يتعلق بصلاة التراويح من جهة العدد ، فالسنة أنها إحدى عشرة ركعة ، وذلك لفعل النبي ﷺ ، فإنه لما سئلت عائشة رضي الله عنها : كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان ؟ قالت : «مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً ، يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطَوْلِهِنَّ ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطَوْلِهِنَّ ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تَوْتِرَ؟ قَالَ : يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنِي تَنَامَانُ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»<sup>(١)</sup> ، وروى الإمام مالك عن السائب بن يزيد قال : «أمر عمر بن الخطاب أبى بن كعب وغميماً الدارى أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة» الموطأ ( ١ : ١٠٥ ) .

(١) مضع عليه .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

فهذا فعل النبي ﷺ ، وهذا صنيع عمر بن الخطاب من بعده ، وهذا هو الصواب الذى ينبغى التمسك به ، فإن الروايات التى فيها زيادة على هذا العدد قد قدح فيها كثير من الأئمة .

قال السيوطى فى «المصابيح فى صلاة التراويح» من الفتاوى ( ٢ : ٧٧ )  
(عن مالك أنه قال : الذى جمع عليه الناس عمر بن الخطاب أحب إلى وهو إحدى عشرة ركعة ، وهى صلاة رسول الله ﷺ ، قيل له : إحدى عشرة ركعة بالوتر ؟ قال : نعم ، وثلاث عشرة قريب ، قال : ولا أدرى من أين أحدث هذا الركوع الكثير) .

وقال ابن العربى فى شرح الترمذى ( ٤ : ١٩ ) : «والصحيح أن يصلى إحدى عشرة ركعة ، صلاة النبي ﷺ وقيامه ، فأما غير ذلك من الأعداد فلا أصل له ولا حد فيه ، فإذا لم يكن من بد فى الحد فما كان النبي ﷺ يصلى ... إلخ» .

وقال الصنعانى فى سبل السلام ( ١ : ٣٣٧ ) : «وأما الكمية وهى جعلها عشرين ركعة فليس فيه حديث مرفوع إلا ما رواه عبد بن حميد والطبرانى من طريق أبى شيبة إبراهيم بن عثمان عن الحكم بن مقسم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يصلى فى رمضان عشرين ركعة والوتر .

قال فى سبيل الرشاد : «أبو شيبة ضعفه أحمد وابن معين والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم ، وكذبه شعبة ، وقال ابن معين : ليس بثقة ، وعد هذا الحديث من منكراته» اهـ .

وهكذا كل ما ورد من الأحاديث المرفوعة فى صلاة عشرين ركعة كلها أسانيدها ضعيفة لا تقبل التصحيح ولا التحسين ، ضعفها ابن حجر والنووى والعينى والقارى والذهبى والالبانى وغيرهم .

## بدع وأخطاء فى صلاة التراويح

وكذلك الروايات التى وردت عن الصحابة حول نفس الموضوع كلها ضعيفة والله الحمد ، ثبت أنه لا ينبغى أبداً المصير إلى غير فعل النبي ﷺ ، فإنها عبادة مبناه على التوقيف .

٤ - مما أحدث الناس من الأخطاء حول صلاة التراويح التخفيف المفرط فيها ، حتى إن القارئ ليقراً بالآية الواحدة فقط فى الركعة ، بل وأحياناً يقسمون الآية الطويلة بين ركعتين فيخلون بروح الصلاة وخشوعها ، وترابط الآيات ، ويفوتون المقصود من التدبر والتفكر ، ويخالفون سنة النبي ﷺ وأصحابه .

٥ - من هذه الأخطاء ما يقع من الناس فى بعض البلدان الإسلامية من التسبيح بصوت مرتفع جماعة بعد كل ركعتين والصلاة على النبي ﷺ ، وحتى يستعملون صيغاً منكراً فيها غلو شديد ، كما يقال : الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله وخاتم رسل الله ، وكذلك يترضون على الصحابة واحداً واحداً ، أو على الخلفاء الراشدين ونحوهم ، وكل هذه بدع وضلالات لم يشرعها الله تعالى ، كما أن فيها إذهاباً وتضييعاً للخشوع فى الصلاة الذى يجب تحريره والمحافظة عليه .

٦ - ومن هذه الأخطاء اصطحاب الأطفال بكثرة إلى المساجد مما يفوت على الناس الخشوع بما يحدثه الأطفال من الصخب والضجيج فى المسجد ، وهذه المسألة تحتاج إلى توسط ، فإن بعض الناس يجوزون الأمر مطلقاً بغير ضابط ، والبعض يمنعونه مطلقاً محتجين بحديث : «جئوا مساجدكم مجانينكم وصبيانكم» وهو غير صحيح ، والصواب أن أخذ الطفل للمسجد جائز فى الأصل ، فإن النساء كن يصحن الأطفال فى عهده ﷺ ، بل وكان النبي ﷺ يخفف الصلاة حين يسمع بكاء الصغير رحمة بأمه ، لكن إذا كثرت الأطفال فى المسجد بحيث يغلب صخبهم ولعبهم وضجيجهم مما يذهب بخشوع الناس ، ويفوت عليهم المقصود ، بل وبعضهم يلعب بالمصاحف ويكتب على الجدران ، ويخربون الفرش والبسط ونحو ذلك ، فحيثذا ينبغى منعهم تحصيلاً للهدف المرجو ، وهو اجتماع الناس على عبادة الله - تعالى -

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

فى خشوع ووقار ، إلا أن يتم التشديد عليهم - على الصغار - حول هذه الأمور ، وكذلك لا ينبغي ترك غير المميزين فى وسط الصف هنا وهنا ؛ بل يجعلون على الأطراف أو يجعل لهم صف مستقل ، لأنهم عند بعض العلماء يقطعون الصفوف وهم بمثابة سوارى المسجد عندهم فذلك أولى - والله أعلم .

٧ - الإفراط فى استعمال أدعية غير مأثورة فى القنوت ، وكثير منها لا يكون دعاء بالفعل ، بل هو عبارة عن وصف كامل لأحوال القبور والآخرة وغير ذلك بغرض استبكاء الناس ، ولكنها بهذه الطريقة تخرج عن معنى الدعاء ، وهذا كثير جداً ومتداول ، والبعض يطول فى الدعاء بشكل يشق على كثير من الناس ويظل يتباكى بشكل يظهر فيه التكلف واضحاً ، وكذلك المداومة على القنوت نفسه ليست من السنة ، بل إن النبى ﷺ كان - كما قال ابن القيم : «قنت وترك ، وكان تركه القنوت أكثر من فعله» فينبغى التوسط فى كل الأمور ولزوم السنة النبوية الشريفة .

فهذه نظرات فى مسائل تتعلق بصلاة التراويح ، وأسأل الله العصمة من الزلل وأسأله التوفيق لى ولإخوانى المسلمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

\* \* \*

## المبحث السادس

### بيان السنن والمبتدعات المتعلقة بعيد الفطر وشهر شوال

- فإن يوم الفطر هو يوم عيد ، وهو من الأعياد التي شرعها الله - عز وجل - لعباده المسلمين ، منها ما يكون في كل أسبوع ، وهو يوم الجمعة ، ومنها ما يكون مرة في العام ، فمن ذلك يوم عرفة ، ويوم الأضحى ويوم الفطر ، ويوم الفطر يعقب فريضة عظيمة من أركان الإسلام ألا وهي صوم شهر رمضان الكريم ، غير أن المسلم ينبغي له أن يتعرف على بعض السنن المتعلقة بيوم العيد حتى يلازمها ، وأن يتعرف على بعض البدع والمنكرات حتى يتجنبها . فمن السنن والآداب المتعلقة بذلك اليوم :
- إخراج زكاة الفطر قبل الصلاة ، وذلك حرصاً على جبر خاطر الفقراء في هذا اليوم ، ولأمره ﷺ بإخراج الزكاة قبل الغدو للصلاة يوم الفطر .
  - الاغتسال والتطيب والتسوك ، وذلك حرصاً على طيب رائحة المرء في ذلك الجمع الطيب وفي هذه المناسبة .
  - لبس الجديد من الثياب ، وذلك لإظهار الفرح بالعيد .
  - الإفطار ولو على تمرات قبل الذهاب للمصلى ، وذلك لفعله ﷺ فإنه ﷺ كان لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ، وذلك كما أخرجه أحمد وغيره .
  - أن يخرج إلى العيد ماشياً لا راكباً ، لفعله ﷺ ، إلا إذا كان معذوراً أو كان المكان بعيداً منه بما يشق عليه .
  - أن يرفع صوته بالتكبير والتهليل ، في المساجد والأسواق والطرق وغيرها ، وذلك لفعله ﷺ .
  - ألا يصلى إذا أتى المصلى بل يقعد مكبراً ينتظر الصلاة فإن النسيء ﷺ كان لا يصلى يوم العيد شيئاً قبل الصلاة .
  - وكذلك لا يؤذن قبل الصلاة ، فإن النبي ﷺ كان لا يؤذن له في العيدين .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

- الصلاة قبل الخطبة ، فإنها سنة النبي ﷺ .
- حضور الخطبة ، والإنصات لها ، وتدبر الموعظة .
- الرجوع من طريق آخر غير الذى أتى منه ، وذلك لفعله ﷺ .
- صلة الأرحام فى هذا اليوم ، وذلك بزيارتهم وتهنئتهم وتقديم الهدايا لهم ، وإدخال السرور والبهجة عليهم .
- صيام ست من شوال كما أمر النبي ﷺ لقوله : «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً . . .» .
- فكل ما ذكر من الآداب والسنن المتعلقة بالعيد وبشهر شوال ينبغى على المسلم مراعاتها .
- وأما البدع والمنكرات المتعلقة بالعيد وليكته وبشهر شوال فإنها كثيرة ، ونوجز شيئاً منها ، فنقول بعد حمد الله :
- \* منها تخصيص ليلة العيد بالقيام ، أو صلاة مخصوصة فيها ، مائة ركعة وغير ذلك ، وقد ورد فيها حديث ذكر السيوطى وغيره أنه موضوع .
- \* ترك السنة فى التكبير والتهليل بصوت مرتفع ، والإنكار على من يفعله مع أنه من السنة .
- \* ترك السنة فى الإفطار قبل الصلاة ، والذهاب لأدائها دون تناول شىء من الطعام ، وهذا مخالف للسنة .
- \* الانصراف بعد الصلاة مباشرة وعدم استماع الخطبة ، فيفوت المقصود الأعظم من العيد ، ويقع المرء فى مخالفة السنة .
- \* البدء بزيارة القبور عقب الصلاة ، وهذا مخالف للسنة ، ويدعون أنه من المودة ، وهو حزن فى يوم فرح ، وإعراض عن هدى النبي ﷺ .

\* زيارة قبور الأولياء الصالحين والتجمع عندها ، وما يقع عندها من المنكرات والبدع والمخالفات .

\* تبرج النسوة وخروجهن إلى الطرقات ليفتن الرجال ، وما يؤدي إليه ذلك من الشر والفساد .

\* تضييع الأوقات في اللهو واللغو واستماع الأغاني ومشاهدة الأفلام الماجنة وغير ذلك ، كأنما قد شرع العيد لأجل ذلك كله ، ولم يشرع لعبادة الله - تعالى - وشكر نعمه الجزيلة .

\* تسمية الأيام الستة من شوال بالسته البيض ، وهذه التسمية مبتدعة وجهل ، وذلك لأن الأيام البيض هي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر قمري .

\* إن البعض منهم يجعلون لصيام هذه الأيام الستة وقفة وعيداً ، ويجتمع فيه الرجال والنساء فيتصافحون ويهنئ بعضهم بعضاً ثم يذهبون لاكل الأرز باللبن وغير ذلك .

\* إن بعض الجهال يزعمون أن أيام الست لا يصومها إلا من له ذرية ، وأنه إذا صامها ثم تركها يموت عياله ، وهذا جهل فاضح وضلال مبین ، وإنما هو تليس من الشيطان الرجيم .

وفي الختام أذكر نفسي وإخواني المسلمين بوجوب متابعة سنة النبي ﷺ واجتناب البدع والمنكرات وما يخالف السنة ، حتى تكون أيامنا كلها خيراً وبركة من الله تعالى وحتى ننال الأجر من الله - تعالى - ولا نكتسب في تلك الأيام الفاضلة ما نحتمل به الإثم والوزر ، وحتى يكتمل انتفاعنا بهذه الأيام .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

\* \* \*

## المبحث السابع

### بدء فاس يوم الجمعة

إن صلاة الجمعة من شعائر الإسلام العظيمة والتي ذكرها الله في كتابه ، وذكرها رسوله ﷺ - وحث النصوص الشرعية على وجوب المحافظة عليها والحرص على نيل ثوابها .

فقد قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وقد قال النبي ﷺ «مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثًا تَهَاوَنًا طَعِبَ اللَّهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ» (٢) .

وبين فضلها - صلوات الله وسلامه - عليه حيث قال : «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَىٰ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدْنَهُ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ» (٣) .

وقال أيضاً : «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرَ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ وَيَدْهَنُ مِنْ دُهْنِهِ أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ ثُمَّ يَخْرُجُ لَا يُفْرَقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ثُمَّ يُصَلِّي مَا كَتَبَ لَهُ ، ثُمَّ يُنصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ إِلَّا غَفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى» (٤) .

(١) الجمعة : ٩ - ١٠ .

(٢) رواه أصحاب السنن .

(٣) أخرجه في الصحيحين .

(٤) رواه البخاري .

ولما ذكر ﷺ يوم الجمعة قال : «فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّيُ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» (١) .

وأخبر ﷺ «أَنَّهُ خَيْرٌ يَوْمٌ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنْهَا ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ» (٢) .

فهو يوم عظيم ينبغى تعظيمه والحرص على أداء الصلاة فيه واستماع الخطبة ، وينبغى الإكثار من الصلاة على النبى ﷺ لعظم اجرها ، خصوصاً فى ذلك اليوم .  
وما يؤسف له أن كثيراً من الناس فى عالمنا الإسلامى يقعون فى بدع ومنكرات فى ذلك اليوم أذكر منها :

\* صلاة أربع ركعات فى ليلة الجمعة يقرأ فى الأولى بيس وفى الثانية بالدخان وفى الثالثة بالسجدة وفى الرابعة بسورة تبارك .

وهذا كله مبنى على حديث ورد فى فضل فعل ذلك وهو حديث موضوع لا يصح الاحتجاج به أبداً .

\* إفراد يوم الجمعة بالصيام ، وقد نهى النبى ﷺ عن ذلك فقال «... وَلَا تَخْصُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ دُونِ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ» (٣) .  
\* صلاة أربع ركعات عند الدخول للمسجد وقراءة «قل هو الله أحد» مائتى مرة فيها ، وهو مبنى كذلك على حديث موضوع لا يصح أبداً .

\* رحيل كثير من الناس فى بعض البلدان إلى الأضرحة والمشاهد لصلاة الجمعة فيها ، وهذه بدعة شركية .

\* اقتصار بعض الأئمة على قراءة جزء من سورتى السجدة والإنسان وخصوصاً الموضوع الذى فيه السجدة ، ولم يدروا أن المقصود هو المعانى الموجودة فى السورتين وليس مجرد السجدة بحد ذاتها .

(٢) رواه أحمد فى المسند .

(١) رواه أحمد فى السنن وأصحاب السنن .

(٣) رواه مسلم .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

- \* صلاة ركعتين عند الأذان ويسمونها السنة القيامية ، وهي بدعة محدثة لا أصل لها في دين الله - تعالى - ولم يفعلها سلف الأمة الصالحون .
- \* عدم صلاة تحية المسجد للداخلين ، إذا وجدوا الإمام يخطب أو يصعد وهذا خلاف السنة ، بل عليهم أداء الركعتين مع الإيجاز فيهما .
- \* قراءة الفاتحة بعد الجمعة وإهداء ثوابها لأحد الأولياء المشهورين أو غيره ، وهي بدعة كذلك .
- \* قراءة القرآن جهراً من قارئ واحد : حيث يصعد المقرئ على مقعد أو منصة فيقرأ قبل الصلاة والناس يستمعون ويهللون ، وهنا بدعة كبيرة ومخالفة السنة .
- \* قراءة «قل هو الله أحد» ألف مرة في يوم الجمعة ، وهذه كذلك بدعة لا أصل لها في دين الله تعالى .
- \* التمسح بالخطيب بعد الجمعة وهي كذلك بدعة لا أصل لها .
- \* الشحاذة على أبواب المساجد يوم الجمعة وهي ممنوعة كذلك .
- \* اعتماد بعض الخطباء على قطع من الخشب ويسمونها السيوف ، وهذه بدعة وقد كان ﷺ يخطب معتمداً على عصا قبل صنع المنبر .
- \* مواظبة الكثير منهم في آخر الخطبة الأولى على حديث «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ» .
- \* التزام ختم الخطبة التالية بقول : «اذكروا الله يذكركم» أو «إن الله يأمر بالعدل والإحسان ..» .
- \* التزام السجع في الخطب ، رغم نهى النبي ﷺ عن سجع كسجع الكهان .
- وغير ذلك من البدع والمنكرات أعادنا الله وإخواننا المسلمين منها ، والواجب على كافة المسلمين متابعة هدى النبي ﷺ ولزوم سنته ، وهجر البدع وأهلها ، فالله المستعان وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

## المبحث الثامن

### مفاهيم خاطئة حول الأولياء

#### ١ - الولاية والولى:

**لغة:** جاء فى «المعجم الوسيط» (٢ / ١٠٥٨) : (الولاية) : القرابة ، يقال : القوم عليه ولاية يد واحدة يجتمعون فى الخير والشر ، و (الولاية) : القرابة ، والخطة والامارة ، والسلطان ، والبلاد التى يتسلط عليها والى .

**والولى :** كل من ولى أمراً أو قام به ، والنصير ، والمحب ، والصديق ، والحليف ، والصهر ، والجار ، والمطيع ، يقال : المؤمن ولى الله . الخ .  
يتبين لنا أن من معانى الولى : المطيع لله تعالى .

والولاية بهذا الاعتبار هى الطاعة والسعى فيما يحبه الله تعالى ، وهذا معنى موافق لما ورد فى لسان الشرع المطهر :

قال تعالى : ﴿الْأُولِيَاءِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾<sup>(١)</sup> .

فالمتحصل لنا من كل ما سبق : أن الولى بالمعنى الذى أشارت إليه الآية هو كل مؤمن تقى ، والتقى هو الذى يودى ما افترض الله ، ويجتنب ما حرم الله - عز وجل - .

#### ٢ - هل الولاية مكتسبة ؟

لا شك أن الولاية كسبية ، وذلك لأن الولاية يُرادُ بها الطاعة والتقوى ، فهذه أمور كسبية ، فباستطاعة الإنسان أن يكتسب الطاعة والتقوى ، وهكذا يكتسب الولاية ، وكلما ازداد طاعة وتقوى اكتسب مزيداً من الولاية ، غير أن المؤمن لا يأتى

بالطاعة سعياً وراء اسم الولاية ، ولكنه يُخلص العملَ لله تعالى ، ويسعى فيما يحبه ويرضاه ، ويزداد دائماً في طاعة الله ، فحينئذ يصبحُ ولياً لله ، ويستحقُّ ما رتبهُ الله ثواباً للأولياء ، فهم لا خوفٌ عليهم في الدنيا ، ولا يحزنون في الآخرة .

ومما يدلُّ على أن الولاية كسبية قولُ النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل :  
 « ... وما تقربَ عبدي إليَّ بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه ، ولا يزالُ عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافلِ حتى أحبه ، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمعُ به ، وبصره الذي يبصرُ به ، ويده التي يبطشُ بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطيته ، ولئن استعاذني لأعيذته » (١) .

فباستطاعة الإنسان أن يكونَ ولياً لله تعالى إذا شاء ، وذلك بسلوكه طريق الطاعة والتقوى والهدى .

### ٣ - منزلة الأولياء :

إن المؤمنين الصالحين المتقين هم أقربُ الناس إلى الله تعالى ، وأحبهم إليه ، ويجبُ على المسلم أن يحبهم ، لحب الله تعالى إياهم ، وأن لا يؤذيتهم ، وأن يوقرهم لتوقيرهم لله تعالى وطاعتهم إياه ، وهؤلاء الأولياء الصالحون منهم من لو أقسم على الله لأبره ، وقد يصرفُ الله تعالى بهم عن الأمة من الأذى ما لا يعلمه إلا هو ، وقد يجلبُ الله بهم الخيرَ والنصرَ إلى الأمة .

### ٤ - كرامات الأولياء :

الكراماتُ للأولياء حقٌّ ثابتٌ ، وهي ما يُجره الله - تعالى - لهم من خوارقِ للعدادات ، تكريماً لهم وإظهاراً لفضلهم ، دلَّ على ذلك الكتابُ والسنةُ واتفقُ السلفُ .  
 والأصلُ في إثباتها قولُ الله - تعالى - في حقِّ مريمَ : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنْتِ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ (٢) .  
 وقد وردَ في السنة ما يُفيدُ ذلك ، كما في حديثِ أبي هريرة - المسمَّى حديث

(١) أخرجه البخاري ( ١١ / ٣٤٨ ، ٣٤٩ ) .

(٢) آل عمران : ٣٧ .

الولى - السابق ، وكما وقع لعددٍ من الصحابة من كرامات ، كوجودِ فاكهةِ الشتاءِ فى الصيفِ وبالعكسِ مع خبيبِ بنِ عدى - رضى الله عنه - فى حبسه - كما رواه البخارى ، وغير ذلك من حوادثٍ قد لا يتسع المقامُ لذكرها .

والسلف يُقرّون بوجود هذه الكرامات ولا ينكرونها ، فقد قال الإمام الطحاوى رحمه الله فى عقيدة أهل السنة والجماعة التى نقلها عن الإمام أبى حنيفة وصاحبه ، قال فى حق الأولياء : «ونؤمن بما جاء من كراماتهم ، وصح عن الثقات من روايتهم»<sup>(١)</sup> .

### ٥ - خوارق المصلين :

لقد ظنَّ بعضُ الجهالِ أنَّ كلَّ من جرى له شىءٌ من الخوارق فإنه يكونُ ولياً لله تعالى ، بغضِّ النظر عن حاله من حيث الطاعة والمعصية ! وبناءً على ذلك اعتبروا بعضُ الناسِ أولياءً ، حتى لو لم يكونوا من المصلين ، ولا من أهل الطاعة بحال ، بل إن بعضهم لم يعرف عنه شىءٌ من العبادة ولا غيرها ، كلُّ هذا لأنه دخل المسجدَ فبال فيه ولم يصل ! أو لأنه كان يعتسلُ فى مَبولةِ الحميرِ أو غير ذلك ! أو لأنه كان يخطبُ فى عدةِ أماكن فى وقتٍ واحدٍ يدعو فيها إلى الشرك ! .

ومن أراد المزيدَ من هذه الصور ، فليرجع إلى كتاب «طبقات الأولياء» للشعرانى ، فيه النقولُ الموضحةٌ لذلك عنهم ، مع إقرارها .

وقد فات هؤلاء الجهال أنَّ هناك أولياءً للرحمن ، وأولياءً للشيطان ، وأنه لا يميزُ بينهما إلا باستقصاءِ حالهما واستقرانه ، فإذا حدثتْ خارقةٌ لشخصٍ مطيعٍ لله ، ملتزمٍ بحلاله وحرامه وشرعه ، يحافظُ على العبادة ، استبشرنا وقلنا : لعلها كرامةٌ له ، وإذا رأينا خارقةً وقعتْ لشخصٍ لا يلتزمُ بشرعِ الله ، ولا يقفُ عند حدودِ الله ، ولا يتورعُ عما حرمَ الله ، جزمنا بأنه من أولياءِ الشيطان ، قد عملَ له هذا الشىءُ لكى يفتنَ به الناسَ ويضلِّهم ويصرفهم عن طريقِ الله تعالى ، وما أحسن قولَ من قال من السلف : «إذا رأيتَ الرَّجُلَ يَطِيرُ فى الهواءِ ، ويمشى على الماءِ ، وأمره يخالفُ الشريعةَ فاعلم أنه شيطان» .

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٤٩٥) .

## المبحث التاسع

### هل للأولياء تصرف في الكون أو علم بالغييب ؟

لقد نفى الله - تعالى - عن خلقه كل صورة ممكنة من صور التصرف والملك ، ولا أحد من الخلق يملك ذرة في هذا الكون ، ولا أحد منهم يشارك الله تعالى في ملكه ، ولا أحد منهم يساعد الله تعالى في تصريف شئون الكون ، ولا أحد منهم يملك حتى مجرد الشفاعة بغير إذن الله تعالى ، ولا أحد منهم يعلم الغيب إلا ما أعلمه الله به ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي ولا غير ذلك ، وآيات القرآن مليئة بذلك ، فقد نفى الله تعالى كل هذه الصور في قوله : ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَهِيرٌ . وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (٢) .

وقال عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣) .

وقال نافيًا علم الغيب عن خلقه : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَيَّ غَيْبٌ أَحَدًا . إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (٤) ، وقال أيضًا : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُعْثُونَ﴾ (٥) ، ونفى علم الغيب حتى عن رسوله فقال : ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ (٦) .

فكل صور الملك والتصرف وعلم الغيب منفية عن الخلق جميعًا ، ليس لأحد منهم شيء من ذلك ، والآيات غير ما سبق كثيرة ، ومن هنا يتبين بطلان تعلق الجهال بالأولياء ، وعدم استطاعتهم شيئًا من النفع أو الضر لمن تعلق بهم .

(١) (٣) المكنوت : ١٧ .

(٢) الفرقان : ٣ .

(٣) سبا : ٢٢-٢٣ .

(٤) الأنعام : ٥٠ .

(٥) النمل : ٦٥ .

(٦) الجن : ٢٦-٢٧ .

هل للأولياء تصرف في الكون أو علم بالغييب؟

## صور الغلو في الأولياء :

لقد غلا الجهال في الصالحين والأولياء ، ورفعوهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها ، فمن ذلك :

١ - رفعهم إياهم فوق منزلة الأنبياء ، حتى قال قائلهم - وهو ابن عريى - :  
مقام النبوة في برزخ ، فويق الرسول ودون الولي .

فخالف بذلك ما اتفقت عليه الأمة وأجمعت عليه من تفضيل النبي على الولي بل تفضيل نبي واحد على جميع الأولياء .

قال الإمام الطحاوي - رحمه الله - في عقيدة أهل السنة والجماعة : «ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء - عليهم السلام - ونقول : نبي واحد أفضل من جميع الأولياء» ، انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٩٣) .

٢ - إسباغ بعض من خصائص الربوبية عليهم : فالأولياء عند هذا الصنف من الناس يعلمون الغيب ، ويتصرفون في الكون ، فهذا غوث الاغواث ، وهذا قطب الوقت ، وهذا الوجد ، وغير ذلك ، وهم في زعمهم ذلك يصطدمون مع نصوص الكتاب والسنة التي سبق ذكر بعضها في المبحث السابق ، ولهذا تراهم ينتظرون منهم جلب النفع ، ودفع الضر ، وكشف اللممات وغير ذلك .

٣ - صرف العبادة إليهم : فهم يدعونهم ، ويستغيثون بهم ، فلا يستجيبيون لهم ، كما قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ (١) .

وهم يندرون لهم ، ويشتكون إليهم ما نزل بهم ، ويرفعون إليهم الحوائج ويتعلقون بهم تعلق العابد بمعبوده ، بل إنهم يهتفون باسمهم في المصائب ، فيقعون بكل ذلك في الشرك الأكبر الناقل عن ملة الإسلام .

(١) فاطر : ١٣-١٤ .

٤ - بناء الأضرحة لهم ، واتخاذ المساجد عليهم ، والطواف بها والتمسح ، وإبقاء السرج عليها ، وتعظيمها ، بل والحج إليها عوضاً عن حج بيت الله الحرام ، ويقبلونها وغير ذلك ، فيقعون في لعنة الله ورسوله حيث قال : «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(١)</sup> .

والاحاديث الواردة في النهي عما سبق ولعن فاعله لا تكاد تحصى .

٥ - نسج أساطير واختلاق الحكايات :

ومرادهم من ذلك ترسيخ مبدأ اللجوء للأولياء عند الضراء ، والاستغاثة بهم بزعم أن فلائنا تعرض لكذا وهتف باسم الولي فنسجا ، أو أن فلائنا وقف عند القبر فأخرج الولي يده ومدها إليه ليقبلها وغير ذلك من الاساطير التي ملأت كتباً كثيرة ولا أصل لها ، وما صح منها فإنما هو تلعب الشياطين بجهال الناس .

٦ - الوقوف موقف العداء من كل من يأمر بالقسط ، ويتوسط في شأن الأولياء ، فيرمونه بأنه لا يعظم الأولياء ولا يحبهم ، ولا يحب أهل البيت ، ويبغضهم ... إلى آخر هذه الأوصاف ، وينسون أن محبتهم وتعظيمهم لا تكون بعبادتهم من دون الله ، وتاليهم ، وإنما بالتشبه بطاعة المتقين منهم ، والسير على دريهم ، واقتفاء أثرهم ، والاستغفار لهم والترحم عليهم ، وألا نرفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله - تعالى - إياها .

٧ - الحلف بهم ، فيقسم الواحد بسيدته فلان وسيدته فلانة ، ناسياً أن الحلف بغير الله - تعالى - شرك ، لأنه تعظيم للمخلوق من دون الله - تعالى - وغير ذلك من الصور ومظاهر الغلو .

وبعدما تقدم فالواجب على كل مسلم أن يتقى الله - تعالى - في دينه ، وأن يتوسط في شأن الأولياء فلا يؤذيهم ولا ينتقصهم ولا يسبهم ، بل يحبهم ويواليهم ،

(١) أخرجه البخارى (١٣٣/١) ح ٤٣٥ ، ٤٣٦ في الصلاة باب (٥٥) ومسلم (٣٧٧/١) ح ٥٣١ في المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، كلامه من حديث عبيد الله عن عائشة وابن عباس مرفوعاً .

هل للأولياء تصرف فى الكون أو علم بالغيب؟

ولكن من غير غلو ، فلا يصرف لهم العبادة ولا يسبغ عليهم خصائص الربوبية وغير ذلك من مظاهر الشرك .

بل من الواجب أيضًا أن يحرص كل مسلم على أن يكون لله ولياً بملازمة الطاعة ، وتحصيل التقوى والبعد عن المحارم حتى ينال تلك المنزلة عند الله تعالى .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، والحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

## المبحث العاشر

### الصوفية وأثرها على المجتمعات الإسلامية

فإن لفظ (الصوفية) و(التصوف) من الألفاظ الحادثة التي لم تُعرف في الكتاب ولا في السنة ، وليس لها أصل فيهما ، وكل ما ورد في الشرع هو كلمة (الزهد) أو (الورع) . كما قال النبي ﷺ : «لَوْهَدُ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ ، وَارْهَدُ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ»<sup>(١)</sup> . وكما في قوله ﷺ : «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ صَاحِبُ سَبِيلٍ»<sup>(٢)</sup> .

هذا وقد أُلّف كثير من الأئمة في الزهد ، منهم الإمام أحمد بن حنبل ، وعبد الله بن المبارك ، ووكيع بن الجراح ، وهناد بن السرى وغيرهم - رحمهم الله جميعاً - لكنهم حرصوا على التقيّد بالشرع حتى في استعمال المصطلح وهو (الزهد) ، ولم يستعملوا هذه المصطلحات الحادثة التي لا تخلو من أحد أمرين :

الأول : أن تكون دالة على معانى مخالفة لما جاء به الشرع ، فيكفى هذا دليلاً على بطلانها ووجوب اطراحها .

الثاني : أن تكون دالة على معانٍ مشروعة ، وفي هذه الحالة فالواجب تسمية هذه المعانى المشروعة بالأسماء التي سماها بها الشرع ، ولا داعى لاستعمال أسماء مجدثة حتى لا تفتح الباب للابتداع في الدين ، والاستحسان بالرأى والهوى . هذا وإن آفة التصوف لما ظهرت وفشت بين المسلمين وعمت بها البلوى ، تسببت في أضرار بالغة على المسلمين ، من أهمها :

أولاً : أنها أدخلت على المسلمين الكثير من العقائد المنحرفة ، والتصورات الفاسدة والشركية ، بل وأصبح التصوف هو العبادة التي يرتديها كثير من الزنادقة ، كأهل الحلول والاتحاد ، والقائلين بتناسخ الأرواح ، وغيرهم .

(٢) أخرجه البخاري

(١) أخرجه ابن ماجه والطبراني والحاكم .

ومن المظاهر الشركية التي وقع فيها كثير من المسلمين الجهال والسذج نتيجة لشيوع فكرة التصوف قصدهم لقبور وأضرحة الصالحين وغيرهم . وصرف الكثير من العبادات إليها ، والتي لا تنبغي أن تُصرف إلا لله ، كالذبح لها أو عندها ، والطواف بها ، وطلب الخواص منها ، والاستشفاع بها ، واللجوء إليها لدفع الضرر أو جلب النفع ، وغير ذلك من أنواع العبادات . ويكفى قول الشعراني وهو من أئمة الصوفية في كتابه الجوهر والدر : «إن الله تعالى يوكل بقبر الولي ملكاً يقضى حوائج الناس»<sup>(١)</sup>.

وقول بعض الصوفية : «قبر معروف الكرخي تريق مجرب» .

ومما هو شائع عندهم طلب الإمداد من المقبورين ، كقولهم : «مدد يا سيدي أحمد اليدوي ، مدد يا حسين ، مدد يا سيدة ، مدد يا أم هاشم ، مدد يا عبد القادر الجيلاني ... إلخ .

كل هذا من الشركيات الخطيرة التي وقع فيها الجهال من المسلمين باعتقادهم التصرف في أناس ميتين ، لا حول لهم ولا قوة ، ولم يكن لهم تصرف أصلاً في حياتهم ، ولا نفع ولا ضرر ، فكيف بعد موتهم ؟!

بل ويظن بعض الجهال أنهم بعد موتهم أكمل منهم في حال حياتهم ، وأقدر على التصرف ، كقول القائل : «لا خير فيمن يحجب بينه وبين أحبابه شبر من التراب» ، يقصد أنه حي في قبره ، يسمع ويرى ويتصرف ، كما كان في حال حياته ، وهذا والله هو الضلال المبين ، والإفك المستبين .

ومما دفع الكثير من شیوخ التصوف إلى التلبس على الجهال في هذا الباب ، ما نالوه من الحظوة والكرامة عند الناس ، سواء في حال حياتهم بما يأتيهم من أموال ، وبما يلقونه من تعظيم وتكريم من تابعيهم ، بل إنهم قد يركعون لهم ! وكذا ما

(١) كتاب الجوهر والدر ، كما في كتاب نفحات القرب والاتصال لأحمد الحموي ص ١٣

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

ينتظرونه بعد موتهم من مظاهر التقديس والعبادة التي تكون عند قبورهم ، فله الأمر من قبل ومن بعد .

ثانياً : ومن هذه الأضرار البالغة ما يظهر في احتفالاتهم وموالدهم من المفاسد الخلقية العظيمة ، كاختلاط الرجال بالنساء ، ورقصهم وغنائهم ، وتبرج النساء ، وشيوع شرب الحشيش والمخدرات ، بل والزنا ، بحيث إن هذه الموالد أصبحت في كثير من الأحيان بمثابة مواسم وأسواق يقصدها أهل الفحش والزنا والفجور ، لمعاقرة كل أنواع الفواحش ، وأين كل هذا من دين الله - عز وجل - ١٩ .

ثالثاً : ومن هذه الأضرار أن كثيراً من الأجانب لما رأوا أفعال الصوفية واعتقاداتهم وتصرفاتهم في هذه الموالد ، ومشاركة بعض المنتسبين إلى العلم لهم في هذه الاحتفالات ممن لبسوا العمام ، أساءوا الظن بدين الإسلام ، وقالوا : لا خير في دين يأمر بهذا ويشرعه لأهله .

وما درى هؤلاء أن الإسلام برىء من أفعال أولئك ، وما درى أولئك أنهم صدّوا عن سبيل الله بأفعالهم ، وأين كل هذا مما أمر الله به وشرعه لعباده ١٩ .

رابعاً : أن هذه الفكرة - فكرة التصوف - تسببت في تفريق شمل المسلمين إلى فرق وأحزاب ، وشيع ما أنزل الله بها من سلطان : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾ (١)

وهل ظهرت هذه الأسماء بين الصحابة والتابعين ومن بعدهم كالأئمة الأربعة وغيرهم ؟ كلا والله !! لقد استمسكوا جميعاً بحبل الله ، واعتصموا به ، فلم يقل أحد منهم : أنا نقشبندی ، أو رفاعي ، أو جيلاني أو غير ذلك ، ولا حتى عمري ، أو عثمانى ، أو علوي ، وهم من هم .

وكل هذه الأسماء تسببت في تفريق شمل المسلمين وتحزبهم تحت رايات وأسماء

(١) سورة النجم : الآية (٢٣)

## الصوفية وأثرها على المجتمعات الإسلامية

وهمية ، أو لا أهمية لها ، أو ما أنزل الله بها من سلطان ، وكل هذا كان من أسباب نزول البلاء وتسلط الأعداء .

خامساً : يعزى إلى الصوفية الفضل فى بث روح الكسل والخمول ، والتواكل بين المسلمين ، وعدم الجدّ فى أمور الدين والدنيا ، وعدم الأخذ بأسباب القوة فى مواجهة أعداء الإسلام ، حتى إنهم لم يُعرف عنهم وقوف فى وجه الأعداء كالتتار وغيرهم ، بل إن علماء أهل السنة - كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره - وقفوا فى وجه الكفر بالسيف ، بينما اعتزل هؤلاء زعماء منهم أن غزو التتار بلاء من الله ، ولا داعى لمحاولة مواجهة القدر الإلهى .

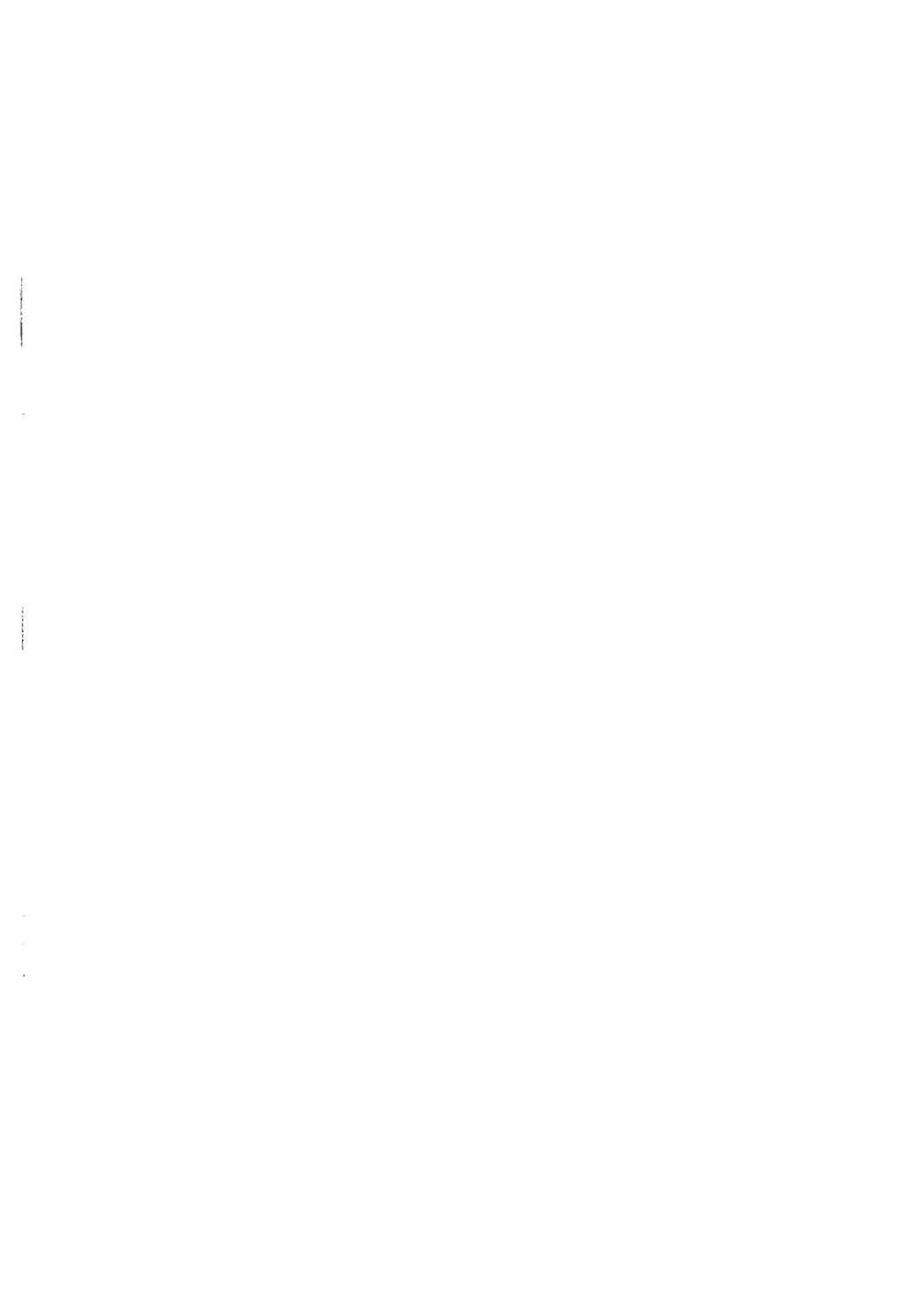
\* \* \*



## الفصل الخامس

تأملات ونظرات في بعض المذاهب والفرق المعاصرة

- المبحث الأول ، نشأة الاختلاف والتفرق ، وأسباب ذلك .
- المبحث الثاني ، منهج الماتريدية في العقيدة .
- المبحث الثالث ، مذاهب فكرية في الميزان .



## المبحث الأول

### نشأة الاختلاف والتفرق وأسباب ذلك

كان الناس قبل مبعث النبي ﷺ في أعظم جاهلية وشر واختلاف وتفرق قد التبس عليهم الحق فتأهوا بين وثنية جائرة ونصرانية حائرة ويهودية مدمرة ومجوسية فاجره حتى لم يبق على الأرض من هو على الحق ، فكانوا كذلك حتى بعث الله محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فجمع به الشمل وألف به بين القلوب ، وكان ﷺ حريصاً أشد الحرص على أمته ، فما توفى إلا وقد نص على كل ما يعصم من المهالك نصاً قاطعاً للعدر ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup> . وقال النبي ﷺ : «تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْمَحْجَةِ الْبَيْضَاءِ ، لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا ، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ» .

قال الصحابي أبو الدرداء رضي الله عنه : «خرج رسول الله ﷺ علينا فقال : وإيم الله لأترككنكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها سواءً ، فقال أبو الدرداء : صدق الله ورسوله ، فقد تركنا على مثل البيضاء»<sup>(٢)</sup> .

فلما مات الرسول ﷺ سار الصحابة رضي الله عنهم على ما عهد إليهم نبيهم ، فلم يتفرقوا بل كانوا جماعة واحدة ، فبحمد الله لم يحصل بينهم نزاع في العقائد يستوجب تخليل أو تفسيق بعضهم ببعض بل كانوا على عقيدة واحدة .

قال طاش كبرى زاده الحنفي : « إن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - كانوا في زمن النبي ﷺ على عقيدة واحدة ؛ لأنهم أدركوا زمان الوحي وشرف الصحبة»<sup>(٣)</sup> .

(١) المادة : ٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٩/١) والحاكم في المستدرک (١/٩٦) .

(٣) مفتاح العادة (٢/١٦١) .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

وربما يحصل بينهم الاختلاف فى بعض مسائل الأحكام الفقهية فلا يوجب الفرقة والتفسيق أو التكفير ، بل هو اجتهاد منهم فى فهم النص فالصيب منهم له أجران والمخطئ له أجر واحد .

### متى نشأ الاختلاف والتفرق فى الأمة الإسلامية ؟

عرفنا أن الصحابة لم يحصل - ولله الحمد - بينهم نزاع واختلاف فى العقائد ، وهذا هو حال من هم من غير الصحابة من المسلمين ، فكانوا متفقين فى خلافة أبى بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان بن عفان ، لا تنازع بينهم .

إلى أن قام أهل الفتنة والضلال والبغى بقتل عثمان رضي الله عنه فتفرق المسلمون بعد ذلك ، وأول فرقة فارقت جماعة المسلمين وخرجت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه هى الخوارج فبترأت من إمام المسلمين على رضي الله عنه وكفرته ومن معه من المسلمين ومعاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه ومن كان معه من المسلمين واستحلوا دماء المسلمين وأعرضهم ، وقد قال - عليه الصلاة والسلام - فى حقهم : «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق»<sup>(١)</sup> .

ثم ظهرت الشيعة الذين غلوا فى على رضي الله عنه حتى زعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم نص على إمامته وكان رأس هذه البدعة عبد الله بن سبأ اليهودى الذى ادعى الإسلام ليتمكن من إفساده على أهله فزعم محبة البيت وغالى فى على رضي الله عنه وادعى له الوصية بالخلافة ، ثم رفعه إلى مرتبة الألوهية .

وقد حارب أمير المؤمنين على بن أبى طالب هذا المذهب الفاسد وقتل كل من يقول بمثل هذا القول ، ثم توالى بعد ذلك ظهور البدع ، فحدثت فى آخر عصر الصحابة بدعتا القدرية والمرجئة ، وفى أواخر الدولة الاموية ظهرت الجهمية ثم المعتزلة .

### أسباب نشأة الاختلاف والتفرق فى الأمة الإسلامية :

لقد أثرت مؤثرات خارجية وداخلية فى نشأة الاختلاف والتفرق فى الامة

(١) أخرجه مسلم (١٦٨/٧) مع شرح النووى وأبو داود (٤/٣٠٠) .

الإسلامية ، وقبل أن أشرع فى ذكر هذه المؤثرات أحب أن أذكر أن الاختلاف والتفرق الذى تنشأ عنه الفرق هو الاختلاف فى أصول العقيدة لا فى الفروع والأحكام الفقهية<sup>(١)</sup> وإليك ذكر تلك المؤثرات :

**أولاً : المؤثرات الداخلية :** والمقصود بها المؤثرات التابعة من داخل العالم الإسلامى ومن ظروفه الخاصة وهى :

### ١ - الجهل بالدين :

إن أصل حدوث الاختلاف والتفرق فى الأمة الإسلامية من زمن الصحابة إلى يومنا هذا إنما هو الجهل بحقيقة الدين وما يؤكد هذا ما روى عن إبراهيم التيمى أنه قال: «خلا عمر رضي الله عنه ذات يوم فجعل يحدث نفسه : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد ؟ فأرسل إلى ابن عباس رضي الله عنه فقال : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبيلتها واحدة وكتابها واحد ؟! قال : فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين ، إنما أنزل علينا القرآن فقرآناه ، وعلمنا فيه أنزل ، وأنه سيكون أقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فيه نزل ، فيكون لكل قوم فيه رأى فإذا كان كذلك اختلفوا»<sup>(٢)</sup> .

قال الشاطبى المالكى : «ما قاله ابن عباس رضي الله عنه هو الحق ، فإنه إذا عرف الرجل فيم نزلت الآية أو السورة عرف مخرجها وتأويلها وما قصد بها ، فلم يتعد ذلك فيها ، وإذا جهل فيم أنزلت احتمل النظر فيها أوجهها ، فذهب كل إنسان مذهباً لا يذهب إليه الآخر ، وليس عندهم من الرسوخ فى العلم ما يهديهم إلى الصواب أو يقف بهم دون اقتحام حمى المشكلات ، فلم يكن بد من الأخذ

(١) انظر الاعتصام (٢/ ٢٠٠ ، ٢٠١) للشاطبى المالكى

(٢) الاعتصام (٢/ ١٨٣) .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

بالرأى أو التأويل بالتخصيص الذى لا يغنى من الحق شيئاً ، إذ لا دليل عليه من الشريعة فضلوا وأضلوا»<sup>(١)</sup> .

ولقد عرف السلف - رحمهم الله - ما للجهل من أثر بالغ فى اختلاف الأمة وتفرقها فحذروا منه وجاهدوا فى قطع أسبابه .

روى ابن عبد البر عن أبى الدرداء أنه قال :

«ما لى أرى علماءكم يموتون وجهالكم لا يتعلمون؟! لقد خشيت أن يذهب الأول ولا يتعلم الآخر . لو أن العالم طلب العلم لآزاد علماً ، ولو أن الجاهل طلب العلم لوجد العلم قائماً ، ما لى أراكم شباعاً من الطعام جياعاً من العلم»<sup>(٢)</sup> .

وقال الحسن البصرى : «العامل على غير علم كالسائر على غير طريق ، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح فاطلبوا العلم طلباً لا يضر بترك العبادة ، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بترك العلم ، فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسياقهم على أمة محمد ﷺ ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا»<sup>(٣)</sup> .

قال الشاطبى : «يعنى الخوارج . . لأنهم قرءوا القرآن ولم يتفقهوا» .

ومن أهم الأسباب التى تؤدى إلى الجهل الذى ينجم عنه التفرق والاختلاف :

أن يعتقد الإنسان فى نفسه أو يُعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد فى الدين ولم يبلغ تلك الدرجة ، فيعمل على ذلك ، قال النبى ﷺ فى مثل هؤلاء : «لا يقبض الله العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»<sup>(٤)</sup> .

(١) الاعتصام (٢/١٨٣) .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ، ص ٥٧٩ .

(٣) الاعتصام (٢/١٧٥) .

(٤) أخرجه البخارى (١/١٩٤) ومسلم برقم ٢٦٧٣

## ٢ - الجهل باللغة العربية واصطلاحاتها :

إن عدم فهم اللغة العربية فهمًا صحيحًا كما تقتضيه قواعدها كان من المؤثرات الداخلية القوية في حدوث الاختلاف والافتراق في الأمة ، وذلك أن الله - عز وجل - أنزل القرآن عربيًا لا عجمة فيه ، وكان المنزلُ عليه القرآن عربيًا أفصح من نطق بالضاد وهو محمد بن عبد الله ﷺ ، وكان الذين بعث فيهم عربيًا أيضًا ، فجرى الخطاب به على معتاد في لسانهم .

فلما دخل كثير من العجم في الإسلام وأرادوا أن يفهموا القرآن بلسانهم ومنطقهم وقعوا في التخطب والاضطراب ، ولو استقرينا أهل البدع من المتكلمين وغيرهم وجدناهم من أبناء العجم ممن ليس لهم أصالة في اللسان العربي ولغة العرب ، فغيلان الدمشقي - وهو أول من تكلم بنفى القدر - كان مولى لآل عثمان بن عفان ، والجعد بن درهم الذي أنكر صفات الله الواردة في الكتاب والسنة كان مولى بنى الحكم ، وجهم بن صفوان كان من موالى بنى راسب ، وكذا واصل بن عطاء وعمر بن عبيد وغيرهم .

قال الحسن البصرى عن مثل هؤلاء : «إنما أهلكتهم العجمة ، يتأولونه على غير تأويله»<sup>(١)</sup> .

وقال الإمام الشافعي : «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس»<sup>(٢)</sup> .

## ٣ - اتباع الهوى :

نهى الله - سبحانه وتعالى - عن اتباع الهوى ، وهو ليس سبيل المؤمنين بل هو سبيل المشركين وطريقهم ، لهذا قال الله - تعالى - فيهم ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) صرون المنطق ص ٢٢ .

(٢) صرون المنطق ص ١٥ .

(٣) الجاثية : ٢٣ .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

وقد كان السلف يسمون أهل البدع والآراء المخالفة للكتاب والسنة بأهل الأهواء؛ لأنهم تركوا الكتاب والسنة ولم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها والتعويل عليها ، حتى يصدروا عنها ، بل قدموا أهواءهم واعتمدوا على آرائهم ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظور فيها ، فما وافق عقولهم أخذوا به ، وما لم يوافق عقولهم تأولوه بتأويلات فاسدة وأساءوا الظن بما صح عن النبي ﷺ وحسنوا ظنهم بآرائهم الفاسدة .

### ٤ - ظهور الجدل في الدين :

نهى النبي ﷺ عن الجدل في الدين وحذر منه ، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجِدَالَ » ثُمَّ تَلَا : « مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جِدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ » (١) .

ولقد امثل الصحابة والسلف أمر النبي ﷺ فلم يتماروا في الدين ولم يجادلوا ، وحذروا المسلمين من المراء والجدال وأمروهم بالأخذ بالسنة ، ولكن لما بعد العهد وافترت الأمة انفتح باب الجدل ، فقام السلف بتحذير المسلمين من الجدل والخصومات في الدين ، قال الإمام أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة رحمهما الله :

«الخصومة في الدين بدعة . . . لو كانت فضلاً لسبق إليها أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم ، فهم كانوا عليها أقوى ولها أبحر ، قال الله تعالى : « فَإِنْ حَاجَّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ » (٢) ولم يأمره بالجدال» (٣) .

### ثانياً : المؤثرات الخارجية :

ويقصد بالمؤثرات الخارجية المؤثرات النابعة من خارج المجتمع الإسلامي ،

(١) الزخرف : ٥٨ .

(٢) أخرجه الترمذي برقم ٣٢٥٠ وأحمد في المسند ٢٥٢

(٣) آل عمران : ٢٠ .

(٤) الفتاوى ١٦ / ٤٧٥

كالنصارى واليهود ، فإن سوسن النصرانى أثر على معبد الجهنى حتى قال بنفى القدر وتبعه أصحاب فقيل عنهم : فرقة القدرية .

وكذا اليهود أثروا على الجعد بن درهم حتى قال بنفى الصفات الإلهية وتبعه جهم بن صفوان فقيل عنهم فرقة الجعدية أو الجهمية .

وتأثرت الشيعة بأفكار عبد الله بن سبأ اليهودى ، فهو أول من دعا إلى فكرة القداسة التى نسبت إلى على ، وكذا القول بالرجعة والبده والطعن فى الصحابة وغير ذلك ، ويعترف بهذا كبار علماء الشيعة المتقدمين كالقمى<sup>(١)</sup> والنوبختى<sup>(٢)</sup> والكشى<sup>(٣)</sup> .

هذا والله أسأل العصمة من الخطأ وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

\* \* \*

(١) المقالات والفرق ص ٢٠ .

(٢) فرق الشيعة : ٤٤

(٣) رجال الكشى : ص ٩٨ ، ٩٩ .

## المبحث الثاني

### منهج الماتريدية في العقيدة

مقدمة :

إن من رحمة الله تعالى بخلقه ، وحكمته في صنعه ، أن جعل في كل شيء من هذا الكون أدلة واضحة ، وبراهين ساطعة على وحدانيته وخلقته وقدرته ، كما قال تعالى : ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (٢)

وكما قال تعالى : ﴿وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون . وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ (٣)

ولله در الشاعر إذ قال :

|                         |                    |
|-------------------------|--------------------|
| فواعبجاً كيف يعصى الإله | أم كيف يجحد الجاحد |
| ولله في كل تحريكة       | وتسكينة أبداً شاهد |
| وفى كل شيء له آية       | تدل على أنه الواحد |

فكل شيء في السماء والأرض ، وفي أنفسنا ، كل شيء ناطق بوجود الخالق الحق - سبحانه وتعالى - وقدرته ووجدانيته ، ولو أن الناس تركوا دونها مؤثرات خارجية لانشئوا كلهم على الإسلام ، إذ هو الفطرة الصحيحة ، كما قال تعالى : ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾ (٤) . والإنسان عندما يتأمل في هذا الخلق من

(٢) فصلت : ٥٣

(٤) الروم : ٣٠

(١) الأعراف : ١٨٥

(٣) الذاريات : ٢٠-٢٢

حواله يتوصل إلى وجود الخالق ضرورة كما سئل أعرابي : كيف عرفت ربك ؟ قال : البعرة تدل على البعير وأثر السير يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، أفلا تدل على اللطيف الخبير ؟ فالإنسان لولا ما يحيط به من مؤثرات ما ضل أحد عن هذه الفطرة الصحيحة ، كما قال النبي ﷺ : «ما من مؤلود إلا يؤلّد على الفطرة ، وأبواه يهودانه أو ينصرّانه أو يمجسانه ..»<sup>(١)</sup> وكما في الحديث القدسي الصحيح : «وإني خلقت عبادي حنفاءً كلهم ، وإنهم اتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ..»<sup>(٢)</sup> .

فالإنسان ليس بحاجة إلى قواعد علم الكلام ، وإلى استدلالات الفلاسفة والنظار وغيرهم حتى يتوصل إلى الإقرار بوجود الله تعالى ، فإن هذا لشيء جبلت عليه النفوس ، وفطرت عليه العقول .

ولكن قد ضلت في هذا الباب طوائف ، فلم يأتوا الأمر من بابه ، ولم يعقلوا عن الله تعالى في كتابه ، وظنوا أن الإنسان لا يتوصل إلى معرفة ربه وخالقه إلا بسلوك طريق الفلاسفة والمتكلمين ومن يسمون بالنظار ، فابتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله ، وقلدوا الفلاسفة من الكفار ومدعى الإسلام وفتحوا على الدين أبواب شر ما أغلقت إلى يومنا هذا ، فضلوا ضلالاً مبيئاً ، نفوا عن الله مراده من وصفه نفسه ، وتأولوا كل ذلك ، وأعملوا عقولهم حيث ما كان ينبغي أن تعمل ، لأن لها حداً لا تتجاوزه ، فإذا كانت العقول عاجزة عن إدراك كنه الله - تعالى - فهي عاجزة كذلك عن إدراك كيفية صفاته ، ولم يكتب هؤلاء بما اكتفى به السلف الأوائل من إثبات الصفات كما أثبتها الله تعالى ورسوله ﷺ ، دون أن يشبهوا أو يعطلوا أو يؤولوا ، فاعتقدوا لسقيم عقولهم أن الإثبات يقتضى التشبيه والتمثيل ، وأن التنزيه يقتضى

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي (٢١٩/٣) (١٣٥٩) ومسلم ، كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٢٠٤٧/٤) ح (١٣٥٩) كلاهما من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة .  
(٢) أخرجه مسلم (٢١٩٧/٤) ح (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه مرفوعاً كتاب الجنة باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار .

التعطيل والتأويل ، فعملوا معانى الصفات ، فألحدوا فيها ، فكم ضلوا وأضلوا ، وكم من فارغ القلب قد أغووه وفتنوه ! وكم من جاهل مفتون قد أضلوه ! .

وهكذا ضلوا فى أول الأمر حيث أوجبوا على الإنسان أن يعرف ربه بعلم الكلام ولم يجوزوا التوصل إلى معرفة الخالق والاستدلال عليه بمجرد النظر فى الآيات الكونية ، ثم ضلوا فى باب الصفات وغيره من أبواب العقيدة ، قدموا العقل على النقل وعلى كتاب الله - تعالى - وسنة نبيه ﷺ ، فلهثوا وراء عقولهم ، إن وافقها النقل قبلوه ، وإن بدا أنه يخالفها ردوه وأولوه ، وما دروا أن صحيح النقل لا يتعارض أبداً مع صريح العقل ، وإنما أتى هؤلاء من قبل عقولهم السقيمة ، وزعموا أن الأدلة العقلية قطعية ، والأدلة النقلية ظنية ، فكم ردوا من النصوص ! وكم أولوا وعطلوا ! وكم حرفوا وألحدوا ! استحوذت عليهم الشياطين فهم ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١) .

وهكذا عاشوا فى حيرة وشك واضطراب حتى قال قائلهم :

نهاية إقدام العقول عقال      وغاية سعى العالمين ضلال  
وأرواحنا فى وحشة من جسمنا      وغاية دنيانا أذى ووبال  
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا      سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

أما سلف هذه الأمة الصالحون رضي الله عنهم ، فإن قلوبهم ركنت إلى نصوص الشرع المطهر ، واطمأنت إليها ، فعملوا عن الله مراده ، وسلكوا الطريق السوى المستقيم ، واستسلموا للوحى المعصوم ، وركنوا إلى ركن ركين ، وإلى حصن متين ، ففهموا النصوص ، وتمسكوا بما دلت عليه واعتصموا بهديها ، فلم يحرفوا ولم يؤولوا ، ولم يلهثوا وراء عقول البشر التى قد تخطى وتصيب ، وكانوا أماناً فى الدعوى إلى الكتاب والسنة علماً وعملاً .

ومن الفرق الكلامية التى ضلت فى هذا الباب «الماتريدية» وقد هالنى ادعاء بعضهم أن أهل السنة والجماعة<sup>(١)</sup> هم الأشعرية والماتريدية ورموا السلف بالتجسيم والتشبيه<sup>(٢)</sup>.

هذا وإن سلف هذه الأمة لما أثبتوا لله - تعالى - ما وصف به نفسه ، وما وصفه به رسوله ﷺ ، إنما كانوا قائلين بما قال الله به ، ساكتين عما سكت الله عنه ، وهل يخطئ من وقف عند حدود القرآن إذا صح قولهم بأن مثبت اليبدين مجسم فإن الذى أثبت اليبدين هو الله تعالى ، ولو جاز قولهم بأن مثبت الاستواء مُشَبَّه ، فليعلموا أن مثبت الاستواء هو الله تعالى ، فهل يجرؤ مسلم على اتهام القرآن أو السنة المطهرة بالتشبيه والتجسيم ؟ إن راعم التجسيم والتشبيه فى إثبات الصفات على ما ثبتت به هو جاهل ضال ، ألا ترى أن الله تعالى لما أثبت لنفسه فى كتابه صفات أراد من خلقه أن يقولوا بما قال به سبحانه ، وأن يسكتوا عما سكت عنه ، وإذا كان ما ذهب إليه هؤلاء حقاً فما الذى منع القرآن أن يصرح بهذه المعانى ، وإنما يعبر الإنسان بلفظ يحتمل معنيين : معنى حقيقياً ومعنى مجازياً ، ويريد المجازى إذا كان يقصد التلبيس على السامع ، أو للخوف من التصريح بالمعنى المراد ، أو للتعجز عن التعبير بلفظه الأصيل ، وهذه كلها متنفية ومستحيلة فى حق القرآن كما ترى ، والذى يدعى وجود ذلك فى آيات الصفات الواردة فى القرآن ، إنما هو مفتري على الله تعالى وعلى كتابه وكلامه ، وقد قال نعيم بن حماد شيخ الإمام البخارى - رحمهما الله تعالى - : «من شبه الله بخلقه كفر ، ومن نفى عن الله ما وصف به نفسه كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه تشبيه» .

(١) شرح الإحياء للزبيدي (٢/٢ - ٣ ، ٦) الروضة البهية ص ٣ مقدمة الكوثرى لتبين كذب المفتري ص ١٩ ، مقدمة إشارات المرام ص ٧ ، معارف السنن للنبورى (٤/١٤٣) ، حاشية الكنتلى على شرح العقائد النسفية ص ١٧ ، حاشية الحياى على شرح العقائد النسفية ص ٢٢١ ، رد للمحار (١/٤٩) .  
(٢) انظر كتاب التوحيد للماتريدى ص ٢٣ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ٣١٨ ، ٣٣٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٣٩٦ ، تأويلات أهل السنة للماتريدى (١/٨٣) ، أصول الدين لآبى اليسر البزدوى ص ٢٨ ، ٧٨ ، ٢٥٣ ، شرح العقائد النسفية ص ٤١ ، ١٣٩ ، شرح الإحياء للزبيدي ١١/٢ ، ٥٨ ، ١٠٥ .

هذا وإن حقيقة التشبيه والتجسيم هى أن تثبت الصفة لله على الوجه والكيفية المألوفة من البشر ، وهذا لعمر الله ما قال به أحد من السلف الصالح - رضوان الله عليهم - بل السلف إنما يثبتون الصفة كما أثبتها الله تعالى وعلى المعنى اللائق به - عز وجل - دونما تكييف ولا تمثيل ، فالله تعالى لم يحدد لنا الكيفية فلا يجوز أن نتكلم فيها ، إذ هى من المغيبات التى لا تعرف بالعقل ، فإننا نعتقد عدم المشابهة بين الله وخلقه ، كيف لا وقد قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١) فأين التمثيل والتجسيم فى مثل هذا الكلام ؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (٢).

هذا مع العلم أنا نظرنا فلم نر الصحابة بشرى بعلم الكلام ولا دعوا إليه ، ولا تابعوهم مع من تبعهم ، بل ورد عن الكثير من الأئمة النهى عن تعاطى علم الكلام والتحذير منه ، ولم نر من يجمع بين اليقين الحق وبين علم الكلام ، وهل يمكن موعظة الناس بعلم الكلام ؟ وهل يؤثر فى قلوب العوام والسذج ؟ بالطبع لا .

بل إن علم الكلام قرين للشك والارتباب . والحيرة والاضطراب ، فهل سائلنا ربنا يوم القيامة عن عقائد النسفية ، أو (المواقف) للإيجى ، أو (التوحيد) للماتريدى ؟ حاشا لله ، بل إن بعضهم كان آخر كلامه كان عند موته على اعتقاد العجائز ، إن الله سائلنا عن اتباعنا لنيبه ﷺ وأصحابه من بعده وتابعيهم ، وما علمنا هم أبداً أصحاب كلام ولا مدحوه ولا قرظوا أهله ولا زكوهم أبداً ، بل الثابت عنهم عكس ذلك .

من هنا وجدت لزماً على أن أجمع عقيدة الماتريدية فى كتاب صغير سهل على القارئ العادى الإلمام بعقائدهم ليكون منها على حذر ، وذلك مع تنبيه أهلها ليرجعوا عن غيهم وضلالهم ، وأتبع ذلك بإشارة لطيفة موجزة لمعتقد أهل السنة فى كل باب حتى يعرف المسلم مواقع قدميه .

وقد قسمت الموضوع إلى بحثين :

الأول : فى بيان منهج أبى منصور الماتريدى وأتباعه فى الاستدلال والتلقى .

الثانى : فى بيان عقائد الماتريدية على سبيل الإجمال .

والله أسأل أن ينفع به المسلمين وأن يجعله فى ميزان أعمالنا ، وهو حسبنا ونعم

الوكيل .

\* \* \*

## المبحث الأول

### بيان منهج أبي منصور واتباعه في الاستدلال والتلقى

#### ( أ ) مصدر التلقى عند الماتريدية :

ترى الماتريدية أن مصدر التلقى الأول في معظم أبواب التوحيد هو العقل دون النقل<sup>(١)</sup> وذلك لأن الأدلة العقلية عندهم قطعية<sup>(٢)</sup> أما السمعية فإنما هي ظواهر ظنية<sup>(٣)</sup> .  
وأما إذا حدث تعارض بين أدلة عقلية وسمعية فإنهم يقدمون الأدلة العقلية لأنها قطعية ، وأما الأدلة السمعية فإن مصيرها التأويل أو التفويض لأنها بزعمهم ظنية<sup>(٤)</sup> .  
فلقد ساق الزبيدي نصوص صفى الاستواء والتزول ، وسماها «الظواهر» مقتناً قانوناً كلياً في إبطال تلك الصفات وتأويل نصوصها وتقديم العقل عليها ، قال في الجواب عنها : «وأجيب عنه بجواب إجمالى ، هو كالمقدمة للأجوبة التفصيلية : وهو أن الشرع إنما ثبت بالعقل ... فلو أتى الشرع بما يكذب العقل وهو شاهده لبطل الشرع والعقل معاً ، إذا تقرر هذا فنقول : كل لفظ يرد في الشرع ... وهو مخالف للعقل ... إما أن يتواتر أو ينقل أحاداً ، والأحاد إن كان نصاً لا يحتمل التأويل قطعنا باقتراء ناقله أو سهوه أو غلظه ، وإن كان ظاهراً فظاهره غير مراد ... وإن كان متواتراً فلا يتصور نص لا يحتمل التأويل بل لا بد أن يكون ظاهراً ...»<sup>(٥)</sup> .

(١) قسمت الماتريدية أصول الدين بحسب مصدر التلقى إلى عقليات وسمعيات ، فما سموه عقليات فمصدر التلقى عندهم هو العقل ، والعقل أصل والنقل تابع معارض له ، وهذا جار في معظم أبواب التوحيد والصفات .  
وما سموه سمعيات فمصدر التلقى عندهم هو النقل والعقل تبعاً له كمداب القبر والصراف والميزان وأحوال الآخرة . انظر على سبيل المثال أحد كتبهم وهو المسامرة مع شرحها المسامرة ، فمن أول الكتاب إلى ص ٢٤٩ عقليات ثم بعد ذلك سمعيات . وانظر العقائد النسفية مع شرحها للفتاوى من أول الكتاب إلى ص ٩٨ عقليات ثم بعد ذلك سمعيات .  
(٢) انظر إشارات المرام ص ١٨٩ - ١٩٩ وشرح العقائد النسفية ص ٥ ، ٤٢ ، ونشر الطوابع ص ٢٢٨ ، وشرح الموقف (٢٤/٨) .

(٣) انظر حاشية عبد الحكيم على الخيالى ص ١٨٤ مع المصادر المذكورة في الفقرة السابقة .

(٤) إشارات المرام ص ١٩٩ وشرح العقائد النسفية ص ٤٢ ونشر الطوابع ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ والمسامرة ص ٣٣ ، ٣٥ .

(٥) شرح الأحياء للزبيدي الحنفى الماتريدى ص (١٠٥/٢ ، ١٠٦) وانظر أصل هذا القانون الكلى في تبصرة الأدلة ص ٥٤ ، وراجع أيضاً شرح المقاصد للفتاوى (٥٠/٢) ، الطبعة التركية وانظر شرح المواضع للجرجاني ص (٥٦/٢) ،  
(٥٧)

والقاعدة عندهم أن كل نص إذا أخبر به الصادق وهو أمر ممكن ولم يكن مخالفاً فلا يؤول كالبعث والسنن ونعيم الجنة وعذاب النار ، أما إذا كان النص دالاً على أمر محال مخالف للعقل فلا بد من تأويله كعلو الله تعالى واستوائه على عرشه ونزوله إلى سماء الدنيا فى ثلث الليل الآخر<sup>(١)</sup> ويقولون : إن النصوص إذا كانت خلاف العقل فإن كانت متواترة فهى وإن كانت قطعية الثبوت لكنها ظنية الدلالة ، فالعقل مقدم عليها فلذلك الأدلة العقلية تؤول أو تُفَوَّضُ .

أما الأدلة العقلية فلا تأويل لها بل تأويلها محال<sup>(٢)</sup> .

وقد ساق التفازانى عدة آيات الصفات ، ثم ذكر قانوناً كلياً فى الجواب عنها ، فقال : «الجواب : أنها ظنيات سمعية فى معارضة قطعيات عقلية ، فيقطع بأنها ليست على ظاهرها ، ويفوض العلم بمعانيها إلى الله ، مع اعتقاد حقيقتها ، جرياً على الطريق الأسلم ، . . . ، أو تؤول تأويلات مناسبة موافقة لما عليه الأدلة العقلية على ما ذكر فى كتب التفسير ، وشروح الأحاديث ، سلوكاً للطريق الأحكم»<sup>(٣)</sup> .

فالحاصل أن منهج الماتريدية فى نصوص الوحي منهج فاسد باطل لأنه صريح فى أن العقل أصل والشرع فرع ؛ لأن نصوص الشرع إذا كانت مخالفة لعقولهم فهم إما أن يردوها أو يؤولوها أو يفوضوها ، لذلك أولوا نصوص كثير من الصفات وأبقوا نصوص المعاد على ظواهرها ، فلو كانت نصوص المعاد عندهم مخالفة لعقولهم لأولوها ، وهذا كما ترى انحراف عن الطريق المستقيم .

فالواجب على كل مسلم أن يجعل ما قال الله ورسوله هو الأصل والعمدة ، فيسلم بنصوصهما وينقاد لهما ولا يعترض عليهما ولا يعارضهما برأيه ومعقوله وقياسه .

(١) انظر التبراس فى شرح العقائد السنية ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٢) انظر شرح العقائد السنية ص ٥ ، ٤٢ ، وشرح المواقف (٢٤/٨ ، ١١٠ ، ١١١) وإشارات المرام ص ١٨٩ - ١٩٩ وشرح الإحياء (١٠٥/٢ ، ١٠٦) ، ونشر الطوالع ص ٢٣٨ .

(٣) شرح المقاصد ٥٠/٢ ط القديمة الحجرية الهندية .

\* قال الطحاوى : فى بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبى حنيفة وصاحبيه : «ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام»<sup>(١)</sup> .

\* وقال أبو المظفر السمعانى : «اعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل ، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول ، وأما أهل السنة ، قالوا : الأصل فى الدين الاتباع ، والمعقول تبع ، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء - صلوات الله عليهم - ولبطل معنى الأمر والنهى ، ولقال من شاء ما شاء ، ولو كان الدين بنى على المعقول وجب ألا يجوز للمؤمنين أن يقبلوا أشياء حتى يعقلوا»<sup>(٢)</sup> .

\* وقال الشاطبى : «إن الشريعة بينت أن حكم الله على العباد لا يكون إلا بما شرع فى دينه على السنة أنبيائه ورسله ، ولذلك قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾<sup>(٣)</sup> .

وقال : ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقال : ﴿إِن الْحُكْمُ لِلَّهِ﴾<sup>(٥)</sup> .

وأشبه ذلك من الآيات والأحاديث ، فخرجت عن هذا الأصل فرقة زعمت أن العقل له مجال فى التشريع وأنه محسنٌ ومقبح فابتدعوا فى دين الله ما ليس فيه»<sup>(٦)</sup> .

(١) شرح العقيدة الطحاوية بتعليق الألبانى ص ٢٧ .

(٢) صون المطلق ص ١٨٢ عن السمعانى .

(٣) الإسراء : ١٥ .

(٤) النساء : ٥٩ .

(٥) الأنعام : ٥٧ .

(٦) الاعتصام (٤٥/١) .

\* وقال ابن أبي العز : «وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إبليس، حيث لم يسلم لأمر ربه بل قال : «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى : «وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا»<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى : «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى : «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»<sup>(٤)</sup>.

أقسم سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا نبيه ويرضوا بحكمه ويسلموا تسليمًا<sup>(٥)</sup>.

لكن ليس معنى ذلك أن السلف يرفضون العقل ويهملونه بل يعملونه في عالم الشهادة لا في عالم الغيب إلا على سبيل الإجمال دون التفصيل، ولا يشتون بالعقل حكمًا شرعيًا فعندهم للعقل مع الشرع ثلاث حالات :

**الأولى :** أن يدل على ما دل عليه الشرع فيكون شاهدًا أو مؤيدًا ومصدقًا فيحتجون حينئذ بدلالة العقل على من خالف الشرع، وفي القرآن من هذا النوع أي من الأدلة العقلية شيء كثير كأدلة التوحيد والنبوة والمعاد فتلك الأدلة هي عقلية شرعية.

\* قال ابن تيمية : «إن كثيرًا مما دل عليه السمع يعلم بالعقل أيضًا والقرآن يبين ما يستدل به العقل ويرشد إليه وينبه عليه كما ذكر الله ذلك في غير موضع .

فإنه - سبحانه وتعالى - بين من الآيات الدالة عليه وعلى وحدانيته وقدرته وعلمه وغير ذلك مما أرشد العباد إليه ودلهم عليه كما بين أيضًا ما دل على نبوة أنبيائه

(٣) آل عمران : ٣١ .

(٢) النساء : ٨٠ .

(١) الأعراف : ١٢ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٠ ، ١٩١ .

(٤) النساء : ٦٥ .

وما دل على المعاد وإمكانه فهذه المطالب هي شرعية من جهتين :

\* من جهة أن الشارع أخبر بها .

\* ومن جهة أنه بين الأدلة العقلية التي يستدل بها عليهما والأمثال المضروبة في القرآن هي أقيسة عقلية وقد بسط في غير موضع ، وهي أيضاً عقلية من جهة أن تعلم بالعقل أيضاً<sup>(١)</sup> .

الحالة الثانية : أن لا يدل على ما دل عليه الشرع لا نفياً ولا إثباتاً ، فحكم العقل إذا جوار ما جاء به الشرع .

والحالة الثالثة : أن يدل العقل على خلاف ما جاء به الشرع فيكون معارضاً له فهذا ما لا يكون مع صحة النقل ، ولهذا قال أهل السنة : إن العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح وقالوا : إن الرسل جاءوا بمحارات العقول لا بمحالات العقول ، أى أن الرسل لا يخبرون بما يحيله العقل ولكن يخبرون بما يجيزه العقل ويحار فيه وهذا تحديد موقف أهل السنة من العقل مع الشرع .

### (ب) حكم تأويل النقل :

لقد خالف الماتريدية جماهير السلف الصالح فقالوا بالتفويض تارة تفويضاً مطلقاً بل صرح أبو منصور الماتريدي أن آيات الصفات كالحروف المقطعة مثل الم ، المص وفي هذا يقول : «في الحقيقة إنها تحتمل وجوهاً :

أحدها : أن نَصِفَهُ بالذي جاء به التنزيل على ما جاء ونعلم أنه لا يشبه على ما ذكر من الفعل فيه بغيره ، . . . وإذا بطل هذا بطل التشابه وانتفى ، ولزم أمر السمع والتنزيل على ما أراد الله<sup>(٢)</sup> .

ويرى أنه يمتحن المرء بالوقوف حول نصوص الصفات كما يمتحن بالوقوف حول الحروف المقطعة<sup>(٣)</sup> .

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ص ١ بعد ص ٨٨) .

(٢) تأويلات أهل السنة (١/ ٨٤) ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة .

(٣) كتاب التوحيد للماتريدي ص ٧٤ ، ٧٥ .

ويقول : وأما الأصل عندنا فى ذلك أن الله تعالى قال : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(١)</sup> فيجب القول بالرحمن على العرش استوى على ما جاء به التنزيل وثبت ذلك فى العقل . . . وتؤمن بما أراد الله به وكذلك فى كل أمر ثبت التنزيل فيه نحو الرؤية وغير ذلك ، يجب نفى الشبهة عنه والإيمان بما أراده من غير تحقيق على شىء دون شىء<sup>(٢)</sup> .

وتارة يقول بالتأويل : وفى هذا يقول أبو منصور الماتريدى : «والثانى أن يمكن فيه معان تخرج الكلام مخرج الاختصار والاكتفاء بمواضع إفهام فى تلك المواضع على إتمام البيان ، وذلك نحو قوله : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾<sup>(٣)</sup> أى بالملك . وذلك كقوله : ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾<sup>(٤)</sup> . . . أى بربك ﴿فَقَاتِلَا﴾ إذ معلوم أنه يقاتل بربه فهفهم منه ذلك . . . . .»<sup>(٥)</sup> .

ويقول : «قد يفهم من الشاهد من (على) ومن (العرش) ومن (الاستواء) معانٍ مختلفة، لم يجز صرف ذلك إلى أوحش وجه وثمة لأحسن ذلك مساغ»<sup>(٦)</sup> .  
ويعنى بأوحش الوجوه ما تدل عليه النصوص من إثبات صفة الاستواء ، فالإثبات من أوحش الوجوه عند هذا الماتريدى ، لأن ذلك يستلزم التشبيه والله منزّه عن ذلك .

لذا يرى صرف تلك النصوص بنوع من التأويل والمجاز إلى أحسن الوجوه - وهو فى الحقيقة تحريف ومن أقيح الوجوه - وقد طبق الماتريدى منهجه هذا فقد أوّل نصوصاً من الصفات إلى معان توافق قاعدته ، فأوّل صفة الاستواء إلى الاستيلاء

(٢) كتاب التوحيد للماتريدى ص ٧٤ .

(٤) المائدة : ٢٤

(٦) كتاب التوحيد للماتريدى ص ٧٤ .

(١) الشورى : ١١ .

(٣) الفجر : ٢٢ .

(٥) تأويلات أهل السنة (١/ ٨٤)

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

والتمام<sup>(١)</sup> والعلو إلى علو المرتبة وعلوه عن الأمكنة وتعالیه عن الحاجة وتعالیه عن أن يخفى عليه شيء<sup>(٢)</sup> .

ويرد استدلال أئمة السلف بتصوص الاستواء ويرفع الأيدي إلى السماء وقت الدعاء ويحرفه إلى أن المراد في رفع الأيدي إلى السماء أن السماء قبلة للدعاء تبعداً كتوجه المصلی إلى الكعبة وقت الصلاة<sup>(٣)</sup> .

ومن هنا علم علماء يقيناً أن أبا منصور الماتريدي لم يلتق مع أئمة السلف في رفضهم للتأويل مما يؤكد عدم توافقه معهم .

فالسلف الصالح لم يؤولوا هذه النصوص ، بل أثبتوها وأقروها كما جاءت ، وأثبتوا لها المعاني الحقيقية التي دلت عليها ، ولم يصرفوها عن هذه المعاني بتعطيل ولا بتأويل ، بل أثبتوا المعاني الحقيقية ، ولكنهم إنما فوضوا علم الكيفية لله تعالى ، إذ أثبتت النصوص صفات وأفعالاً غير أنها لم تتحدث عن الكيفية ، فالسلف يشتون ما أثبتته الله ، ويسكتون عما سكت الله عنه وهذا هو الصواب ، ولكن السلف عندهم التأويل على معانٍ :

١ - التفسير وبيان معنى الشيء كما يقول الطبري : «القول في تأويل هذه الآية» .

٢ - الحقيقة التي يصير إليها الشيء وعاقبة الشيء كما قال تعالى : «هذا تأويل رؤيائى من قبل»<sup>(٤)</sup> .

وقال : «يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ»<sup>(٥)</sup> وقال : «ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا»<sup>(٦)</sup> .

(١) كتاب التوحيد للماتريدي ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ .

(٢) كتاب التوحيد ص ٧٠ ، ٧١ .

(٣) كتاب التوحيد ص ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ .

(٤) يوسف : ١٠٠ .

(٥) النساء : ٥٩ ، الإسراء : ٣٥ .

أما تأويل من أولّ النصوص الشرعية على غير ما دلت عليه فهذا مردود عند السلف كما تقدم .

### (ج) علم الكلام بين القبول والرفض :

أولا - موقف السلف من علم الكلام :

يقوم علم الكلام على دعامتين أساسيتين هما اتخاذ العقل أساساً - ومن هنا يوجبون تقديمه على النقل - والجدل .

ومن الطبيعي أن يفرض الأئمة علم الكلام بعد ما عرفوه حيث أدركوا خطورته على الدين وضرره على العقيدة خاصة ، ومن هنا كان السلف ينهون عن الجدل وطلب الدين بالكلام ، ولا بأس أن أذكر نصاً واحداً عن كل منهم .

\* قال أبو حنيفة لأحد أصحابه لما سأله عن العرض قال : «دع مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة»<sup>(١)</sup> .

\* لذا قال محمد بن الحسن : «كان أبو حنيفة يحثنا على الفقه وينهانا عن الكلام»<sup>(٢)</sup> .

\* ويقول في هذا ابن خزيمة : «... أبو حنيفة ومحمد بن الحسن وأبو يوسف . . ينهون عن الخوض فيه - يعنى الكلام - ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة»<sup>(٣)</sup> . وقال الإمام مالك بن أنس : «الكلام فى الدين أكرهه ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه ، نحو الكلام فى رأى جهنم والقدر وكل ما أشبهه ذلك . .»<sup>(٤)</sup> .

\* وقال الشافعى : «لأن يتلى الله المرء بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير من أن يتلىه بالكلام»<sup>(٥)</sup> .

(١) ذم الكلام (ق ١٩٤ - ب) .

(٢) ذم الكلام (ق ٢٣٣ - ب) عن ابن خزيمة .

(٣) ذم الكلام (ق ١٩٩٦ - ب) .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ص ٤١٥ ط دار الكتب الإسلامية .

(٥) مناقب الشافعى لابن أبى حاتم ص ١٨٢ .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

\* وقال البيهقي : «ونحن نتبع أبا حنيفة فإنه إمامنا . . . وإنه كان يُجَوِّزُ تعليمه وتعلمه والتصنيف فيه ، ولكن في آخر عمره امتنع عن المناظرة فيه ونهى أصحابه عن المناظرة فيه»<sup>(١)</sup> .

وقد يتشبث بعض من يشتغل بعلم الكلام من الحنفية في الفرار عن أقوال أبي حنيفة في ذم الكلام ، بأن مراد أبي حنيفة وكل من ذم علم الكلام من السلف هو علم الكلام المذموم الذي كان عليه الجهمية والمعتزلة أما علم الكلام الذي يتحلونه فلا يدخل تحت ذلك الذم لأنه علم كلام محمود<sup>(٢)</sup> :

والجواب عن هذا الإشكال أن علم الكلام كله مذموم ليس فيه حسن وسيئ ، ومثل صاحب هذه الشبهة مثل من قسم البدعة إلى حسنة وسيئة .

والبرهان على ذلك أن علم الكلام الذي ذمه السلف وذموا المشتغلين به ذمًا شديدًا هو علم الكلام الذي من نتيجته وثمرته نفى صفات الله . كالعلو والاستواء والنزول ، والقول بخلق القرآن ، والقول بالكلام النفسى ، والقول بتقديم العقل على النقل ، وهذا كله موجود عند المتكلمين المتأخرين من الماتريدية والأشاعرة أيضًا .

\* قال الإمام أحمد : «لا أحب الكلام في هذا إلا ما كان في كتاب الله أو حديث عن رسول الله ﷺ ، أو الصحابة أو التابعين ، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود»<sup>(٣)</sup> .

\* وقال ابن القيم : «قال شيخنا : والكلام الذى اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه وذم أصحابه والنهى عنه وتجهيل أربابه وتبديعهم وتضليلهم هو هذه الطرق الباطلة التى بنوا عليها نفى الصفات والعلو والاستواء على العرش وجعلوا بها القرآن مخلوقًا ونفوا بها رؤية الله فى الدار الآخرة وتكلمه بالقرآن وتكليمه لعباده ونزوله كل ليلة إلى

(١) أصول الدين للبيهقي ص ٤ .

(٢) انظر شرح العقائد النسفية للفتاوى ص ٧ ، وشرح الإحياء (٥٢/٢ ، ٥٣ ،

(٣) دره تعارض العقل والنقل (١٥٥/٧) .

السماء الدنيا ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده ، فإنهم سلكوا فيه طرقاً غير مستقيمة واستدلوا بقضايا متضمنة بالكذب فلزمهم بها مسائل خالفوا بها نصوص الكتاب والسنة وصريح المعقول<sup>(١)</sup> .

فلا شك أن ما هم عليه داخل في علم الكلام المذموم الذى ذمه السلف .

لذا يقول شيخ الإسلام فى معاصريه من المتكلمين : «وهم فى الحقيقة لا للإسلام نصرؤا ولا للفلاسفة كسروا»<sup>(٢)</sup> .

ويقول فيهم : «يسفستون فى المعقولات ويقرمطون فى السمعيات»<sup>(٣)</sup> .

ثانياً - موقف أبى منصور الماتريدى وأتباعه من علم الكلام :

أما موقف أبى منصور الماتريدى وأتباعه من علم الكلام فهو على خلاف منهج أهل السنة ، فقد توغلوا فى علم الكلام واعتقدوا أنه هو العلم الحق ؛ بل هو أشرف العلوم وأعلها لأنه منج من غياهب الشكوك وظلمات الأوهام<sup>(٤)</sup> .

وإليك شواهد تصدق ما قلناه :

١ - أن الإمام الماتريدى ألف كتاباً فى التوحيد وهو مطبوع متداول ، وكل من نظر فيه عرف أنه كتاب الفلسفة والمنطق والكلام . وهو مكتظ بتعطيل الصفات وتحريف نصوصها ، فهو ليس كتاب توحيد فى الحقيقة بل كتاب تعطيل للنصوص الشرعية . وهو شاهد عدل على ما قلناه .

٢ - أن الإمام أبى منصور الماتريدى ، لأجل توغله فى علم الكلام ألف فى تفسير القرآن كتاباً بعنوان : «تأويلات أهل السنة» والناظر فيه يعرف بسهولة أنه مكتظ بعلم الكلام وتعطيل كثير من الصفات وتحريف نصوصها ، فهو حرى بأن يسمى «تأويلات أهل البدع» لأن تأويل الصفات ليس بمذهب السلف فى شىء .

(١) الصواعق المرسله (٤/ ١٢٦٦ ، ١٢٦٧) .

(٢) شرح حديث النزول ص ١٦٣ ومجموع الفتاوى (٥/ ٣٣ ، ٣٤) وجامع الرسائل (٢/ ٣٣) .

(٣) شرح حديث النزول ص ١٦٩ ومجموع الفتاوى (٣/ ٩) . ودره تعارض العقل والنقل (١/ ٢١٨) والتدمرية ص ١٩ .

(٤) انظر شرح العقائد النسفية للفتنارنى ص ٢ ، ٣ .

٣ - أن هناك جمعاً غفيراً من الماتريدية أفنوا أعمارهم وأنهكوا قواهم في علم الكلام درساً وتديساً أمثال أبي اليسر البزدوى وأبى المعين النسفى ونور الدين الصابونى ونجم الدين النسفى وحافظ الدين النسفى والستفزانى والجرجاني وكمال الدين البياضى وعبد العزيز الفريهارى ، كل هؤلاء يعظمون علم الكلام ويرونه أساساً للدين .

٤ - أنهم أنثوا ويجلسوا علم الكلام فى مقدمات كتبهم وإليك نصاً واحداً على سبيل المثال :

\* قال الستفزانى شارح العقيدة النسفية : «فإن مبنى علم الشرائع والأحكام وأساس قواعد الإسلام هو علم التوحيد والصفات الموسوم (بالكلام) المنجى من غياهب الشكوك وظلمات الأوهام»<sup>(١)</sup> .

ومن هنا علمنا يقيناً أن الماتريدية لم يلتقوا مع السلف فى رفضهم علم الكلام ، بل نجد أنهم توغلوا فى علم الكلام ولم يسلكوا طريقاً غيره ، وهكذا بمقارنة منهج الماتريدى وأتباعه بمنهج السلف وجدنا أن السلف يثبتون ما تدل عليه نصوص الكتاب والسنة ولا يبتعدون عنهما أو يتجاوزونهما برأى أو تأويل ، ولم يعطلوا النصوص أو يهملوها ، بينما يظهر لنا بعد الماتريدى وأتباعه عن منهج السلف حيث جعلوا العقل أصلاً وقدموه على الشرع وصرفوا النصوص الشرعية بتأويلاتهم العقلية المحتملة واتخذوا علم الكلام مطية ذلك .

ومن هنا كان الخلاف بين المنهجين واضحاً وإذا كان الأمر هكذا فى المنهج فماذا عن التطبيق ؟ .

هذا ما سأتناوله فى الفقرة التالية إن شاء الله .

\* \* \*

(١) شرح العقائد النسفية ص ٢ ، ٣

## المبحث الثانى

### بيان عقائد الماتريدية إجمالاً

( أ ) الاستدلال على وجود الله :

سلك أئمة السلف طريقة القرآن الكريم فى الاستدلال على وجود الخالق مستغنين بها عن أدلة المتكلمين من معاصريهم ومناهجهم ، فقد استدلوا بالفطرة السليمة المضطرة بطبعها إلى الإقرار بوجود الله تعالى والاعتراف بالخالق ، وإن طرأ فساد على هذه الفطرة فقد يزول بالتذكير والتعليم والإرشاد ، ومن هنا كانت مهمة الأنبياء والدعاة إلى الله الدعوة والتذكير والإرشاد .

وترتكز دلالة الفطرة عند الأئمة على نوعى الآيات فى الأنفس والآفاق .

قال تعالى : ﴿سُتْرِبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾<sup>(١)</sup>.

فالتفكير فى ملكوت السموات والأرض وفى النفس هو الطريق إلى الاستدلال على الخالق بال مخلوق .

وقال تعالى : ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى : ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى : ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾<sup>(٤)</sup>.

فهذه النصوص الشرعية تثبت العقيدة فى النفوس عن طريق مخاطبة الفطرة ، وبهذا يمكن الاستغناء بها عن الطرق الكلامية الغامضة .

(١) فصلت : ٥٣ .

(٢) الداريات : ٢١ .

(٣) الطارق : ٥-٧ .

(٤) عبس : ٢٤-٢٦ .

هذا ملخص لمنهج السلف للاستدلال على وجود الله .  
 أما أبو منصور الماتريدي فقد استدل على وجود الله بالآتي :

### طريقة الحدوث :

ومن أشهر أدلة المتكلمين فى الاستدلال على الله دليل الحدوث ، وهو إثبات حدوث العالم وذلك أن العالم عندهم جواهر وأعراض ، والجواهر لا تنفك عن الأعراض ، والأعراض حادثة وما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث ، فالعالم إذن حادث .

\* قال أبو منصور الماتريدي : «الأعيان حادثة بشهادة الخبر والحس والعقل . . . فأما الخبر فما ثبت عن الله - تعالى - من وجه يعجز البشر عن دليل مثله لأحد إنه أخبر أنه خالق كل شيء وبديع السموات والأرض وأن له ملك ما فيهن . . . . . وعلم الحس وهو أن كل عين من الأعيان يُحس مُحاط بالضرورة مبنياً<sup>(١)</sup> بالحاجة والقدم هو شرط الغنى لأنه يستغنى بقدمه عن غيره والضرورة والحاجة يُوجبانهُ إلى غيره فلزم به حدوثه . وعلى ذلك طريق علم الاستدلال مع أنه لا يخلو الجسم من حركة أو سكون وليس لهما الاجتماع فيزول من جملة أوقاته نصف الحركة ونصف السكون وكل ذى نصف متناه على أنهما إذ لا يجتمعان فى القدم لزم حدوث أحد الوجهين ويطلانه أن يكون محدثاً فى الأول لزم فى الآخر وفى ذلك حدوث ما لا يخلو عنه . . . ودليل آخر أن العالم لا يخلو من أن يكون قديماً على ما عليه أحواله من اجتماع وتفرق بحركة وسكون وخييت وطيب وحسن وقبيح وزيادة ونقصان وهن حوادث بالحس والعقل ، إذ لا يجوز اجتماع الضدين فثبت التعاقب وفيه الحدوث وجميع الحوادث تحت الكون بعد إن لم تكن فكذلك ما لا يخلو عنها ولا يسبقها أو كان إنشاء عن أصل لا بهذه الصفة أو انتقل إليه باعتبارها فيه فإن كان كذلك ثبت أن هذا العالم حادث»<sup>(٢)</sup> .

(١) قال محقق الكتاب فى الحاشية : غير منقوطة فى الأصل ، ويظهر والله اعلم ان الصواب (متبر) .  
 (٢) كتاب التوحيد ص ١١ - ١٣ بصرف .

فإذا ثبت حدوث الأجسام فالأجسام لا تجتمع ولا تفترق بنفسها ولا هى قادرة على إصلاح ما فسد منها فى حال قوتها وكمالها وإذا كانت الطبايع المتضادة المتنافرة لا تجتمع بنفسها فلا بد من قاهر يقهرها على غير طبعها وهو الله<sup>(١)</sup> .

فيتضح مما سبق أن الماتريدى يستدل على وجود الخالق بحدوث الأجسام المبنى على حدوث الأعراض وهى طريقة عقيمة تقوم على مقدمات غامضة بعيدة إذ لا بد لهم لتحقيق هذه الطريقة من أمور سبعة :

- ١ - إثبات الأعراض .
- ٢ - إثبات لزومها للجسم .
- ٣ - إبطال حوادث لا أول لها .
- ٤ - إلزام حوادث لا نهاية لها .
- ٥ - إثبات الجوهر الفرد .
- ٦ - إلزام كون العرض لا يبقى زمانين .
- ٧ - إثبات تماثل الأجسام<sup>(٢)</sup> :

ومعلوم أن إثبات هذه المقدمات كلها تعتمد على مباحث طويلة وإبطال الشبهات حولها ، ودون ذلك خرط القتاد فكيف يكون مثل هذه المقدمات الخفية الصعبة على الأفهام دليلاً على ما هو أوضح من كل شىء<sup>(٣)</sup> .

فإثبات وجود الله لا يحتاج إلى أمثال هذه المقدمات الخفية البعيدة عن الأفهام بل الله - سبحانه وتعالى - دليل على كل شىء وعلى هذا فطر بنى آدم إذ وجوده أوضح لدى الفطر السليمة من الشمس فى رابعة النهار ، ولنعلم ما قال القائل :

(١) انظر كتاب التوحيد ص ١٧ - ١٩ بتصريف .

(٢) انظر مختصر الصواعق : ١ / ط مكتبة الرياض الحديثة ، وص ١٢٨ ط/ دار الندوة الجديدة .

(٣) راجع مناهج الأدلة لابن رشد ص ١٣٥ - ١٣٧ ، ومفتاح دار السعادة (٢/ ١٩٩ - ٢٠٠) ، ط/ دار الكتب العلمية

## وليس يصح فى الأذهان شىء

إذا احتاج النهار إلى دليل<sup>(١)</sup>

وأعظم ما فى طرقهم من الفساد أن الأدلة التى أقاموها على إثبات وجود الله هى فى الحقيقة أدلة على نفى الله بل على امتناعه<sup>(٢)</sup>.

ومن أعظم ما يدل على فساد هذه الطريقة أنها هى التى نُفيت بها الأفعال الاختيارية ، بل نفت الجهمية عن الله سائر صفاته وهى ثابتة بالسمع والعقل ، فاسماؤه وصفاته حق وكل ما يدل على نفى الحق فهو باطل .

\* قال ابن القيم : «فلزمهم من سلوك هذه الطريقة إنكار كون الرب فاعلا فى الحقيقة وإن سموه فاعلا بالاستهتيم فإنه لا يقوم به عندهم فعل ، وفاعل بلا فعل كقائم بلا قيام ، وضارب بلا ضرب وعالم بلا علم . وضم الجهمية إلى ذلك أنه لو قام به صفة لكان جسمًا ، ولو كان جسمًا لكان حادثًا ، فيلزم من إثبات صفاته إنكار ذاته فعطلوا صفاته وأفعاله»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك يستدل أبو منصور الماتريدى بدليل آخر هو : ما فى هذا العالم من حكم عجيبة ونظام دقيق وتناسق بديع وكل هذا يدل على أن للعالم خالقًا مدبرًا حكيمًا<sup>(٤)</sup>.

ومن هنا يتفق مع السلف فى الاستدلال بالمخلوق على الخالق ويختلف معهم فى الاستدلال بحدوث الأجسام النبىء عن حدوث الأعراض .

## (ب) التوحيد :

ويتناول أنواع التوحيد وأول واجب على المكلف .

(١) مدارج السالكين (٧١/١) ، الصواعق المرسله (١٢٢١/٤) .

(٢) راجع رسالة فى الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل (٣٢/٢) ، وضمن مجموع الفتاوى (٢٣٩/٦) ، والصواعق المرسله (٩٦٢ - ٩٨٨) ، ومختصر الصواعق (١٩٦/١ - ٢٠١) ، ط دار الرياض الحديثة ، ص ١٢٦ - ١٣٠ ، ط دار الندوة الجديدة .

(٣) مختصر الصواعق (١٩٩/١) ، ٢٠٠ .

(٤) انظر كتاب التوحيد ص ٢١ - ٢٣ ، ٢٩ .

## أولاً - أنواع التوحيد :

التوحيد عند السلف معروف بأقسامه الثلاثة : وهى توحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ، وهو أول واجب على المكلف عندهم ، وهذا الكلام مشهور فى كتبهم قاطبة .

أما عند الماتريدية فالتوحيد أنواع ثلاثة :

١ - توحيد فى الذات ، فالله لا قسيم له أى لا يتبعض ولا يتجزأ<sup>(١)</sup> .

٢ - وتوحيد فى الصفات ، فالله لا شبيه له .

٣ - وتوحيد فى الأفعال والصنع ، فالله لا شريك له .

وفى ذلك يقول الملا على قارى : «واحد فى ذاته واحد فى صفاته وخالقي لمصنوعاته»<sup>(٢)</sup> .

\* ويقول البابر تى : «وعبر بعض أصحابنا عن التوحيد فقال : هو نفى الشريك والقسيم والشبيه ، فالله تعالى واحد فى أفعاله لا يشاركه أحد فى إيجاد المصنوعات وواحد فى ذاته لا قسيم له ولا تركيب فيه وواحد فى صفاته لا يشبه الخلق فيها»<sup>(٣)</sup> .

\* ويقول الغنيمى الحنفى : «الواحد صفة سلبية تقال على ثلاثة أنواع :

الأول : الوحدة فى الذات والمراد بها انتفاء الكثرة عن ذاته تعالى بمعنى عدم قبولها الانقسام .

والثانى : الوحدة فى الصفات والمراد بها انتفاء النظير له - تعالى - فى كل صفة من صفاته .

والثالث : الوحدة فى الأفعال والمراد بها انفراده - تعالى - باختراع جميع الكائنات»<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر العقائد السنية مع شرحها للفتاوى ص ٢٩

(٢) ضوء المعانى ص ١٣ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية للبابر تى ص ٢٩ .

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية للغنيمى ص ٤٨ .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

ولا يخفى أن من تدبر فى توحيد الماتريديّة يتبين له ما يلى :

أولاً - أنه لا يوجد عندهم توحيد الألوهية ولا اهتماموا به مع أن توحيد الألوهية هو المقصد الأعلى والهدف الأسمى من خلق الكون وما فيه وإنزال الكتب وإرسال الرسل .

ثانياً - اهتمامهم الكبير بتوحيد الربوبية ، فقد جعلوه هو المقصد الأعلى والغاية العظمى مع أنه أمر فطرى لم يختلف فيه أهل الملل والنحل .

ثالثاً - قصدهم بتوحيد الذات أن الله لا يتجزأ ولا يتبعض بل هو سبحانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد<sup>(١)</sup> .

وهذا حق ، لكنهم أدخلوا فيه نفى كثير من الصفات كالوجه واليدين وأدخلوا فيه نفى علو الله على خلقه واستوائه على عرشه ، فهم يظنون أنه لو ثبت لله هذه الصفات لكان الله مركباً مبعضاً فكلامهم هذا من قبيل كلمة حق أريد بها باطل .

ثانياً - أول واجب على المكلف :

أول واجب على المكلف عند السلف شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

أما الماتريديّة فقالوا : إن أول واجب على المكلف النظر والاستدلال المؤدى إلى المعرفة بالله وأن معرفة الله<sup>(٢)</sup> واجبة بالعقل ولو لم يكن الشرع<sup>(٣)</sup> ، وهم مقلدون فى هذا المعتزلة .

\* يقول القاضى عبد الجبار المعتزلى : «فاعلم أن الدلالة أربعة : حجة العقل ، والكتاب والسنة ، والإجماع ، ومعرفة الله تعالى لا تنال إلا بحجة العقل»<sup>(٤)</sup> . وقال : «إن سألت سائل فقال : ما أول ما أوجب الله عليك ؟ فقل : النظر المؤدى إلى معرفة

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٠) .

(٢) إشارات المرام ص ٨٤ وضوء المعانى ص ٨٩ وشرح العقيدة الطحاوية للبايرتى ص ٣٠ .

(٣) إشارات المرام ص ٥٣ ، نظم الفرائد ص ٣٥ ، شرح الإحياء (٢/ ١٩٠ - ١٩٣) .

(٤) شرح الأصول الخمسة ص ٨٨ .

الله تعالى ، لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا بالمشاهدة فيجب أن نعرفه بالتفكير والنظر<sup>(١)</sup> .

فقولهم : إن أول واجب هو النظر مخالف للصواب فالقرآن ليس فيه أن النظر أول الواجبات ولا فيه إيجاب النظر على كل أحد وإنما فيه أمر العباد<sup>(٢)</sup> . بالنظر في خلق السموات والأرض .

قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

ثم إن النبي ﷺ ، لم يدع أحداً من الخلق إلى النظر ابتداء ولا إلى مجرد إثبات الصانع بل أول ما دلهم إليه الشهادتان<sup>(٤)</sup> . وبذلك أمر أصحابه ، من ذلك قوله لمعاذ لما بعثه إلى اليمن : «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ...»<sup>(٥)</sup> فأول ما يدعى إليه الكافر الشهادتان ، هذا ما اتفق عليه أئمة الدين وعلماء المسلمين .

\* قال ابن المنذر : «أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن كل ما جاء به محمد حق وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف دين الإسلام - وهو بالغ صحيح يعقل - فإنه مسلم ، فإن رجع بعد ذلك فأظهر الكفر كان مرتدًا»<sup>(٦)</sup> .

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٣٩ .

(٢) انظر دره تعارض العقل والنقل (٨/٨) .

(٣) الروم : ٨ .

(٤) انظر دره تعارض العقل والنقل (٦/٨) .

(٥) رواه البخاري

(٦) دره تعارض العقل والنقل (٧/٨) .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

وشهادة أن لا إله إلا الله هي أول واجب في الشرائع ، فكل نبي يقول لقومه : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>(١)</sup> .

وقال عن جميعهم : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾<sup>(٢)</sup> .

### (ج) الصفات :

لقد ضيق الماتريدي وأتباعه دائرة الإثبات وتظاهر بإثبات ثمانى صفات فقط هي : «الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام والتكوين»<sup>(٣)</sup> .

ولكن الحقيقة أنهم لم يثبتوا تلك الصفات الثمانى كلها بل أثبتوا بعضها ونفوا بعضها .

أما صفتا السمع والبصر فعامتهم يثبتونها وبعضهم يرجعهما إلى غيرهما<sup>(٤)</sup> .

وإما إثباتهم<sup>(٥)</sup> لصفة الإرادة فليس كإثبات أبى حنيفة والسلف .

\* قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «وإثبات إرادة كما ذكره لا يعرف بالشرع ولا العقل بل هو مخالف للشرع والعقل ، فإنه ليس فى الكتاب والسنة ما يقتضى أن جميع الكائنات حصلت بإرادة واحدة بالعين تسبق جميع المرادات بما لا نهاية له وكذلك سائر ما ذكره»<sup>(٦)</sup> .

أما صفة الكلام فقد تظاهروا بإثباتها ولكنهم فى الحقيقة من أشد الناس تعطيلاً لها وتحريراً لنصوصها ؛ لأنهم لم يثبتوا لله الكلام الذى دل عليه الدليل من الكتاب

(١) هود : ٦١ .

(٢) إشارات المرام ص ١٠٧ ، ١١٤ .

(٣) كابن الهمام فى المسيرة ص ٦٩ ، إذ أرجعهما إلى صفة العلم .

(٤) قال شارح العقيدة النسفية : «أمر وناء ومخبر يعنى أنه صفة واحد تنكسر بالنسبة إلى الامر والنهى والخبر باختلاف التعلقات كالعلم والقدرة وسائر الصفات فإن كل منها واحدة قديمة والتكرار والحدوث إنما هو فى التعلقات والإضافات ذلك البق بكمال التوحيد» شرح العقائد النسفية ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٥) دره تعارض العقل والنقل (٨/ ٢٨٣) .

والسنة بل أثبتوا لله - سبحانه وتعالى - ما يسمونه بالكلام النفسى الذى لا يسمع وليس بحرف ولا صوت<sup>(١)</sup> .

بل ليس إلا صفة للأخرس فلا يعرف هذا - أى الكلام النفسى - وأول من أحدثه ابن كلاب ثم تبعته الماتريدية والأشعرية<sup>(٢)</sup> أما صفة التكوين فهى عندهم مرجع لجميع صفات الأفعلية المتعدية كالإحياء والإماتة والتخليق ، وهى إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود ، فهم وإن تظاهروا بإثبات هذه الصفة لكنهم فى الحقيقة لا يعتبرونها صفة حقيقية لله تعالى ؛ لأنهم يزعمون أن الصفات الفعلية ليست قائمة بالله فراراً عن حلول الحوادث به<sup>(٣)</sup> .

فالحاصل أن الماتريدية لا يشبتون من الصفات الثبوتية إلا صفة الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والتكوين على اضطراب فى بعضها واختلاف فى بعضها ، أما ما عداها فهم يعطلونها مثل صفة الوجه واليدى والاستواء والتزول والغضب والرضا والمحبة ، والكلام ، والعلو .

فعطلوا صفة الوجه وصرفوا نصوصها إلى الذات<sup>(٤)</sup> والوجود<sup>(٥)</sup> وعطلوا صفة اليدى وصرفوا نصوصها إلى كمال القدرة<sup>(٦)</sup> أو الملك والمنة<sup>(٧)</sup> .

(١) انظر كتاب التوحيد للماتريدى ص ٥٨ ، ٥٩ ، نبصرة الأدلة (١١٨/ب) والبداية من الكافية ص ٦٠ - ٦١ ، العقائد النسفية ص ٥٣ - ٥٨ ، وأصول الدين للبزودى ص ٦١ ، وإشارات المرام ص ١٣٨ - ١٣٩ ، وبحر الكلام ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢) انظر المواقف ص ٢٩٣ ، والإنصاف ص ٩٦ - ٩٧ ، والإرشاد ص ١٢٨ - ١٣٧ .

(٣) انظر التمهيد ص ٢٨ ، البداية للصابونى ص ٦٧ - ٧٣ ، شرح العقائد النسفية ص ٥٣ ، ٦٣ ، ٦٩ ، المسيرة ص ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، وإشارات المرام ص ٥٣ ، ٢١٢ ، وشرح الفقه الأكبر للقارى ص ٢٢ ، ٢٥ ، السور اللامع ق ٤٨ ب .

(٤) انظر مدارك التنزيل للنسفى (٦٧٠/٢) ، وتفسير أبى السعود (٢٨/٧) .

(٥) إشارات المرام ص ١٨٩ .

(٦) إشارات المرام ص ١٨٩ .

(٧) بحر الكلام ص ٢٠ .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

وعطلوا صفة الاستواء وصرفوا نصوصها إلى الاستيلاء<sup>(١)</sup> وعطلوا صفة النزول وصرفوا نصوصها إلى اللطف والرحمة<sup>(٢)</sup> .

وعطلوا صفة الغضب وصرفوا نصوصها إلى الانتقام<sup>(٣)</sup> أو إرادة الانتقام<sup>(٤)</sup> .

وعطلوا صفة الرضا وصرفوا نصوصها إلى الثواب<sup>(٥)</sup> ، وعطلوا صفة المحبة وصرفوا نصوصها إلى إرادة الثواب<sup>(٦)</sup> أو الرضا<sup>(٧)</sup> .

وعطلوا صفة الكلام التي هي الحق وأثبتوا لله صفة الكلام النفسى التى هي الباطل<sup>(٨)</sup> وعطلوا صفة العلو ونفوها تماماً وأولوا نصوصها إلى علو الرتبة والمكانة<sup>(٩)</sup> .

وأما منهج السلف فكما هو معروف «إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل» وذلك بمقتضى قوله تعالى : «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» وهذا هو الصراط المستقيم فى باب صفات الله ، إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل مع تفويض الكيفية وإثبات المعنى اللائق بالله كما قال الإمام مالك : «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»<sup>(١٠)</sup> .

(١) انظر كتاب التوحيد للماتريدى ص ٧٢ ، وأصول الدين لليزدى ص ٢٩ ، تحف السادة المتقين (١٠٧/٢ - ١٠٨) .

(٢) شرح المواقيف (٢٥/٨) .

(٣) انظر عمدة القارى (١١٥/٢٥) .

(٤) انظر مدارك التنزيل (٦/١) .

(٥) انظر شرح الفقه الأيسر لأبى الليث السمركندى ص ٣٣ .

(٦) انظر عمدة القارى (٨٤/٢٥ ، ١٥٥) .

(٧) انظر مدارك التنزيل (٢٠٩/١١) .

(٨) انظر كتاب التوحيد للماتريدى ص ٥٨ ، والبداية للصابونى ص ٦٠ ، ٦١ ، إشارات المرام ص ١٣٨ - ١٣٩ ، المسامرة مع المسامرة ص ٨٢ - ٨٣ ، نشر الطوالع ص ٢٥٥ ، ضوء المعالى ص ٢٩ ، أصول الدين لأبى اليسر اليزدى ص ٦١ ، تبصرة الأدلة (١١٨/ب) ، التمهيد ٢٣ - ٢٨ كلاماً لأبى المعين النفسى ، العمدة (١/٧ - ب) ، لحافظ الدين النفسى ، والمقائد النفسية لعمر النفسى مع شرحها للتفتاوانى ٥٣ - ٥٨ ، بحر الكلام ص ٢٩ .

(٩) شرح المواقيف (٢٤/٨ - ٢٥) ، وشرح الفقه الأكبر للقارى ص ١٧١ .

(١٠) الخلية (٦/٣٢٥ ، ٣٢٦) وأخرجه أيضاً الصابونى فى عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٧ - ١٨) وابن عبد البر فى

التمهيد (١٥١/٧) والبيهقى فى الأسماء والصفات ص ٤٠٨ ، وقال الحافظ فى الفتح (٤٠٦/١٣) : «إسناده جيد» .

## ( د ) الإيمان :

مباحث الإيمان من الأمور التى اعترت الآراء حولها قديماً وحديثاً ، والماتريدية لهم موقف من الإيمان وافقوا فى بعض نواحيه أئمة السلف ووافقوا فى البعض الآخر الإمام أبا حنيفة مع مخالفتهم للأئمة الآخرين بينما خالفوا الجميع فى أمور أخرى .

واليك بيان ذلك :

- الموافقات :

اتفقت الماتريدية مع أبى حنيفة فى الأمور الآتية :

أولاً - إخراج العمل عن مسمى الإيمان<sup>(١)</sup> .

ثانياً - عدم زيادة الإيمان ونقصانه<sup>(٢)</sup> .

ثالثاً - تحريم الاستثناء<sup>(٣)</sup> .

واتفقوا مع السلف عموماً فى عدم تكفير صاحب الكبيرة<sup>(٤)</sup> .

- المخالفات :

إن مفهوم الإيمان عند الإمام أبى حنيفة مركب من أمرين : التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، فالإقرار باللسان شطر من الإيمان وداخل فيه بينما هو عند جماهير السلف من أهل الحق تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح وهذا هو الحق

(١) انظر كتاب التوحيد للماتريدى ص ( ٣٣٢ ، ٣٧٣ - ٣٧٧ ) والبدية للصابونى ص ١٥٢ والعقائد النسفية مع شرحها للتفتاوانى ص ١١٩ وأصول الدين لليزدى ص ١٥٣ ، وشرح المقاصد (١٧٦/٥) ، العملة للنسفى ص (١/١٧) .

(٢) انظر أصول الدين لليزدى ص ١٥٣ ، بحر الكلام للنسفى ٤١ - ٥٢ ، البداية من الكفاية ص ١١٥ ، والعقائد النسفية مع شرحها للتفتاوانى ص ١٢٣ - ١٢٨ ، العملة للنسفى ص (١/١٧) .

(٣) انظر كتاب التوحيد للماتريدى ص ٣٨٨ - ٣٩٢ ، والمسيرة ص ٣٨١ - ٣٨٥ ، البحر الرائق (٤٦/٢) ، البداية ص ١٥٥ ، شرح الفقه الأكبر ص ٢٠٨ - ٢١٢ ، بحر الكلام ص ٤٠ .

(٤) انظر كتاب التوحيد ص ( ٣٣٣ - ٣٣٤ ) ، والعقائد النسفية مع شرحها للتفتاوانى ص ( ١٠٦ - ١٠٨ ) ، وبحر الكلام ص ( ٤٣ - ٤٤ ) .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

الذى دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وتضافرت على الدلالة عليه . أما الماتريدى وجمهور أتباعه<sup>(١)</sup> فقد جعلوا الإقرار باللسان خارجاً عن حقيقة الإيمان ، فالإيمان عندهم هو التصديق<sup>(٢)</sup> غير أنهم جعلوا الإقرار شرطاً لإجراء الأحكام الدنيوية فقط<sup>(٣)</sup> . وهذا النوع من الإرجاء الغالى .

### (هـ) القدر :

لم تختلف الماتريدية فى مسائل القدر عن أئمة السلف ، وهذا من حسناتهم التى يشكرون عليها وهم يثبتون أن الخير والشر من الله تعالى وأن كل ما يقع فى الكون بمشيئة الله تعالى وإرادته ، وأن أفعال العباد من خير وشر خلق الله تعالى ، وأن للعباد أفعالاً اختيارية يثابون ويعاقبون عليها ، وأن العبد مختار فى أفعاله التكليفية وله قدرة عليها وليس هو مجبوراً بفعلها فهو يفعل الخير والشر بقدرته التى منحه الله إياها ولا شك أنه فرق بين حركة المرتعش والباطش ، فالأول بدون اختياره والثانى على اختياره وصرحوا بأن أفعال العباد خلق الله وبكسبهم واختيارهم . وقدرتهم وإرادتهم ، ومن أحسن من حرر هذا الموضوع عمر النسفى أحد أئمة الماتريدية وفصله للفتازانى شارحاً لكلامه حيث قال : «والله تعالى خالق لأفعال العباد من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان ، لا كما زعمت المعتزلة أن العبد خالق لأفعاله» .

(١) وإنما قلت : «جمهور أتباع الماتريدى» لأن بعض الماتريدية ذهبوا إلى أن الإيمان هو التصديق والإقرار . صرح بذلك الفتازانى فى شرح المقاصد (١٧٦/٥) الطبعة الجديدة ، وشرح العقائد النسفية ص ١٢٠ ، الطبعة الهندية ، والمرعى فى نشر الطوابع ص ٣٧٤ ، وانظر أيضاً أصول الدين للبيزوى ص ١٤٦ ، والعقائد النسفية ص ١١٩ - ١٢٠ ، والمسيرة مع السامرة ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٢) انظر بحر الكلام ص ٣٨ - ٣٩ ، المسيرة ص ٣٣٠ - ٣٣١ ، والتمهيد لأبى المعين النسفى ص ٢٦/ب ، والبدية للصابونى ص ١١٩ - ١٢٣ ، وشرح المقاصد (١٧٦/٥) ، الطبعة الجديدة ، كلاهما للفتازانى ، ونشر الطوابع ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

(٣) شرح ضوء المعالى ص ١٩ - ٢٠ ، والتمهيد لأبى المعين النسفى ص (٢٦/ب) ، والعمدة للحافظ النسفى ص (١/١٧) ، وشرح العقيدة النسفية ص ١٢١ ، وشرح المقاصد ص (١٧٨/٥ - ١٧٩) الطبعة الجديدة ، كلاهما للفتازانى ، والمسيرة مع السامرة ص ٣٣٤ ، ونشر الطوابع ص ٣٧٤ - ٣٧٥ ، والجوهرة المنيفة ص ٣ ، ومختصر شرح الطحاوية للشيخ يونس الخالص الأقفانى ص ٩ .

وقال : «وهي أفعال العباد كلها بإرادته ومشئته تعالى وتقدس . . . . وحكمه وقضيته أي قضاءه . . . وتقديره وهو تحديد كل مخلوق بحده الذي يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضرر وما يحويه من زمان أو مكان وما يترتب عليه من ثواب أو عقاب» .

وقال : «وللعباد أفعال اختيارية يثابون بها إن كانت طاعة ويعاقبون عليها إن كانت معصية ، لا كما زعمت الجبرية أنه لا فعل للعبد أصلاً وأن حركاته بمنزلة حركات الجمادات لا قدرة عليها ولا قصد ولا اختيار ، وهذا باطل لأننا نفرق بالضرورة بين حركة البطش وحركة الارتعاش ونعلم أن الأول باختياره دون الثاني إلى آخر ما قالاه<sup>(١)</sup> .

### (و) النبوات :

يظهر للباحث في كتب الماتريدية أن مذهبهم في النبوة : أنها ليست راجعة للمشيئة المحضة حتى يكون إرسال الرسل وعدمه سواء بل راجع أيضاً إلى حكمة الله تعالى فأرسال الرسل لا يخلو من حكمة الله ومصالح للعباد وسد لحوائجهم<sup>(٢)</sup> خلافاً للأشاعرة .

وطرق إثبات<sup>(٣)</sup> نبوة محمد ﷺ عندهم بالأمور الآتية :

الأول - ما تواتر من أحوال النبي ﷺ ، الشخصية والخلقية والخلقية وسيرته وأمانته وصدقه وشجاعته وجوده وكرمه ونحوها قبل البعثة وبعدها وتركه متاع الدنيا مع اقتداره عليه .

(١) العقائد النسفية مع شرحها للفتاوانى ص ٧٥ - ٨٣ ، وانظر كتاب التوحيد للماتريدي ص ٢١٥ ، ٣١٤ ، والمسيرة ص ١١٩ ، النبراس ص ٢٧٦ .

(٢) العقائد النسفية مع شرحها للفتاوانى ص (١٣٢ - ١٣٣) .

(٣) انظر العقائد النسفية مع شرحها ص ١٣٤ - ١٣٧ ، والتوحيد للماتريدي ص ٣٠٢ - ٣٠٣ والبداية للصابوني ص ٨٩ - ٩٣ .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

الثاني : أنه نقل عنه معجزات كثيرة مثل شق القمر ومكالمة الحيوانات ونبوع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام والشراب القليل ونحوه ، وجنس الواقع من ذلك قد بلغ حد التواتر وتفصيل ذلك مذكور في كتب السير .

الثالث : أنه أتى بالقرآن والقرآن معجز مع أنه كان أمياً لم يكتب ولم يقرأ وكان من قوم لا كتاب لهم وتحدى به البلغاء مع كمال بلاغتهم فعجزوا عن معارضته بأقصر سورة كما قال تعالى : ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١) .

أظهر الله دينه على الدين كله فهذا يدل دلالة قاطعة على كونه نبياً ، هذا فيما يتصل بطرق النبوة .

وفيما يتعلق بعصمة الأنبياء نجد أن بعض الماتريدية من مشايخ سمرقند قد منعوا إطلاق اسم الزلة على ما صدر من الأنبياء من خطأ أو هفوة بل قالوا :

إنما يقال : فعلوا الفاضل وتركوا الأفضل فعوتبوا عليه<sup>(٢)</sup> بل صرح أبو منصور الماتريدي أن النبي ﷺ لم يعرف منه هفوة<sup>(٣)</sup> . وهذا ظاهر المخالفة لما تضمنه قول الأئمة .

لذلك نرى لأمثال هؤلاء المغالين من الماتريدية في عصمة الأنبياء لمنع صدور الذنوب منهم مطلقاً موقفاً خطيراً من نصوص الكتاب والسنة التي تجوز على الأنبياء صدور جنس الذنوب والخطأ منهم ، فما كان من قبيل أخبار الأحاد ردها رداً صريحاً وما كان من التواتر حرفوها تحريفاً قبيحاً<sup>(٤)</sup> .

ولذلك يقول شيخ الإسلام عن أمثال هؤلاء المحرفين لنصوص الكتاب والسنة ما

نصه :

(١) البقرة : ٢٣ .

(٢) مدارك التنزيل (٤٣/١) .

(٣) كتاب التوحيد للماتريدي ص ٢٠٢ .

(٤) انظر شرح العقائد النسفية ١٤٠ رحاشة الكنتلى على شرح العقائد ص ١٧١-١٧٢ ، والنيراس ص ٤٥٥-٤٥٧

«والمتكرون لذلك - أى لجواز صدور الصفات عن الأنبياء - يقولون فى تحريف القرآن ما هو من جنس قول أهل البهتان ويحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون : والرادون لذلك تأولوا ذلك بمثل تأويلات الجهمية والقدرية والدهرية لنصوص الأسماء والصفات ونصوص القدر ونصوص الميعاد ، وهى من جنس تأويلات القرامطة الباطنية التى يعلم بالاضطرار أنها باطلة وأنها من باب تحريف الكلم عن مواضعه»<sup>(١)</sup> .

وقال : «وهؤلاء يقصد أحدهم تعظيم الأنبياء فيقع فى تكذيبهم ويريد الإيمان بهم فيقع فى الكفر بهم»<sup>(٢)</sup> .

### (ز) اليوم الآخر :

اتفق المسلمون بل وأهل الملل السماوية على الإيمان باليوم الآخر والتصديق بما أخبرت به الرسل من البعث والجزاء والجنة والنار ، كما اتفق سلف الأمة وأئمتها على التصديق بما أخبر به النبى ﷺ بما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه والبعث والحشر والنشر والصحف والميزان والحساب والصراف والحوض والشفاعة وأحوال الجنة والنار وما أعد الله لأهلها جملة وتفصيلاً .

قال الأشعري : «باب ذكر ما أجمع عليه السلف من الأصول التى نبهوا بالأدلة عليها . . . وأجمعوا على أن عذاب القبر حق وأن الناس يسألون فى قبورهم بعد أن يحيوا فيها ويسألون فيثبت الله من أحب نبيه وأنهم لا يذوقون فيها ألم الموت بعد ذلك كما قال تعالى : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾<sup>(٣)</sup> وعلى أن ينفخ فى الصور قبل يوم القيامة فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، وعلى أن الله تعالى يبعثهم كما بدأهم حفاة عرايا غرلا ، وأن الأجساد التى أطاعت وعصت هى التى تبعث يوم القيامة وكذلك

(١) منهاج السنة (٢٧٧/١) الطبعة القديمة ومجموع الفتاوى (١٠/٣١٣ - ٣١٤) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٢٩٥ ، ٣١٣ ، ٣١٤) .

(٣) الدخان : ٥٦ .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

الجلود التى كانت فى الدنيا والألسنة والأيدى والأرجل هى التى تشهد عليهم يوم القيامة ، وأن الله تعالى ينصب الموازين لوزن أعمال العباد فمن ثقلت موازينه أقلح ومن خفت موازينه خاب وخسر ، وأن كافة السيئات تهوى إلى جهنم وأن كافة الحسنات تهوى عند زيادتها إلى الجنة ، وأن الخلق يؤتون يوم القيامة بصحائف فيها أعمالهم ، فمن أوتى كتابه يمينه حوسب حساباً يسيراً ومن أوتى كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيراً<sup>(١)</sup>.

ووافقت الماتريدية السلف بالإيمان بالأخرة بما فيها الحشر والنشر وأحوال البرزخ والجنة والنار والميزان والصراف والشفاعة ، وقالوا : إنها من الأمور الممكنة أخير بها الصادق ونطق بها الكتاب والسنة ، فتحمل هذه النصوص على ظاهرها<sup>(٢)</sup>.

### (د) الصحابة والإمامة :

لا يختلف موقف عامة الماتريدية من الصحابة عن موقف أهل السنة والجماعة بمن فيهم الإمام أبو حنيفة رحمه الله . فيقولون : إن أفضل البشر بعد نبينا محمد ﷺ ، «أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم على المرتضى على ترتيب خلافتهم ، وما وقع بين الصحابة من حروب فكان خطأ عن اجتهاد فيجب الكف عن الطعن فيهم . والطعن فيهم إما كفر أو بدعة أو فسق ، والخلافة الراشدة ثلاثون سنة ، وأن المسلمين لا بد لهم من إمام لتنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وسد الثغور وتمجيش الجيوش وأخذ الصدقات وقهر الغلبة والمتسلطة وقطاع الطرق وإقامة الجمعة والأعياد وقطع المنازعات ، وأن يكون الإمام ظاهراً لا مختفياً ولا مستظراً ، وأن يكون من قريش ولا يشترط أن يكون معصوماً ، وأنه تجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر ولا يجوز الخروج على الإمام الجائر»<sup>(٣)</sup>.

(١) رسالة أهل الثغر ص ٦٢ ، ٨٨ ، ٨٩ ، تحقيق الجنيد ط دار اللواء .

(٢) انظر شرح العقائد النسفية ص ٩٩ - ١٠١ ، والبداية ١٥٨ ، والبراس ص ٣١٧ .

(٣) انظر العقائد النسفية مع شرحها ص ١٤٨ - ١٦٣ ، والبداية للصابوني ص ١٠٠ - ١٠٥ ، وأصول الدين للبرزدي ص ١٧٨ - ١٩٨ .

## الخاتمة

بعد ما تقدم من عرض اشتمل على بيان عقائد الماتريدية ومصادرهم فى التلقى والاستدلال يتبين لنا ما يلى :

١ - أن الماتريدية خالفت السلف فى مصادر الاستدلال والتلقى فقدموا العقل على النقل ، وهذا لا يصح لأنه يؤدى حتماً إلى التأويل الكلامى البدعى وهو مجرد احتمال وتخمين وأما النص فهو حقيقة ويقين .

٢ - أن التأويل منه ما هو صحيح وهو اللغوى ، ومنه ما هو فاسد وهو الاصطلاحى ، فالصحيح ما وافق الكتاب والسنة والفاسد ما أخرج اللفظ عن ظاهره بما لا يوافق الكتاب والسنة وإنما يوافق اصطلاح المتكلمين .

٣ - سلك أبو منصور الماتريدى فى استدلاله على وجود الله طريقة المتكلمين وأعرض عن طريقة القرآن والسنة .

٤ - أن أبا منصور الماتريدى اجتمع فيه أكثر من بدعة ، فهو مرجئ فى باب الإيمان ومعتل فى باب الصفات .

٥ - أن الضابط للإثبات والتنزيه عند السلف قوله تعالى : «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»<sup>(١)</sup> .

٦ - وافقت الماتريدية السلف فى باب الإيمان بالآخرة بما فيها من الحشر والنشر وأحوال البرزخ والجنة والنار والميزان والصراط والشفاعة ، وكذا القدر والصحابة والإمامة وهذا من حسناتهم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . . . آمين .

(١) الشورى : ١١ .

### المبحث الثالث

#### مذاهب فكرية معاصرة فى الميزان

فإن أهم واجب على المسلم معرفة عقيدته التى بها يوحد الله تعالى ويعبده ، ومعرفة ما يناقضها ويخالفها من العقائد والمذاهب الضالة الهدامة ، التى يراد من ورائها صرف الناس عن دينهم وعن عبادة ربهم - تبارك وتعالى - وإفساد أخلاقهم ، وسلوكياتهم .

والمقيمون فى الخارج هم من أكثر الناس تعرضاً لهذه الهجمات الشرسة خاصة عند تواجدهم خارج مجتمعاتهم وبلادهم ، فيتكالب عليهم أولياء الشيطان من كل حذب وصوب ، يبغون فستهم وانحرافهم ، والبعض قد ينحرف وينحرف ، فيكون مثلاً سيئاً للمسلم فى سلوكه وأخلاقه ، بل وقد يرجع عن دينه بالكلية ، والمعصوم من عصم الله عز وجل .

ومن هنا كان عنوان هذه المقالة (مذاهب فكرية معاصرة) وهى فى مجملها معدة للتحذير من بعض المذاهب الفكرية الخطيرة ، التى قد يتعرض المسلم لها فى بلاد الغرب والشرق ، وقد جعلت الكلام فيها ذا شقين :

**الأول :** حول بعض المذاهب التى نشأت ووجدت فى بلاد الغرب ، ثم انتقلت إلينا وشاعت فى البلاد الإسلامية ، وسأشير - بعون الله تعالى - إلى : العلمانية - القومية - التغريب - الروتارى - الماسونية - مع الإشارة كذلك إلى الوجودية ، وإن كان تواجدها فى البلاد العربية غير ملحوظ ، بل لا يكاد يوجد .

**الثانى :** حول بعض المذاهب الفكرية التى نشأت فى بعض البلاد الإسلامية وانتشرت وانتقلت حتى إلى دول الغرب ، وتحاول النشاط بين الجاليات والمبعوثين فى الخارج ، وسأكتفى هنا - إن شاء الله - بالكلام عن (البابية والبهاية - القاديانية) .

وسأحاول - إن شاء الله - ألا أطول في الكلام عن هذه المذاهب ، وإنما سأختصر بما يكفى اللبيب ، وذلك حتى تحذروها وتعرفوها ، فإن الإنسان لن يتوقى الشر حتى يعرفه ، وقد قال القائل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ، ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه .  
وأسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

\* \* \*

## العلمانية

### التعريف :

معنى العلمانية بالضبط (اللايدنية) ، وهى عبارة عن دعوة إلى نبذ الدين ، وإقامة الحياة فى كل نواحيها على غير الدين ، وفصل الدين عن السياسة والحكم خصوصاً .

### الأهداف الحقيقية :

التخلص من الأديان وخصوصاً الإسلام ، وفرض التحلل من تعاليم الدين فى كل مجال .

### التأسيس وأبرز الشخصيات :

نشأت هذه الدعوة فى أوروبا وعمت أقطار العالم بمساعدة الاستعمار والتبشير والشيوعية وغيرها ، وساعد على ذلك هيمنة رجال الكنيسة فى أوروبا على مظاهر الحياة ووقوفهم فى وجه العلم والتقدم ، وبسبب اضطهاد الكنيسة لعدد من رجال العلم والفكر وكذلك بسبب تسلط الرهبان على حياة الناس وبيع صكوك الغفران ونحو ذلك . وبعد الثورة الفرنسية قامت أول حكومة علمانية وذلك فى فرنسا ، وقد ركب الموجة عدد من العلمانيين أصحاب الأفكار العلمانية ومنهم جان روسو ومونتسكيو ، سبينوزا ، فولتير ، وكذلك ميرابو وغيرهم .

ثم بعد ذلك ظهر نيتشة ودوركايم وفرويد ثم كارل ماركس وجان بول سارتر وغيرهم ، وكلٌ من هؤلاء كان ممن أنصار تنحية الدين عن الحياة ، والتحلل من تعاليمه .

### بعض مظاهر العلمانية التى وقعت فى العالم الإسلامى :

١ - فى مصر : قام الخديوى إسماعيل بإحلال القانون الفرنسى محل الشريعة الإسلامية وكان مفتوناً بالغرب .

٢ - فى تركيا : ألغيت الخلافة ولبست البلاد ثوب العلمانية فى كل شىء .

٣ - فى بلاد المغرب العربى : تم إلغاء الشريعة الإسلامية واستبدالها بالقانون الفرنسى .

٤ - فى العراق والشام : حدث نفس الشيء .

٥ - فى الهند : ألغيت الشريعة تدريجياً بعد الاحتلال الإنجليزي . . وهكذا حتى أصبح العلمانيون مسيطرين على مقاليد الأمور فى عموم البلاد الإسلامية وأكثرها ما عدا السعودية تقريباً ، فتم إبعاد الإسلام عن مظاهر الحياة ، وخصوصاً الحكم .

#### أهم الأفكار والمعتقدات عند العلمانيين الغربيين :

- ١ - لا صلة لله بحياة الناس .
- ٢ - القيم الروحية قيم سلبية .
- ٣ - الحياة لا تقوم إلا على أساس العلم والتجريب فقط .
- ٤ - فصل الدين عن السياسة بشكل تام .
- ٥ - اعتماد مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) الذى دعا إليه ميكافيلى ، وهذا فى كل مظاهر الحياة .

٦ - نشر الإباحية والفوضى وهدم الأسرة باعتبارها النواة الأولى للمجتمع .

٧ - تطبيق مبدأ النفعية فى كل شىء فى الحياة .

٨ - إنكار الآخرة واعتبار الدنيا هى حياة الملذات .

#### أفكار ومعتقدات العلمانيين فى العالم الإسلامى :

- ١ - الطعن فى حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة .
- ٢ - اعتبار الإسلام قد فقد أغراضه وأنه مجرد طقوس روحية وشعائر لا غير .
- ٣ - اعتبار الفقه الإسلامى مأخوذاً من القانون الرومانى .
- ٤ - الدعوة إلى تربية الأجيال تربية لادينية .
- ٥ - الدعوى (لتحرير) المرأة وفق النموذج الغربى .
- ٦ - الدعوة لإحياء التراث والحضارات القديمة جداً كالفرعونية والآشورية وغيرها .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

- ٧ - اعتبار الإسلام تخلفاً ورجعية لا يتناسب مع العصر وروح العلم والتقدم .
- ٨ - تضخيم الحركات الهدامة ، واعتبارها حركات إصلاحية .
- ٩ - اقتباس مناهج الحياة الغربية والأنماط المختلفة للسلوك الغربى فى كل شىء .

### الجدور الفكرية للعلمانية :

بوجه عام فإن العلمانية نشأت كعداء للكنيسة المعادية للعلم ، لكنها تطورت لتصبح عداء للدين بوجه عام ، حتى الإسلام الذى لم يقف يوماً فى وجه العلم بل كان سباقاً إلى تشجيعه ، وبعد ذلك غذاها اليهود بكل قوتهم وذلك لإزالة الحاجز الدينى الذى يعوق سيطرتهم على باقى الأمم، كما شجع ذلك بعض الأحزاب العلمانية فى العالم الإسلامى كحزب البعث وغيره، وكذلك حاول عدد من الحكام العرب كبورقية وعبد الناصر وكذلك بعض الحكام فى البلاد الإسلامية مثل أتاتورك وسوكارنو وغيرهم شجعوا العلمانية وغذوها بكل قوتهم، كما أن خروج البعثات التعليمية إلى الغرب ورجوعها كان أهم أسباب انتشار العلمانية فى البلاد الإسلامية، وكذلك عبر وسائل الإعلام وعبر المفكرين والأدباء الذين سعوا إلى نشر العلمانية، ومنهم : أحمد لطفى السيد ، طه حسين ، قاسم أمين ، ميشيل عفلق ، أنطون سعادة . . وغيرهم .

### مواطن الانتشار :

كل العالم تقريباً ، فهى أخطر المذاهب الفكرية على الإطلاق والتي يخشى منها على المبتعثين للخارج ، والتي يجب عليهم الحذر منها أشد الحذر ، فقد سيطرت على الدعاية والإعلام والحكم وكل شىء .

وفى الحقيقة فإن العلمانية ما هى إلا مرحلة من المراحل التى قامت الماسونية من أجل تحقيقها ونشرها ، والعلمانيون كلهم ماسونيون سواء علموا بذلك أم لم يعلموا .

\* \* \*

## القومية العربية

### ١ - التعريف :

هى حركة سياسية فكرية تدعو إلى تمجيد العرب وإقامة دولة موحدة لهم ، الرابط فيها هو العرق واللسان العربى ، والتاريخ العربى ، ولا أثر للدين فيها على الإطلاق ، وهى فى الحقيقة عبارة عن صدى للفكر القومى الذى سبق وأن ظهر فى أوروبا ، وقد غدتها بريطانيا المسيحية بكل قوتها .

### ٢ - الأهداف الحقيقية :

إضعاف رابطة الدين الإسلامى ، وإحلال الرابطة العرقية محلها بحيث يتم فصل المسلمين العرب عن غير العرب ، مما يضمن تفريق المسلمين وتشيت جهودهم .

### ٣ - التأسيس وأهم الشخصيات :

تأسست فى دمشق وبيروت خصوصاً جمعيات سرية ثم علنية فى أواخر القرن (١٩) وأوائل القرن (٢٠) ثم اتضحت معالم الحركة فى مؤتمر باريس ١٩١٢ م . ومن أهم هذه الجمعيات :

- الجمعية السورية وأسسها نصارى منهم بطرس البستاني ونصيف اليازجى سنة ١٨٤٧م فى دمشق .

- الجمعية السورية فى بيروت وأسسها نصارى كذلك ، منهم سليم البستاني ومتيف فورى .

ثم توالى الجمعيات ومنها الجمعية العربية السورية ، وجمعية حقوق الملة العربية ، وجمعية رابطة الوطن العربى ، وجمعية الوطن العربى ، والجمعية القحطانية ، وغيرها ، وقد انحصرت بين النصارى وعدد قليل من المسلمين حتى قام جمال عبد الناصر بالدعوة إليها وتشجيعها حتى أصبحت تياراً شعبياً عاماً ثم بدأت فى الانحسار .

ومن أهم دعائها :

١ - ساطع الحصرى : وهو رائدها وأهم مفكريها وله مؤلفات كثيرة تعد أساساً لها .

٢ - ميشيل عفلق : مؤسس حزب البعث العربى .

٣ - جمال عبد الناصر : الذى كان سبباً فى تحويلها إلى تيار شعبى عريض .

٤ - الجذور الفكرية :

هى عبارة عن امتداد للمد القومى الذى ظهر فى أوروبا كلها ثم فى تركيا ، ثم انعكس على العرب ليبرز فيهم هذا التيار ، ولعل للماسونية دوراً فى إنشاء هذه الفكرة وتشجيعها لتضمن تفتيت الشعوب الإسلامية على أسس عرقية ، ومما يؤكد ذلك أن الإنجليز شجعوا هذه الفكرة كما أنهم قد شجعوا فكرة إقامة الجامعة العربية كبديل عن الجامعة الإسلامية ، كما يلاحظ أن جميع رواد القومية العربية الأوائل كانوا من غير المسلمين .

٥ - أهم المعتقدات :

١ - إعلاء رابطة الدم والقربى على حساب الدين .

٢ - إبعاد الدين عن هذه الرابطة بحيث يصير المسيحى واليهودى العربى أقرب وأولى وأحب من المسلم غير العربى .

٣ - وجوب تحرر الإنسان العربى من الغيبيات وقيود الدين التى يعتبرونها خرافات .

٤ - إعلاء شعار (الدين لله والوطن للجميع) والذى يبرز النزعة العلمانية الماسونية للقومية العربية ، والهدف الحقيقى من ذلك إقصاء الدين الإسلامى عن أن يكون له وجود فعلى .

٥ - اعتبار الدين والتقاليد المتوارثة عقبات يجب التخلص منها .

٦ - يرون أن الحدود بين البلاد العربية حدود مصطنعة يجب أن تزال حتى يكون للعرب دولة واحدة .

#### ٦ - مناطق الانتشار :

وجدت هذه الفكرة بين كثير من الشباب العربي والمفكرين العرب ، ووجدت أحزاب قومية مثل حركة الوحدة الشعبية بتونس ، وحزب البعث في العراق وسوريا ، وبقايا الناصريين في مصر والشام ، لكن يلاحظ أن فكرة القومية الآن في حالة انحسار أو جمود على الأقل ، خصوصاً بعد أن لاحظ المفتونون بها أنهم كانوا واهمين ، وإن هذه الفكرة لم تحقق شيئاً ولا حتى الوحدة بين الداعين إليها .

\* \* \*

## التضويب

### ١ - التعريف :

هو تيار كبير متشعب يدعو إلى سيادة النمط الغربى فى كل مناحى الحياة ، وطمس كل ما يخالفه .

### ٢ - الأهداف الحقيقية :

ضمان تبعية الناس للغرب اللادينى فى طريقة العيش وفى جميع مناحى الحياة ، وهذا التيار فى حقيقته تيار ماسونى يهدف إلى إبعاد الناس عن الدين عموماً وعن الإسلام على وجه الخصوص ، ليضمن خضوع المسلمين للهجمة اليهودية والنصرانية .

### ٣ - عوامل الظهور وأهم الشخصيات :

من أسباب ظهور هذا التيار فى البلاد الإسلامية :

١ - رغبة عدد من الحكام فى تحديث جيوشهم باتباع الأساليب الغربية ، فتم استخدام ضباط من الغرب لتدريب الجيوش الإسلامية ، كما أنشئت أعداد كبيرة من المدارس الحربية على نمط المدارس الغربية .

٢ - إرسال البعثات التعليمية إلى بلاد الغرب وعودة الكثيرين متأثرين بالحياة الغربية كما حدث لرفاعة الطهطاوى وغيره .

٣ - الإفراط فى ترجمة الكتب الغربية دون تمييز .

٤ - قيام عدد من النصارى بإصدار صحف ومجلات تروج لهذا الاتجاه .

٥ - قيام عدد من المفكرين والسياسيين والأدباء بالدعوة إلى هذا التيار ، ومن أهمهم : على عبد الرازق ، طه حسين ، سعد زغلول ، وغيرهم .

#### ٤ - أهم الأفكار والمعتقدات :

- ١ - الدعوة إلى مهاجمة القرآن والوحي والتاريخ الإسلامى ، والتشكيك فى القيم الإسلامية .
- ٢ - إبراز الحركات الهدامة كالبهائية وغيرها على أنها حركات إصلاحية .
- ٣ - تشجيع الحركات الهدامة المعاصرة كالداروينية والماركسية وغيرها .
- ٤ - إحياء وتمجيد جهود الشخصيات المنحرفة فى التاريخ الإسلامى كابن عربى والحلاج وأبى نواس والسهرودى وغيرهم .
- ٥ - عرض نظم الحياة الغربية وتمجيدها والدعوة إليها واعتبارها من مظاهر الحرية .
- ٦ - الاهتمام ببعث حضارات ما قبل الإسلام كالفرعونية وغيرها .

#### ٥ - مواطن الانتشار :

يتشر هذا التيار فى جميع البلاد الإسلامية ، ويتضح أكثر فى العراق والشام ومصر والمغرب العربى ، وكذلك فإنه سائد فى تركيا وله انتشار فى أندونيسيا وباكستان وغيرها .

\* \* \*

## الروتاري

### ١ - التعريف :

هي منظمة ماسونية تسيطر عليها اليهودية العالمية ، تتجمع في أندية يطلق عليها أندية الروتاري ، وتظاهر بالعمل الإنساني .

### ٢ - الأهداف الحقيقية :

تعمل على دمج اليهود في باقى الشعوب والتمكين لهم ، كما تعمل على تفسخ المجتمعات الموجودة تمهيداً لسيطرة اليهود عليها ، كل هذا من خلال التظاهر بالعمل الإنساني وتحقيق الصلات بين الطوائف والتقارب بين الأديان وإزالة الخلافات بين أهل الأديان ، وذلك من خلال الحفلات والندوات والتجمعات المشبوهة ، وتشتترط هذه الأندية وجود يهودى واحد أو اثنين فى كل ناد .

### ٣ - التأسيس وأبرز الشخصيات :

(أ) عام ١٩٠٥م فى مدينة شيكاغو بأمريكا أسس المحامى بول هاريس أول نادٍ للروتارى .

(ب) عام ١٩٠٨م نظم شيرلى برى إلى الحركة ووسعها بسرعة هائلة قبل أن يستقيل سنة ١٩٤٢م .

(ج) عام ١٩١١م انتقلت الحركة إلى أيرلندا ثم انتشرت فى بريطانيا بفضل نشاط مستر مورد والذى كان يتقاضى عمولة عن كل عضو جديد .

(د) فى عام ١٩٢١م تأسس أول روتارى عربى فى فلسطين ثم انتشرت فروعها فى الجزائر ومراكش ، وله فرع فى طرابلس بليبيا .

### ٤ - أهم الأفكار والمعتقدات :

١ - اعتبار الدين مسألة ليس لها قيمة ، لا فى اختيار الأعضاء ، ولا فى العلاقة بينهم ، كما أنه ليس هناك اعتبار لمسألة الوطن .

٢ - إسقاط اعتبار الدين يوفر الحماية لليهود ويسهل تغلغلهم في المجتمعات والطوائف الأخرى ، وذلك في ظل شعار الماسونية (الحرية والإخاء والمساواة) .

٣ - وجوب التنسيق بين الروتارى وما يماثلها : (الليونز - الكيوانى - القلم - المائدة المستديرة - بنائى برث ..) وغيرها ، وذلك لمساعدة اليهود .

٤ - النادى هو الذى يختار أعضائه ، وينبغى أن يكونوا قدر الإمكان من الشخصيات المرموقة ذات النفوذ والتأثير ، ولا يتم اختيار أعضاء من العمال إلا نادراً من ذوى المكانة العالية .

٥ - عمل الخير يجب أن يكون دون انتظار مقابل دينى أو دنيوى ، وهذا خلاف التصور الدينى الذى يربط عمل الخير بانتظار الثواب فى الآخرة .

٦ - المساواة بين جميع الأديان السماوية وغير السماوية حتى تلك التى ترى أن السعادة هى فى إشباع الغرائز البشرية والانقياد لها كالديانة الطاوية وغيرها ، وغير ذلك .

#### ٥ - مناطق الانتشار :

توجد هذه المنظمة فى معظم دول العالم ، وخصوصاً أمريكا وبريطانيا وبقاى دول أوروبا ، ولها فروع فى الجزائر وتونس والمغرب ومصر والأردن وليبيا ، كما أن مركز هذه الجمعيات فى الشرق الأوسط يوجد فى بيروت وبلبنان .

\* \* \*

## الماسونية

### ١ - التعريف :

معناها (البناءون الأحرار) وهي منظمة سرية يهودية غامضة محكمة التنظيم ،  
جل أعضائها من الشخصيات المرموقة فى الشرق والغرب ، يربطهم عهد بحفظ  
الأسرار، و يقيمون المحافل للتجمع والتخطيط والتكليف .

### ٢ - الأهداف الحقيقية :

ضمان السيطرة اليهودية على العالم بعد تقويض الحكومات القائمة ، ونشر  
الإباحية والإلحاد والفساد .

### ٣ - التأسيس وأبرز الشخصيات :

تأسست أولاً عام (١٤٣م) على يد هيرودس أكربيا ملك الرومان بمساعدة  
مستشاريه اليهود ، ومنهم جيرام أبيود وموآب لامي ، وكان هدفهم إذ ذاك القضاء  
على المسيحية والتكليف بالمسيحيين ، وسموا محفلهم (هيكل أورشليم) .

- المرحلة الثانية لهم عام (١٧٧٠م) عن طريق آدم وايزهاويت المسيحي الذى  
أخذ فاستقطبته الماسونية ، وتم وضع المحفل النوراني نسبة إلى الشيطان الذى يعبدونه  
وانتهى ذلك المشروع سنة (١٧٧٦م) .

فى العصر الحديث استطاعوا خداع الفئ رجل من كبار الساسة والمفكرين فأنشئوا  
محفل الشرق الأوسط (وهو المحل الرئيس) وأخضعوهم لخدمة الماسونية تحت شعارات  
براقة انخدع بها كثير من المسلمين .

- ميرابو ، كان أحد مشاهير قادة الثورة الفرنسية .

- مازينى الإيطالى ، وقد أعاد ترتيب الأمور بعد موت وايزهاويت .

- ليوم بلوم الفرنسى ، وقد حرص على نشر الإباحية ، وأصدر كتاباً فاحشاً  
بعنوان (الزواج) .

- كودير لوس اليهودى ، صاحب كتاب (العلاقات الخطرة) .

وكذلك جان جاك روسو - فولتير- جورجى زيدان- كارل ماركس- وآخرون .

#### ٤ - الجذور الفكرية للماسونية :

جذورهم يهودية صرفة ، سواء من الناحية الفكرية ، أو من ناحية الوسائل العلمية لنشرها ، وفى كل شىء .

#### ٥ - أهم عقائدهم :

١ - الكفر بالله والرسول والكتب وكل المغيبات، واعتبار ذلك خرافات وخزعبلات .

٢ - العمل على تقويض الأديان كلها ، وإسقاط الحكومات الوطنية .

٣ - إباحة الجنس واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة .

٤ - تقسيم غير اليهود إلى أمم متنازعة متصارعة باستمرار .

٥ - إحياء الروح الطائفية والنزاعات الداخلية وتسليح جميع الأطراف المتنازعة .

٦ - هدم المبادئ الدينية والأخلاقية ونشر الإباحية والانحلال والإلحاد .

٧ - استعمال الرشوة بالمال ، واستعمال الجنس والشذوذ لاستمالة ذوى المناصب الحساسة وتهديدهم والسيطرة عليهم .

٨ - يشترطون على العضو التجرد من كل المبادئ الدينية والوطنية وغيرها .

٩ - التخلص ممن يتمردهم بتدبير فضائح له، والتخلص منه عند الضرورة .

١٠ - محاولة السيطرة على رؤساء الدول والجيوش والقادة والشخصيات البارزة والمستولة وأجهزة الإعلام والدعاية والصحافة لضمان تحقيق أهدافهم ، وكذلك السيطرة على المنظمات الدولية كالأمم المتحدة وغيرها .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

- ١١ - دعوة الشباب والبنات للانغماس فى الرذيلة لمحاولة السيطرة عليهم وضمان انقيادهم ، وكذلك الدعوة إلى زنا المحارم وتحطيم الرباط الأسرى .
- ١٢ - الدعوة إلى تحديد نسل المسلمين والتعقيم الإجبارى لهم ، وغير ذلك .
- ٦ - **خطورتهم :**

هى أكثر المنظمات السرية خطيرة فى التاريخ ، وسبب فى كثير من الولايات التى أصابت البلاد الإسلامية من ثورات وغيرها ، وهم وراء إلغاء الخلافة الإسلامية ، وعزل السلطان عبد الحميد ، وهم وراء الثورة الفرنسية والبريطانية والبلشفية وغيرها ، ولهم نشرات سرية وكتب يتداولونها .

### ٧ - **مناطق الانتشار :**

لهم وجود فى كل بلاد العالم تقريباً ، وخصوصاً بين الشخصيات البارزة والحساسة ، كما أنها تسيطر على معظم وسائل الإعلام فى معظم بلاد العالم ، وتسيطر على معظم موارد الاقتصاد ووسائل الإعلام ، ولهم عصابات إجرامية للتخلص ممن يريدون وتنفيذ ما يريدون .

\* \* \*

## الوجودية

### ١ - التعريف :

هى تيار فلسفى يعلى من شأن الإنسان ويؤكد على تفرده ، وأنه صاحب فكر لا يحتاج إلى من يوجهه ويرشده ، وهو تيار متذبذب مضطرب .

### ٢ - الأهداف :

إبراز قيمة الوجود الفردى للإنسان بحيث يهتدى إلى وجوده بنفسه مستقلا عن الآخرين .

### ٣ - التأسيس وأبرز الشخصيات :

١ - بسكال ، وهو الذى رسم طريقها ووضع الخطوط العريضة للوجودية .

٢ - كير كجورد وعنه انتشر المذهب فى فرنسا وألمانيا .

٣ - جان بول سارتر ، وهو أشهر الوجوديين ، وترجمت مؤلفاته إلى العديد من اللغات ، وهو ملحد يناصر الصهيونية ، كان يجوب العالم بصحبة صديقه سيمون دى بوفوار .

٤ - القس كبريل مارسيل ، وكارل جاسبرر وغيرهم .

### ٤ - الجذور الفكرية :

تأثرت الوجودية بالعلمانية والحركات الراضية للدين ، وبأفكار سقراط الذى نادى بمبدأ (اعرف نفسك بنفسك) ، وبالرواقيين الذين فرضوا سيادة النفس ، وكذلك بمختلف الحركات الداعية إلى الإلحاد والإباحية والفساد .

### ٥ - أهم العقائد والأفكار :

١ - الكفر بالله ورسله ، وبكل الغيبات والاديان .

٢ - اعتبار الوجود الإنسانى منطلقاً لكل فكرة .

- ٣ - الدعوة لنبيذ كل ما يربط الإنسان بالدين أو بالعرف أو بالأخلاق .
  - ٤ - إباحة الجنس والفساد والانحلال وتلبية داعى الشهوات دون أى قيود .
  - ٥ - العمل على هدم القيم والعقائد ، ولهذا تدعمها اليهودية .
- ٦ - مواطن الانتشار :
- ألمانيا وفرنسا وإيطاليا ، وقد انتشرت كذلك بين المراهقين فى أمريكا والنمسا والسويد والمجلترا وغيرها .

\* \* \*

## البابية والبهائية

### ١ - التعريف :

حركة نشأت في سنة ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤م برعاية وتشجيع الاستعمار الروسي والإنجليزي واليهودية العالمية .

### ٢ - الأهداف الحقيقية :

إفساد العقيدة الإسلامية ، وتفكيك وحدة المسلمين ، وصرفهم عن قضاياهم الرئيسية .

### ٣ - التأسيس وأبرز الشخصيات :

١ - أسس الحركة ميرزا علي محمد الشيرازي المتوفى سنة (١٨٤٩م) بشيراز في إيران ، وقد أعلن أنه الباب سنة (١٨٤٤م) ، كما أظهر للناس كتابًا سماه البيان .

٢ - بعد وفاة الشيرازي قام بالأمر بعده ميرزا حسين علي الملقب بالبهاء ، وسمى الحركة بـ (البهائية) وقد وضع كتابًا سماه (الأقدس) ، نُقِيَ إلى عدة أماكن آخرها عكا حيث استقر هناك، توفى سنة ١٨٩٢م .

٣ - قرة العين ، المتوفاة سنة ١٢٦٩ هـ وهي امرأة منحرفة السلوك ، فرّت من زوجها وراحت تبحث عن المتعة وأعلنت عن نسخ الشريعة الإسلامية في مؤتمر بدشة سنة ١٢٦٩ هـ ، وقد أعدمها الشاه في نفس السنة .

٤ - يحيى علي ، أخو البهاء ، نازع أخاه في خلافة الباب ، وسمى نفسه الأزل، ووضع كتاب الألواح ، غدر به أخوه وقتله .

### ٤ - الجذور الفكرية للبهائية :

منها البوذية ، والبرهمية ، والمزدكية ، والحركات الباطنية ، ومنها التراث الفارسي قبل الإسلام ، ومنها : اليهودية والنصرانية والدهرية . وقد لقيت التشجيع والرعاية من اليهود الروس والإنجليز .

٥ - أهم عقائدهم :

- ١ - نسخ الشريعة الإسلامية تمامًا .
  - ٢ - القول بالحلوس والاتحاد (أى حلول ذات الرب فى بعض الكائنات واتحادها بها).
  - ٣ - القول بتناسخ الأرواح وخلود الكائنات ، والقول بأن الثواب والعقاب للأرواح فقط ، تمامًا مثل الخيال ، وهذا قول الفلاسفة والنصارى .
  - يقولون بإلغاء التكاليف الشرعية ، أى التحلل التام من مسألة الحلال والحرام ، وهذه أمور قد تناسب ضعاف الدين الذين يميلون للتحلل من تكاليف الشريعة .
  - يحرمون الحجاب ، ويقولون بإباحة كل النساء لآى أحد دون قيد أو شرط ، وكذلك يقولون بشيوعية المال .
  - يقولون بصلب المسيح وقتله ، كقول النصارى .
  - ينكرون البعث والحشر والحساب وما يتبع ذلك .
  - يقولون : إن دين (الباب) ناسخ لشريعة محمد ﷺ .
  - ينكرون أن النبى ﷺ خاتم الأنبياء ، ويدعون استمرار الوحى .
  - يقولون بالوهية الباب والبهاء ، وأحيانًا بنبوتهما ، وأحيانًا بمهديتهما .
  - السنة عندهم تسعة عشر شهرًا والشهر تسعة عشر يومًا ، فهم يقدسون العدد (١٩) وغير ذلك من العقائد الكافرة الضالة الخبيثة .
- ٦ - مواضع انتشارهم :

يقطن معظمهم فى إيران ، وقليل منهم فى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين المحتلة .

## القاديانية

### ١ - التعريف :

حركة نشأت سنة (١٩٠٠م) فى شبه القارة الهندية بتخطيط وتشجيع من الاستعمار الإنجليزي .

### ٢ - الأهداف الحقيقية :

إبعاد المسلمين عن دينهم ، وخاصة فريضة الجهاد ، حتى لا يواجهوا الاستعمار باسم الإسلام ، وأصدورا مجلة (الأديان) باللغة الإنجليزية .

### ٣ - التأسيس وأبرز الشخصيات :

١ - مؤسس الحركة هو ميرزا غلام أحمد القاديانى (نسبة إلى قاديان إحدى بلاد إقليم البنجاب) وهو من أسرة معروفة بالخيانة والعمالة للإنجليز ، سجل مذهبه (١٩٠٠م) وله عدة كتب فى المذهب القاديانى والطعن فى الإسلام .  
٢ - نور الدين الخليفة الأول للقاديانية ، وقد وضع الإنجليز تاج الخلافة على رأسه .

٣ - محمد على ، منظر القاديانية وجاسوس الاستعمار ، قدم ترجمة محرفة للقرآن الكريم .

٤ - محمد صادق ، مفتى القاديانية ، وغيرهم .

### ٤ - الجذور الفكرية للقاديانية :

منها تأثرهم الشديد باليهودية والمسيحية ، والحركات الباطنية ، كما ساعدتهم إسرائيل بفتح المراكز والمدارس وطبع مجلتهم ومنشوراتهم .

### ٥ - أهم عقائدهم :

١ - يعتقدون بأن غلام أحمد هو المهدي أو المسيح أو نبي .

## نظرات وتأملات من واقع الحياة

- ٢ - يشبهون الله - تعالى - بخلقه فى النوم والاكل واليقظة والجماع والكتابة والخطأ وكل شىء تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .
  - ٣ - ينكرون انتهاء النبوة ، ويقولون : إن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء .
  - ٤ - يكفرون من لم يتمذهب بالقاديانية ، أو تزوج من غير القاديانيين .
  - ٥ - يجعلون من مدينة قاديان حرماً ويتخذونها قبلة لهم .
  - ٦ - يبيحون الخمر والأفيون والمخدرات .
  - ٧ - يعتقدون أن الإله إنجليزى وأنه يخاطبهم الإنجليزية .
  - ٨ - يجعلون كتابهم (الكتاب المبين) قرآناً لهم وينكرون غيره تماماً .
  - ٩ - يحرمون الجهاد بشكل نهائى ، ويعتقدون بوجوب الخضوع للإنجليز لأنهم ولاة الأمر - بزعمهم - وغير ذلك من المخازى والضلالات .
- ٦ - مواضع الانتشار :

يكثرون فى الهند وباكستان ، كما أن لهم تواجدًا بسيطًا فى إسرائيل ، وبعض البلاد العربية ، وهم يحاولون الوصول إلى أى مراكز حساسة فى أماكن تواجدهم .

هذه من أهم المذاهب الفكرية المعاصرة وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يعجنب شبابنا الاغترار بهذه المذاهب وأن يقيهم أهواء أنفسهم وسيئات أعمالهم ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

\* \* \*

## \* الفهرس \*

| الصفحة              | الموضوع                                                    |
|---------------------|------------------------------------------------------------|
| ٣                   | ١ المقدمة .....                                            |
| <b>الفصل الأول</b>  |                                                            |
| ٥                   | تأملات ونظرات في أحوال مجتمعنا الإسلامي المعاصر            |
| ٧                   | * المبحث الأول: ظاهرة ترك الصلاة عند بعض الناس .....       |
| ١١                  | * المبحث الثاني: مكانة الحج ومنزلته .....                  |
| ١٣                  | * المبحث الثالث: ظاهرة ترك المييت بمزدلفة عند بعض الناس .. |
| ١٧                  | * المبحث الرابع: ظاهرة التشاؤم والتطير .....               |
| ٢٢                  | * المبحث الخامس: ظاهرة انتشار الرقى والتائم .....          |
| ٢٧                  | * المبحث السادس: تعقيب على الشيخ علي العمري حول الرقية ..  |
| ٣٤                  | * المبحث السابع : ظاهرة الخدم .....                        |
| ٨٢                  | * المبحث الثامن : واجبتنا نحو مجتمعنا الإسلامي .....       |
| <b>الفصل الثاني</b> |                                                            |
| ٩١                  | تأملات ونظرات في واقع بعض الدعاة المعاصرين                 |
| ٩٣                  | * المبحث الأول : ظاهرة الغلو .....                         |
| ٩٨                  | * المبحث الثاني: ظاهرة العنف .....                         |
| ١٠٧                 | * المبحث الثالث : الفتن في هذا العصر وموقف المسلم منها ..  |
| ١١٥                 | * المبحث الرابع: فتنة التكفير .....                        |
| ١٢٣                 | * المبحث الخامس : ظاهرة سوء الظن بالعلماء والصالحين .....  |

## الصفحة

## الموضوع

- \* المبحث السادس : الطعن في العلماء وتنقصهم ..... ١٢٩
- \* المبحث السابع : ظاهرة التعصب ..... ١٣٤
- \* المبحث الثامن : البيعة الحزبية ..... ١٤١
- \* المبحث التاسع : المظاهرات ليست من أساليب الدعوة إلى الله ..... ١٤٩
- \* المبحث العاشر : حقوق الراعي والرعية ..... ١٥٦

## الفصل الثالث

- نظرات وتأملات في الدعوة إلى عقيدة أهل السنة والجماعة
- \* المبحث الأول : المراد بأهل السنة والجماعة ..... ١٦٥
- \* المبحث الثاني : خصائص أهل السنة والجماعة ..... ١٧١
- \* المبحث الثالث : السنة وسط بين الإفراط والتفريط ..... ١٧٨
- \* المبحث الرابع : وجوب اتباع عقيدة السلف (أهل السنة والجماعة) ومذهبهم ..... ١٩٠
- \* المبحث الخامس : تيرقة السلف من عقائد الخلف ..... ١٩٦
- \* المبحث السادس : الأدب مع الرسول ﷺ ..... ٢٠٣
- \* المبحث السابع : اتباع الرسول علامة المحبة ..... ٢١٠
- \* المبحث الثامن : نواقض عقيدة السلف والجماعة ..... ٢١٥

## الفصل الرابع

- تأملات ونظرات في أصمال أهل البدع
- \* المبحث الأول : البدعة تناقض عقيدة التوحيد ..... ٢٣١
- ..... ٢٣٣

## الصفحة

## الموضوع

- \* المبحث الثاني: أثر البدعة في الانحراف العقدي والانحطاط الاجتماعي ..... ٢٣٧
- \* المبحث الثالث: بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان ..... ٢٤٣
- \* المبحث الرابع: بدع تقع في شهر رمضان ..... ٢٤٧
- \* المبحث الخامس: بدع في صلاة التراويح ..... ٢٥١
- \* المبحث السادس: بيان السنن والمبتدعات المتعلقة بعيد الفطر وشهر شوال ..... ٢٥٥
- \* المبحث السابع: البدع في يوم الجمعة ..... ٢٥٨
- \* المبحث الثامن: مفاهيم خاطئة حول الأولياء ..... ٢٦١
- \* المبحث التاسع: هل للأولياء تصرف في الكون ؟ ..... ٢٦٤
- \* المبحث العاشر: دعاة التصوف ..... ٢٦٨

## الفصل الخامس

- تأملات ونظرات في بعض المذاهب والفرق المعاصرة ..... ٢٧٣
- \* المبحث الأول: متى نشأ الاختلاف والفرق في الأمة وأسباب ذلك ..... ٢٧٥
- \* المبحث الثاني: منهج الماتريدية في العقيدة ..... ٢٨٢
- \* المبحث الثالث: مذاهب فكرية في الميزان ..... ٣١٦
- \* فهرس الموضوعات ..... ٣٣٧